الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة باتنة-1-

كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الانسانية

قسم علم الاجتماع و الديمغرافيا

القبيلة و المجال الحضري علاقات التفاعل و الصراع

أطروحة لنيل دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الحضري

اعدادالطالب :

صلاح الدين فافي

تحت اشراف :

أ.د مولود سعادة

السنة الجامعية 2015-2016

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بسم الله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى

أحمدك ربي حتى ترضى وأحمدك إذا رضيت، وأحمدك بعد الرضا

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أحمد وأشكر المولى عز وجل على توفيقه لي لإتمام هذا العمل

وكذا أشكر:

- الأستاذ الدكتور مولود سعادةأستاذي الكريم الذي ساعدني على فهم أن البحث العلمي لابد له من الصبر والجهد.

- كل أفراد عائلتي

- رفيقة دربي

ولكل من أمدني يد المساعدة لإتمام هذا العمل من قريب وبعيد

1-الإشكالية:

ليست المدينة مجرد فضاء معماري، موزع بشكل وظيفي يسمح للحياة اليومية أن تتحرك داخلـه وتمـارَس، وللأفراد أن يتحركوا في الأمكنـة، ولكنهـا تكثيف لعلاقـات وقيم اجتماعية،تمنح الوجود الاجتماعي والهوية للأفراد والجماعات داخلها معنى.

فقد تأسست المدينة، أصلا كبؤرة ضامّة لأشكال هذا الوجود الاجتماعي والسياسي والاقتصـــادي والثقافي، المتنوع، بؤرة تصـــاغ داخلها العلاقات بين الأفراد في بعديها المادي والرمزي، كعلاقات تواشـج وتضـامن وتبادل للمنفعة، أوصـراع همه الأسـاسـي السـيطرة والخضـوع، أو الانتقال إلى نوع من التوازن بين مختلف المكونات والتشـكيلات الاجتماعية واستدعاء الأفراد من حيث هم فاعلون غير متساوون في الحقوق والواجبات، ممارسين لمواطنتهم داخل الفضاء المديني العام.

ومن هنا نفهم انه ليس حقيقي النظر إلى المدينـة أو المجال الحضـــري على أنها فقط هيكل اقتصـادي أو بناء فيزيقي أو وحدة إدارية بل هي فوق كل ذلك هي بناء ، نظام،و ذاكرة . تملك هابيتوس تشكل بممارسات تاريخية وترسبات قيمية في جل حقول فضائها العام.علاقة صراع بين فضاء وشاغيليه.

البناء الاجتماعي بالمجال الحضـــري يتحدد إطاره بالهيكل الثقافي للمجتمع الكلي أولا والحضري ثانيا، وهذا الإطار الثقافي يحكمه نسق القيم السائدة ومن الطبيعي ان يختلف هذا النسق بين أنماط المجتمع ريفه وحضـره، ومن هنا يتحدد درجة التجانس الثقافي بين نمطين المجتمع من ناحية، وتتفاوت درجة انسجام الشخص الوافد الى المركز الحضـري مع الاطار الثقافي الجديد من ناحية.

والمقاربة المجالية مزدوجة الفعل، فهي وصــــفية وتفســيرية. وصـــفية للمجال كما يفعل وينتشر ويستعمل ويستغل، وتفسير وتبرير لتلك لأفعال عبر الكشف عن المسكوت عنه واللاواعي به والمتحكم في الفعل، رغم الادعاءات المضـــــادة للفاعلين المجاليين.و يأتي الولاء القبلي في مقدم المخفي لهذا لا يكفي فهم القبيلة كتشـــكيلة اجتماعية واقعية محســـوســـة ،وكأنها نواة تاريخية غير متغيرة يجري حولها التطور الاجتماعي التاريخي كأنه غلاف يحتويها ، دون أن تتبدل وهذا هو في الحقيقة افتراض الكثير ، وكذا من يعودون إلى ابن خلدون لفهم أي شــيء أو أي سـؤال حول الحاضــر العربي من جهة و حاضر المجتمع المغاربي من جهة ثانية.

و أما ما يميز القبيلة بكونها جماعة لم ينفصل السياسي عن الاجتماعي و لم ينفصل فيها الفرد عن الجماعة إلا بمعنى تفرده كعضـــو فيها .واســـتمرار فاعلية وتأثير الإرث الاجتماعي والثقافي المفروض على الفرد أســـاس التشـــكيلات الاجتماعية، ولا يمكن تغييره، فالعلاقات المســـيطرة فيها هي علاقات القرابة و الأهل، والمذهب، والقبيلة، والعشـيرة....إلخ. إنها علاقات مرتكزة بوحي عام على روابط الدم ، وفي هذه الحالة فإن نوعا من الاعتمادية تبرز و تربط المجتمع.

فهؤلاء الأفراد يحددون طموحاتهم و مواقفهم انطلاقا من الوســـط الاجتماعي المحيط بهم و بالرجوع إلى الجماعات التي ينتمون إليها أو التي يشعرون أنهم قريبون منها.

و أن الذي يجعل اســـتمرار القبيلة هو عمقها و انغراســـها في أعمق أعماق الوجدان الإنســـاني بحيث لا يمكن اختزالها أو تفكيكها إلى علاقات أبســـط أو أعمق ، لذلك فيه توصـف بالولاءات –أو الانتماءات الوشـائجية– أين يجد فيها الفاعل الاجتماعي الأمان و الطمأنينة كما يستعملها كأدوات لتحقيق المصالح و كسب المنافع . هنا فقط ينكشف زيف الحضرية وما تحمله من معاني الحداثة وفرض الفردانية و تفسخ العلاقات الأولية،

وإحلال العلاقات الثانوية والسـطحية فحتى المثقف ينحصــر و يتحول إلى مثقف قبلي عندما يسـعى إلى تحقيق مصـلحة أو تطبيق فكرة أو خطـة. فالقبيلة كحالة شـرعية يومية لا تحتـاج إلى غطـاء من هذا المنطلق تبرز قبليـة الفاعل المديني ورغم امتنـاعـه و لو علنا عن تعريف ذاته من خلال العضــوية في القبيلة أو العشــيرة و بين اســتخدامها و النفخ فيها كفعل سيـاسـي سـافر علني وكاسـتثمار سيـاسـي لما يصـبح بعد ذلك رأسـمال اجتماعيا واعيا يعبر عن كم الموارد الواقعية أو المحتملة التي يتم الحصـــــول عليها من خلال امتلاك شـبكة من العلاقات الدائمة المرتكزة على الفهم والوعي المتبادل، وذلك في إطار الانضــــواء تحت لواء جماعة معينة ، فالانتماء لجماعة ما يمنح كل عضـــــو من أعضـــائها سـنداً من الثقة والأمان الجماعي وأن رأس المال الاجتماعي يعد شـكلا مهما من رأس المال يمتلكه أعضـاء الشبكة الاجتماعية أو الجماعة. ومن خلال الصـلات بين الأعضــــاء يمكن أن يســـتخدم كنوع من الائتمان ، ويتم المحافظة عليه وتعزيزه لفائدته عندما يستمر الأفراد في الاستثمار في العلاقات الاجتماعية. وتستلزم عملية إعــــــــادة إنتــاج البنية حداً أدنى من التجانس الموضـوعي بين أعضـاء الجماعة، كما تستلزم جهداً متواصـــلاً للحفاظ على تماســك الجماعة وتضــامنها، وتســتلزم كذلك مزيداً من الادراك والوعي المتبادل بين أعضـاء الجماعة أيا كان شكلها .

رأس المال الاجتماعي إذن يعبر عن قدرة الفاعل المديني على الوصـول إلى موارد عبر "رأس المال الاجتماعي" ويعتمد على شــــبكة علاقاته الاجتماعية (معارفه وانتماءاته المختلفة وعضــويته في روابط ومؤســســات مختلفة)، وعلى قوة هذه العلاقات وثباتها، وعلى الموارد المتوفرة لشــــبكة العلاقات التي يقيمها الفاعل. وهذا لا يعني أن الفاعل المديني يرث هذه الشـــبكة من العلاقات دون تدخل أو جهد منه،صــــحيح أن الظروف الموضـــعية تحدد إطار الممكن لشـــبكة هذه العلاقات، لكن لهابيتوس الفاعل دورًا في تحديد سـعة واسـتمرارية هذه العلاقات (الانتماء أو عدم الانتماء، الولاء أو عدم الولاء)،

لكن ليس كل العلاقات ودرجة تأثيرها وثباتها خاضــعة لاختيار الفاعل المديني. و هكذا يعيش الفاعل الاجتماعي المديني تجربة تجعله يضـــفي صـــفة الأخلاقية على روابط القرابة و النسب و يتعامل بمنطق أنا وأخي ضد ابن عمي، أنا و أخي وابن عمي ضد الغريب. ولأن المجال الحضـــري يميل دوما إلى التعبير عن ثقافة حضـــرية تعبر عن الجماعات الاجتماعية المختلفة المشكلة لكيانها الاجتماعي و السكاني وتملك هابيتوس خاص بها يستند إلى العلاقات التفاعلية وحالات الصراع بين مختلف الحقول في المجال الحضـري، وتدفع بالفرد أو الفاعل المديني إلى ممارســة تخضــع لمنطق الهابيتوســات واســـتثمار كل انواع رأس المال في الفضـــاء المديني العام ،و إلى التعامل بمنطلق اســتثمار فاعليات وايجابيات القبيلة كالولاء، و التضــامن، وعلاقات القرابة خاصــة إذا تعلق الأمر بالمعاني السابقة. وهكذا تتمحور مشكلة الدراسة حول الفرض التالي:

تخضــع ممارســات الفاعلين في المجال الحضـري لهابيتوســات القبلية، الفاعل، المجال والتي تمثل رأس مال اجتماعي لهم يستثمرونه لتحقيق مصــالحهم الشـخصـية ومصــالح أفراد جماعتهم ومن خلال هذه اللممارسة يعاد انتاج العلاقات القبلية .

حالة اعادة انتاج بموجب الممارسة، والتي تعتبر أداة تحليلية هامة لفهم منطلقات الفعل وغاياته و من ثم ادراك ألية اشتغال المجتمع الحضـري والبنى المشكلة له. وتتركز هذه الدراســـة على أبعاد رأس المال الاجتماعي والمتمثلة في الثقة ،الفعل الجمعي والتعاون، الاتصال وحركة المعلومات، والاندماج والتماسك الاجتماعي.

في ضوء ماتقدم تحاول الدراسة التالية الاجابة عن الفرضيات التالية.

2-فرضيات الدراسة:

1. تزود القبيلة أعضاءها بالدعم الوجداني؟
2. يصل الفاعل ال إلى المصادر النادرة عن طريق شبكة العلاقات االقبلية؟

3. يعتقد الأفراد بوجود مرجعية تجانسية تجمعهم في القبيلة؟

4. يستطيع الأفراد حشد قبيلتهم للتضامن في موقف معين؟

3. أسباب اختيار الموضوع:

لا تخرج أسباب اختيار الموضوع عن إطار الإشكالية وبما أن الدراسة تتناول القبيلة في المجال الحضــري علاقات التفاعل والصــراع فإن الأســباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع تتمثل فيما يلي:

1. . معرفة طبيعة و بناء المجتمع المحلي
2. . استمرار الكثير من الممارسات القبلية في المجتمع الحضري.
3. دراسة خصائص النظام القبلي الاجتماعية والثقافية في المجال الحضري.
4. دراسة مدى تأثير الخصائص الحضرية على استمرارية النظام القبلي .
5. قلة الدراسات التي تناولت هذه المجتمع بالبحث، وبالتالي تسليط الضوء عليه أهم خصائصه المرحلية وميكانيزمات تفاعله و حراكه في الوسط الحضري.

4-الهدف من الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عما إذا القبيلة تمثل راس مال اجتماعي في المجال الحضــري يســتثمره أفراده لتحقيق مصـــالح مختلفة وكذلك الكشف عن ابرز مكوناته وركائزه المصلحية، وما إذا كانت بنيته معيقة لفاعلية الســـيرورة الحداثية وبالنتيجة الكشف عن مدى حضور القبيلة و الولاء لها و قوتها في المجتمع.

فالرساميل تضفي طابعاً مصلحياً متعدد الأوجه، وبالتالي تساعد في الكشف عن مدى حضور " شبكة العلاقات القبيلة " ومدى ما يتخللها من ثقة متبادلة، واعتمادية ، متبادلة، والتضامن الاجتماعي الذي يمكن أن يقود إلى تحرك جماعي فعال .و هذا

بـدوره يلبي الحاجة الوقوف على التحولات التي طرأت على بنية القبيلـة ، وشبكة العلاقات الاجتماعية وتكون رأس مال اجتماعي مجالي باعتبارات تقليدية في مرحلة حداثية.

5-الدراسات ذات الصلة بالموضوع:

إن معظم الدراسات التي تعرضت لموضوع القبيلة، لم تكن تعنى به كأطروحة مستقلة، بل جاء طرح الموضــوع ضــمن معالجة موضــوعات وقضــايا ذات صــلة به، مثل المشــاركة الســياســية، والقبلية والدولة، والتحولات الأســرية .ولذلك ســوف يتم عرض الدراسات السابقة وفق صلتها بالموضوع وليس وفق ترتيبها الزمني .

5-1-الدراسات العربية:

1-في دراســتها Linda Lyne لقد أشــارت لندا لاين الموســومة" :إنتاج وإعادة إنتاج الهوية القبلية في الأردن،أنه من أجل فهم معاني الهوية القبلية. في الأردن يجب أن يأخذ المرء في اعتباره العمليات التي بواســطتها يتم التفاوض حول المعاني بصــورة حوارية ولذلك ارتكزت دراســـتها على مقارنة بين جماعتين بدويتين في وادي الأردن وأعضاء الإنتلجنتسيا .وتوضح لاين أن كل من الانتلجنتسيا وجماعة البدو ناضلت من أجل تعريف معنى العضــوية في القبيلة وأنها تمثل طريقة حياة مقدســة ولت وتقهقرت وأظهرت الدراســة أن الولاء القبلي يتعارض مع جوانب أخرى من الهوية الجمعية مثل المواطنة الأردنية والأمة الإســـلامية، والأمة العربية، وأن الولاء القبلي يعتبر ركيزة أساسية في التعبير عن جوانب أخرى من الهوية، حيث أن الكثير من الأردنيين يعرفون أنفسهم بأنهم بدو رغم أنهم لا يعيشون في الصحراء، وهذا يعبد إنتاج الولاء القبلي من خلال الدلالة والمعنى والإدراك .

2-قد ظهرت إشكالية تعارض الولاء القبلي مع الهوية الجمعية في الدراسة التي أجراها كامل أبو جابر والموسومة " "بدو الأردن :شعب في طور التحول وقد أجريت هذه الدراسة في البادية الشمالية الشرقية في عام 1976 ، وفي البادية الجنوبية الشرقية في عام . 1977 وقد أظهرت نتائج الدراسة أن التقليد البدوي يميل إلى التأكيد على الولاء إلى القرابة والقبيلة أكثر مكان الإقامة، ولذلك فإن إحدى المشكلات الصعبة المتصلة بتطوير مناطق البادية تتمثل في النقص الكلي بالحس في المجتمع .ومن النتائج التي توصلت لها الدراسة أن معظم الآباء والأمهات الذين تمت مقابلتهم أكدوا أن طريقة حياتهم لا يرغبونها لأبنائهم .وعبروا عن ذلك بأن حياتهم قاسية، وأن أفضل مستقبل لأبنائهم أن يتحركوا نحو القطاعات الحضرية .وأن عليهم أن يعدوا أبنائهم من خلال التعليم ليدخلوا ولعل هذه :Abu Jaber) الأعمال خارج البادية1978) .النتيجة الأخيرة تظهر الجانب الذاتي في عملية الاستقرار والنزوع إلى الحضرية التي اكتمل مسارها في الوقت الراهن،ولكن رغم ذلك فإن التأكيد على الولاء القبلي وتعريف الذات بموجبه، كما أظهرت دراسة لندا لاين المشار إليها أعلاه .لا يزال مستمرًا. ومن التمثلات الرمزية التي تعيد إنتاج الولاء العشائري "المضافات "التي تعبر عن صيغة تضامنية للعشيرة، وتأكيدًا على" نحن "العشيرة،

3- بينت دراسة علي الشاوي والموسومة" التأثير السياسي للقبائل في دولة قطر :تأثير " الولاء القبلي على المشاركة السياسية إن القبيلة قد تزايدت وتأثرت في العلاقة بين القبائل والدولة بطريقتين :الأولى الحفاظ على الاستقرار حيث تحاول الدولة الموازنة بين مصالح القبائل القوية للحفاظ على ولائها، أنه في فترات الصراع (حرب الخليج مثلا)حاولت الدولة ضمان وحدة القبائل لتعزيز الأمن المحلي، واختزال مخاوف التهديد الأمني الخارجي .ومن هنا، فإن القبائل والقبلية ما تزال تلعب أدورًا سياسية هامًا في دولة قطر، والنظام السياسي ما يزال محكومًا بالمعايير والقيم القبلية. وبسبب تلك

الأدوار السياسية فإن الولاء القبلي له تأثيرًا هامًا على الانتخابات السياسية، ويعد متغيرًا تنبؤيًا بالسلوك السياسي المستقبلي لرجال القبائل .وإلى موازاة ذلك، أظهرت الدراسة أن هناك بعض المؤشرات الدالة على التحرك باتجاه المجتمع المدني .والتحديث السياسي، مثل حرية الإعلام وتحديث الدستور .وتأسيس دستور جديد وتبد يضمن انتخابات ديموقراطية.[1] هذه الإزدواجية واضحة في معظم الدول العربية حيث البنى المؤسسية والسياسة الحديثة التي تتعايش مع بنى اجتماعية تقليدية وتتحالف معها .

4- دراسة علي الزوبي الموسومة" التحضر، والقبلية، والزواج القبلي في الكويت المعاصر أن التحضر قد أحدث تأثيرًا هامًا على المجتمع الكويتي المعاصر من الناحية الثقافية بوجه عام ومن حيث التقليد القبلي بوجه خاص، فقد عمل التحضر على حصر حركة الجماعات القبلية في جماعات متمركزة وموحدة تقيم في أماكن مشتركة مما أحدث منافسة قبلية على المصادر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تمت مشاهدتها في الانتخابات الوطنية وفيما يتعلق بالزواج، فقد تحول من الخط النسبي إلى الزواج من داخل القبيلة حيث أصبحت العلاقات تؤسس بين أعضاء القبيلة من خطوط مختلفة .كما أن دور المرأة قد تغير في الثقافة القبلية وتزايدت أهميتها الاجتماعية،ومن الواضح أن ما توصلت إليه هذه الدراسة لا يختلف عن ما توصلت إليه دراسة الثاقب المبينة أعلاه، فالتحضر لم يحطم البنية القبلية والقرابية، بل أعادة تشكيلها وصياغتها بمنطق جديد وصور مستحدثة.

ورغم ما يمكن أن تقدمه شبكة العلاقات القرابية والانتماء القبيلي من مساعدات وعوائد يحققها الأفراد، كما بينت دراسة الثاقب، إلا أن هناك وجهات نظر مغايرة ترى في الولاء القبلي ما يهدد البناء الإجتماعي العام[2]، ومن قبيل ذلك، ما أكدته:

---

[1]Ali a. Hadi Alshawi .political influence of tribes in the state of Qatar: impact of tribal loyalty on political participation, proquest information learning company 2000p20.

[2]

5- دراســة على وطفة الموســومة" إشــكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصـــرة "حيث أن أغلب المجتمعات العربية يعيش تحت تأثير موجة من القيم التعصبية والتمييز العشائري القبلي والطائفي والإقليمي الذي ينخر عظام الوجود الثقافي في الحياة العربية المعاصــرة .وفي غمرة هذه الولاءات الضــيقة بدأ الإنســان العربي المعاصـر يتعرض لكل أشكال التمييز والتسلط ويعاني مختلف ألوان التعصب والقهر . وبدأت قيم التســامح تســجل غيابًا كاملا وتترك مكانها لقيم التعصــب الطائفي حينًا والعشائري أحيانًا.

وتؤكد الدراســـة أنه مع أهمية الوظائف الاجتماعية التي تقوم بها هذه الولاءات في المجتمعات العربية في ظل غياب الحياة الديمقراطية، فإن هذه الولاءات تناهض حركة التطور الاجتماعي وكبح جماح الحداثة بكل معانيها فهذه الولاءات بما تنطوي عليه من قيم عقلية ومعايير للوجود والتفكير والممارســـات تقاوم مختلف اتجاهات النهوض الحضــاري والتكنولوجي، وتخل بكل إمكانات النقلة الحضــارية الممكنة وتشــكل عامل هدم للتماســـك الاجتماعي الممكن في المجتمعات العربية .إن التأكيد على الولاء العشــائري أو القبلي يعاد إنتاجه في معظم المجتمعات العربية وتشــكل البنى التقليدية إطارًا مرجعيًا للولاء، في ظل غياب دولة القانون ,والمؤسـسـات والديمقراطية، والمجتمع المدني، وحقوق الإنســان، والحريات الإنســانية، بل إن هذه المســائل تتفاعل جدليًا مع الولاءات التقليدية، فتارة تدفع الولاء إلى الظهور، وتارة أخرى يدفعها الولاء المتعلق بحالة الدولة والمجتمع المدني وحقوق الإنســـان والفعل الاجتماعي المتعلق بحالة التكوينات الاجتماعية التقليدية التي تنتج قيم الولاء.[3]

[3]وطفة، علي اسعد، إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات .العربية المعاصرة، المستقبل العربي، العدد 28.

6-أجري مركز دراسات المجتمع في السودان دراسة لاستقراء الواقع القبلي من منطلق أنّ الولاء القبلى فى الســـودان حقيقة تاريخية وظاهرة إجتماعية لها مكوناتها الثقافية والســـياســـية والإقتصـــادية ، وهو مفهوم متجذر فى المجتمع الســـودانى ، ولقد ورثّت الحكومات السودانية بأنواعها المختلفة واقعاً إجتماعياً وسياسياً وإقتصادياً معقداً من حيث التباين فى الولاءات الحزبية والقبلية والجهوية ولم يتطور الوعى بالإنتماء القومى ، وحتى المناطق الحضـرية التى شـهدت بوادر الوعى القومى بدأت تشـهد الآن تراجعاً بسـبب الموجات الكبيرة للهجرة من الريف إلى الحضـــر نتيجة الجفاف والتصـــحر والنزاعات المســـلحة وعدم التنمية المتوازنة ، وأصـــبحت المدن إمتداداً للمناطق القبلية وإنتقلت الولاءات القبلية والجهوية من الريف إلى المناطق الحضـرية ، ومع غياب المؤســســات الإقتصـــادية والإجتماعية لتقديم الخدمات الأســاســية يلجأ المواطنون إلى آليات القبلية والعرقية والجهوية للحصول على هذه الخدمات الأساسية .

بالتأكيد أنّ نظم الحكم التى تعاقبت على الســـودان قد كان لها دور دور فى التصـــاعد الحالى للولاءات العرقية والقبلية والجهوية وذلك بعدم إهتمامها الكافى بالتنمية المتوازنة وإغفالها تأسيس البنيات التحتية مما أعاق نمو الوعى بالإنتماء القومى ، وتحول الإنتماء العرقى والقبلى والجهوى إلى أيدولوجيا سياسية توجه الصراع السياسى وتحوله إلى نزاع مسلح يقوم على المطالب وليس على الإحتياجات المشروعة وهذا يفسر الحالة الجديدة للصراع فالصراع المتجذر فى السودان أصبح يعبر عنه بصراع الهوية.

هدفت الدراسة إلى إستقراء أراء المبحوثين حول ظاهرة تنامى الولاءات القبلية وأثرها على الوحدة الوطنية فى السودان.

إســـتخدمت الدراســـة الإســـتبيان كأداة لجمع البيانات للإحاطة بجميع جوانب القضـــية والعوامل التى تؤثر فيها لإلقاء الضوء على الوضـع الراهن ، وإشتملت الدراسة على ستة

محاور رئيسية: 1/ الخصائص الديموغرافية والاجتماعية لعينة البحث، 2/ الانتماءات القبلية والجهوية 3/ العلاقات الاقتصادية والسياسية بين القبائل، 4/ أسباب الولاءات القبلية والجهوية 5/ الإيجابيات والسلبيات لهذه الولاءات في رأي المبحوثين، 6/ وسائل وسبل تعزيز هذه الإيجابيات ومعالجة السلبيات،كما تضمنت الدراسة أسئلة عن أسباب تنامي الولاءات القبلية والجهوية في الوقت الحاضر وما هي الطرق الفاعلة لتجاوز هذه الصراعات ومعالجتها وهنالك مجموعة من الأسئلة لتوضيح آراء المبحوثين حول اختيار شاغلي المناصب الدستورية والتنفيذية وقيادات الإدارة الأهلية، ومستويات الحكم المختلفة .

إعتمدت الدراسة طريقة العينة العشوائية المنتظمة وتمّ إختيار عينة حجمها (3000) أسرة موزعة على محليات ولاية الخرطوم المختلفة.

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التى تمثل مؤشرات هامة منها بإختصار :-

1/ 67% من جملة المبحوثين يؤكدون ارتباطهم الدائم بالقبلية، ويعتبر التعلم محدد رئيسي لدرجة الارتباط القبلي فترتفع درجة الارتباط مع تحسن المستوى التعليمي والثقافي للمبحوث.

2/ تعتبر اللغة العربية مؤشر اندماج بين القبائل في المجتمع بينما ما زالت اللهجات المحلية معتمدة في التخاطب بين أفراد القبيلة الواحدة.

3/ تفاوت آراء المبحوثين حول الهوية السودانية 66% يعتقدون أن الهوية هي الافروعربية،21% يعتقدون العربية بينما 13% يعتقدون أن الهوية هي الأفريقية.

4/ 64% من جملة المبحوثين حريصين على العادات والتقاليد القلبية.

5/ 58% من مجموع القبائل المســـتهدفة بالدراســـة لها روابط ودور وأندية ومنظمات اجتماعية واقتصادية وسياسية.

6/ 60% من جملة المبحوثين لا يعتقدون أن هنالك تهميش لبعض الثقافات والتراث القبلي في مقابل 36% يعتقدون بوجود تهميش مبرر لبعض الثقافات القبلية.

7/ 34% من جملة المبحوثين يعتقدون أن الســبب الرئيســي لتنامي الولاءات القلبية هو قلة الموارد وسؤ توزيعها في مقابل 24% يعتقدون أن ضعف الحكومة وأجهزتها الرسمية هو السبب في ذلك.

8/ 45% من جملــة المبحوثين يعتقـدون أن الإدارة الأهليـة هي الأكثر فـاعليـة في التصدي للصراعات القلبية مقابل 25% للحكومة.

9/ تعتبر طريقـة الانتخـاب الحر في نظر 77% من المبحوثين هي انســـب الطرق لاختيار شاغلي المناصب القيادية في الإدارة الأهلية.

10/ يؤكد 64% أن تأثير الولاء القبلي أمر سـلبي على المسـتويين المحلى والقومي وإن التعليم والتنمية المتوازنة والعدالة في توزيع الموارد والآليات كفيلة بالحد من آثار الولاء القبلي السالبة.

11/ 58% من جملـة المبحوثين يعتقـدون أن الصـــراعات القبليـة يمكن أن تؤدى إلى التدخل الأجنبي بالسودان.

<u>2-5- الدراسات المغاربية :</u>

1- "**سـوسـيولوجيا القبيلة في المغرب العربي** " من "**انجاز محمد نجيب بو طالب** " و هي عبارة عن جزء معدل من أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع نوقشـــت بتونس ســـنة 1999 و استغرق إعدادها عقد من الزمن .

جاءت هذه الدراســة كما ذكر نتيجة انكباب على القضــايا التاريخ الاجتماعي الحديث و المعاصر لمجتمعات المغرب العربي خصوصا و المجتمعات العربية المشرقية عموما ، و بدا الاهتمام يتجه من العام الى الخاص و هذا بعد اطلاعه على جميع المدارس الاجتماعية و معايشـــة مفاهيمها و مقاولاتها مع متابعة قلقة لتطبيقاتها و مقاربتها بالواقع المحلي .

<u>أهداف الدراسة :</u>

إن الهدف الأســـاســـي الذي يكمن من وراء هذا البحث يتمثل في العمل على إجلاء إشكالية استمرار الظاهرة العروشية في المجتمعات المغاربية المعاصرة.

كما يهدف هذا البحث إلى دراســـة نظاهر تواصـــل بعض محددات البنية الاجتماعية القبيلة في العالم المعاصـــر ، و هي بنية ما انفكت في الفترة الأخيرة تحرك واجهات الأحداث محليا و إقليميا و دوليا .

<u>إشكالات الأساسية :</u>

- الإشكالية النظرية : أزمة المقاربات أم أزمة المجتمع ؟

من الإشـــكالات التي يطرحها هذا البحث ما يتعلق بالاختبار بعض الأطروحات التي تراكمت عبر إنتاج المعرفة العلمية حول مجتمعات المغرب العربي ، بدءا بابن خلدون و علم الاجتماع الفرنســـي (هانوتو ، ولوتورنو) و تنظيرهم حول المســـالة القبيلة التي انقطعت مع مونتاني وصـــولا الى الانتربولوجية التقليدية الوظائفية ، كما يســـعى البحث

إلى مزيد من التدقيق و التحري في المفاهيم و النماذج للفصل بين المستوى المعرفي في دراسة الظواهر و بين المستوى الإيديولوجي و تأثير إسقاطات النزعة المركزية من جهة اخرى

يرى الكاتب نفسه في غنى عن استعادة التصور الخلدوني ، و ينعته و بالتصور السكوني ذي التاريخ الدائري ، و مبرره في ذالك هو انه اشبع بحثا و نقدا .

من جهة أخرى ضرورة إعادة النظر في مدى قدرة بعض المفاهيم التي استخدمتها الانتربولوجيا الكلاسيكية في تحليل و دراسة المجتمع القبي المغاربي ، حيث يفقد مفهوم "الجد الأسطوري دعائمه على ارض الواقع الحديث و المعاصر و يتحول "الجد"إلى رمز الوحدة الاجتماعية .

حيث لعبت المكونات الاجتماعية و الجغرافية و السياسية دورا أساسيا في هيكلة القبيلة في شكلها الحديث نسبيا ، و حل تضامن اجتماعي محلي في مواجهة الكوارث ، مما أدى إلى الاشتراك في نمط إنتاج عائلي استهلاكي بسيط يلعب فيه النشاط التجاري دورا مهما من حين إلى أخر .

أم قراءة التاريخ الاجتماعي كانت غائبة عن اغلب الدراسات من إتباع المدارس السوسيولوجية و الانتربولوجية الأولى و منه يبرز التساؤل الأساسي التالي :

ما مدى مصداقية تعميم و تطبيق الأطروحات و المفاهيم التحليلية حول أنماط الإنتاج و التشكيلات (المركزية)على المجتمعات المحلية و مجتمعات الأطراف و هوامش الدولة في تاريخ الوسيط و الحديث خصوصا ؟

– الإشكالية التطبيقية : اثر التحديث في البناء الاجتماعي ، تواصل أم قطيعة ؟

تشــكل الأحداث اليومية في الأرياف المغاربية هاجســا بالنســبة إلى الباحث الاجتماعي المتخصـــص كما تطرح عليه تســاؤلات عميقة حول مصـــير الأحكام النظرية المتعلقة بالتحول الاجتماعي و حضـــور الدولة ، و كذا حول تبلور ادوار الفاعلين في المجتمع المدني و مدى تفكك البنى التقليدية و انتشــــار نظام التحديث و تبدل هوية الأنماط الاتساقية الجديدة .

و على الرغم من طول فترة إعلان بعض هذه البلدان عن تبنيها للتحديث ما زالت مجتمعاتها أو أجزاء منها تتعرض إلى بعض النزاعات و الثورات بين "القبائل" أو "الطوائف" و تتعرض اجهزة الضـــبط الاجتماعي و الأمني فيها إلى تحديات خطيرة ســـرعان ما تحاول الالتفاف عليها من خلال تكتيكات التأجيل و التأجيل **أو** التهميش ، أما تعبيرا عن عدم القدرة على حســمها و أما إلغاء أســباب وجودها أو تواطؤها معها ، كل ذالك يبعث في الباحث قلقا معرفيا و منهجيا لا يزول إلا عبر إعادة تفكيك الواقع و تقليب أدوات تحليلية و البحث في خباياه عن آليات حركته الفعالة .

و لذالك يكون بمكان تتبع اثأر الحراك الاجتماعي المكاني و التنظيمي و الطبقي داخل الفضـــاء التقليدي للهياكل القبلية تتبعا علميا يهدف إلى معرفة مدى عمق التحولات الاجتماعية و الاقتصادية .

فما هو المدى الذي تســتطيع من خلاله بقايا التحالفات القبلية أن تســتمر في المظهر الموســـمي في ظل نظام اجتماعي تحكمه مجددات الدولة الوطنية ؟ أو إلى إي درجة اســتطاعة إجراءات الدولة بعد الاســتقلال أن تنفذ إلى تفكيك ركائز البناء ألقبلي و أن تحقق برامجها في الإدماج الوطني و التنمية الشاملة ؟

فرضيات البحث :

لم تســـتطع إجراءات التغيير أن تلغي البنية القبلية و تفككها في كل المســـتويات و في جميع الدول خصوصا في المستويين الثقافي و النفسي .

فرضية القطيعة و التواصل:

تقوم هذه الفرضـــية على أســـاس أن التحولات قد أدت إلى خلخلة البناء الاجتماعي و تفكيك البني التقليدية و إحلال بني و علاقات جديدة ، لكن هذه الصـدمة لم تستطع بعد إلغاء المحددات النفسـية و الثقافية للبنى التقليدية التي بقيت تتمظهر في إشـكال متخفية ، و في مقابل انقطاع تلك البني و تفكيكها بشـــكل درامي عبر التحديث تعتبر ظواهر القرابية و العشـــائرية و الطائفية الجهوية تعبيرات عن ردة فعل اجتماعية محلية على تحطيم البنية القبلية و لكنه لم يقضي عليها .

ازدواجية المواقف :

ثمة أطروحة سـياسـية تعتبر أن الدولة في العالم النامي ، بقدر مقاومتها لهذه الهياكل التقليدية في جيلها الأول ، إي مع بداية الاسـتقلال تتعامل معها جزئيا او كليا في جيلها الثاني فهناك دول تعتمد على إثبات شـرعيتها لضـمان اسـتمرار تحكمها و اسـترجاع إشعاعها عن طريق التوظيف العصبيات القبلية أو الطائفية ، و ذالك بعد أن كانت في العقود الأولى للاستقلال تعتمد على الشرعية السياسية المستمدة من النضـال من اجل التحرير والبناء البناء الوطني و نزع بقايا الاستعمار .

منهج الدراسة :

فرضـت طبيعة تناول هذا الموضـوع على الباحث المنهج ألتعددي ، و هذا نظرا لتشـعب أبعاد الموضوع و تمثل في التالي :

– المنهج التاريخي المقارن : وهو يعتمد على دراسة الظواهر التي تفرض نفسها لتحليل الإشكاليات و الفرضيات في سياقها التاريخي و في أبعادها الاجتماعية المختلفة.

– المنهج الجدلي : و يفضي لمتابعة عملية التغير الاجتماعي خصوصا في متابعة العلاقة بين البناء الفوقي و البناء التحتي .

– منهج نظرية الصراع الاجتماعي : الذي يمثل أداة للبحث في آليات الحركية الاجتماعية في المجتمع القبلي و الجدليات الاجتماعية .

المنهجية الاثنية :(Ethnomethadologie) و خصوصا في متابعتها ليتشكل الوضعية الاجتماعية للفاعلين الاجتماعيين ، ضمن ممارساتهم اليومية ،و الكشف عن الرموز التي يلجأون إليها لتشكل كينونتهم و تنفيذ استراتيجياتهم ، فالتفاعل بين ألانا و الأخر هو تفاعل رمزي ، لذالك فالدراسة تستفيد من المقاربات التفاعلية الرمزية خصوصا في تركيزها على الفعل و التفاعل و الرموز ، و هي عناصر تساعد بشكل خاص على فهم الممارسات الطقوسية و هي ممارسات يتكرر وجودها في المجتمع ذي التقاليد القبلية .

نتائج الدراسة :تمثلت نتائج الدراسة فيما يلي :

– استجلاء الخلط الحاصل حول مفهوم القبيلة و الاثنية ، و النتائج عن اختلاف سياقات التناول ، الذي أدى بدوره إلى اختلاف تحديد المفاهيم .

– كما تتمثل الإضافة الحقيقة لهذه البحث في الدلالات التاريخية المحلية ، و التي حملها الواقع الاجتماعي للبحث ، كالعرش و الميعاد و علاقات الصحبة و الرعية بين المجموعات في القبلية المحلي و المغاربي ، و بمعنى أخر إن عولمة المفاهيم الاجتماعية زادت من غموض صورة الواقع الاجتماعي ، و اختفت في كثير من الأحيان الخصوصيات الثقافية و الاجتماعية .

– تبين أن اغلب الأحداث السـياسـية و العسـكرية و الدينية التي تطبع الصـراعات في البلدان الجنوب ، تحركها نوازع ما "تحت الوطنية "، كالقبيلة و الاثنية و الطائفية ، هذه المحددات التي كثيرا ما تكون متداخلة او متعاقبة تمثل القاســم المشــترك لأغلب هذه المجتمعات .

– من خلال المقارنة بين واقع القبلية الراهن بين المشـرق و المغرب أفادت الدراســة بما يلي:

– حضور المعطي القبلي في الخطاب اليومي يحظى بمكانة كبيرة في المشرق أكثر من المغرب و هذا ما يجسده الخطاب الإعلامي السياسي و الثقافي (تواتر المصطلحات : الربع،الجيرة ،الأهل ، الآل ، العشـــيرة القبيلة ...) ، و لعل مرد ذلك الى المراقبة التي ميزت تدخل الدولة في المغرب العربي هي التي تفســـر من هذا الاختلاف كما اعتبرت القبيلة معطي نكوصيا يعطل البناء الوطني .

– في المشـــرق العربي كثيرا ما تتطابق الظواهر القبلية و الظواهر الطائفية ، بل إن الحضور الطائفي يتخذ لبوسا اثنيا ، بينما ساهمت التركيبة الدينية المذهبية (المالكية) في المغرب العربي في تقليص الانقسامات الاجتماعية .

– لقد تعاملت الدول الوطنية في في مجتمع المغرب العربي بأسـلوب متوتر مع المعطي القبلي الذي لم تعترف به رســميا ، بل اعتبرته عنصـــر شـــد للوراء، و لقد وجدت في المناطق الريفية ،لكنه يختفي وراء موقف رسمي يعلن القطيعة و عدم الاعتراف.

5–2–الدراسة الحالية:

إن الدراســة الراهنة، وإن كانت تتقاطع مع الدراســات الســابقة في بعض القضــايا المطروحة، أو في بعض غاياتها، إلا أن ما يميزها هو وقوفها على بنية القبيلة

ومكوناتها الداخلية وآليات إعادة انتاجها وتشـــكلها. وفق اطار نظري راهن على نظرية الممارســة لبيير بورديو، كما أنها محاولة لفهم واقع وســيرورة المجتمع المحلي ومحاولة فهم شفرة الجعلية الكونية للقبيلة وتدافعية الفاعل المديني.

6-المفاهيم الاجرائية للدراسة:-

إن تحديد المفاهيم في البحوث الاجتماعية[4] يلعب دورا كبير في توضـــيح محتوى الدراســة كما يلعب دورا اكبر في بلوغ الباحث المقصـد الذي يريد الوصـول إليه ، وهنا تحضـــرني مقولة شـــهيرة "لفوليش" (قبل ان تتحدث معي حدد مصـــطلحاتك) ومن هذه المقولة نفهم ان المصطلح هو الذي يحدد الفكر وان المصطلح هو الذي يحدد المستوى العلمي كما ان للمصـــطلح أهمية تحديد التخصـصـــات ، وان لكل تخصــص مفاهيمه ومصطلحاته الخاصة به.وقد تتعدد المفاهيم وتتداخل فيما بينها من اجل الوصف الدقيق للقضـــية الواحدة وخاصـــة في علم الاجتماع لأن هذا الأخير يهتم بدراســة كل ما هو موجود في المجتمع وخـاصـــــة الجـانـب الـديـنـاميكي الـذي يعمـل على تغير وتطور المصطلحات وهذا مربوط بتغير وتطور الظواهر المدروسة .

فالمفهوم في علم الاجتماع يحمل عدة دلائل وتفسيرات ، كما ان النزول بالمفهوم بمستواه النظري الى الواقع والعودة بالمفهوم بمســـتواه الإجرائي يكون بمثابة المعضـــلة يجب الوقوف عندها فلا يمكن للباحث ان ينطلق من مفاهيم نظرية وبعد النزول للميدان يعود بنفس المفاهيم ومن هنا نبدأ بالمفاهيم النظرية.

1. **الممارسة**: دل على مجموع النشاط الإنساني أو الخبرة الكلية للإنسانية في تاريخ تطورها، فهي تراكمات للتاريخ العالمي المعبر عن تنوع علاقات البشــر المتبادلة مع الطبيعة، ومن ثم علاقاتهم ببعضهم في عملية الإنتاج.

4 - البستاني ، فؤاد إفرام وأخرون ،منجد الطلاب ، دار الشروق ، بيروت ، ط22 ، 1978، ص330.

2. **الفعل الاجتماعي** : يُســـتنتج مفهوم الفاعل الاجتماعي من مفهوم العلاقة الاجتماعية، الفاعل الاجتماعي هو بالفعل طرف فردي أو جماعي، فهي علاقة اجتماعية محددة كصـــلة تعاون ونزاع. وبناء على ذلك يتحدد مفهوم الفاعل الاجتماعي بالضـــرورة بعدين يحدد أولهما بقدرة الفاعل على التعاون، ويحدد الثاني بقدرته على التعديل والتغيير في إطار صلة نزاعية. ويمكن أن تبنى أنماط مختلفة من الفاعلين انطلاقاً من عمليات مزج يمكن تصورهما منطقياً على قاعدة هذين البعدين "التعاون والنزاع".

3- القبيلة : عبارة عن بناء وتنظيم اجتماعي الذي يشـــمل جميع الجماعات المحلية مثل القرى والبلديات والعشـــائر ،بحيث أنها تقطن في إقليما مشـــتركا وتتحدث لغة واحدة ، وتســـودها ثقافة مشـــترك وتركز على مجموعة العواطف الأولية البدائية

4_ جماعات الانتماء: النزعة التي تدفع الفاعل للدخول في إطار اجتماعي فكري وثقافي معين، بما يقضـــيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار، وبنضرته والدفاع عنه في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية" .

5-الهوية الجماعية: فهي تلك الصورة التي تشكلها جماعة معينة عن نفسـها، وأن تنشـأ من الداخل (من داخل الأفراد) باتجاه الخارج (تداولها داخل الجماعة). وهي التمســك بالذاكرة الجماعية، والتي هي إعادة الماضـــي، لذلك نجد أن لكل مجال عمراني واجتماعي ذاكرته الاجتماعية والجماعية الخاصـــة به، والتي تميزه عن غيره.

6-إعادة الإنتاج: عمليات إعادة إنتاج بسيطة تتميز بدوام الإنتاج واستقرار علاقات الإنتاج اي يتم اســتبدال الأفراد مع الزمن و لكن النظام يعيد إنتاج نفســه بشــكل مماثل .

ان عمليات إعادة الإنتاج ليســـت قابلة للملاحظة فقط في المجتمعات التقليدية ، لقد برهن علم الاجتماع التنظيمات مثلا ان نســـقا تنظيما يمكن ان يعيد إنتاج نفســـه حتى ولو كان غير فعال او غير مرض من وجهة نظر الفاعلين الذين يتكون منهم هذا النظام ،ويكفي لكي يعيد النظام إنتاج نفســـه إلا يكون أيا من الفاعلين مدفوعا للتحرك من اجل تحويله ، وقد وصـــف كروزي نظاما من هذا النمط تحت اسم قانون الاحتكار في الظاهرة البيروقراطية .

7- **<u>الهابيتوس</u>:** نســق من التكوينات الإدراكية المكتســبة عبر الزمن والتربية والتنشــئة والأوضـــاع الاجتماعية. والهابيتوس وفقا لهذا التصــور يشــكل الطاقة الفعلية التي تقوم بتوجيه سلوكات الفرد أو الجماعة اعتمادا على مرجعية معينة تقع في البنية الذهنية.

8- **<u>المجال</u>:** معلم زماني مكاني لعمليات التدافع، التعاون ، الصراع.

9- **<u>رأس المال الاجتماعي</u>:** شبكة العلاقات الاجتماعية التي ينخرط فيها الفرد، ويحقق من جراء ذلك مكاسب مادية ومعنوية.

10-**<u>الدعم الوجداني</u>:** حالة الأمن الســيكولوجي والاســتقرار الشــعوري الذي يحققه الفرد عند انخراطه في شبكة العلاقات القبلية وثقته بها.

11- **<u>الوصـــول إلى المصـــادر النادرة</u>:** المكتســـبات والمنافع المادية التي يحققها الفرد بموجب ولائه للعشيرة كالمال، والعمل، والحصول على المعلومات، والحراك الرأســي، والهيبة، والقوة والنفوذ.

12-**<u>المرجعية التجانســـية</u>:** التماثل الثقافي والاجتماعي والفكري الذي تكرســـه شـــبكة العلاقات العشائرية، بحيث تمثل الإطار المرجعي للتضمين والاستبعاد.

13-**القدرة على حشــد التضــامن:** الأمن الاجتماعي والقوة الاجتماعية التي يســتمدها الفرد عن طريق ولائه للقبيلةبحيث يكون قادر على حشـد أعضـائها وتنظيمهم والتصـدي لأزمة معينة أو مشكلة ما، أو القيام بعمل جماعي معين.

14-التشــبيك مع العرش (القبيلة):انخراط المصــلحي في شــبكة العلاقات وحضــور المناسـبات والاجتماعات والمشـاركة في النشـاطات والاسـتعداد لتقديم المسـاعدة.القبلية وذلك عن طريق التواصل المستمر.

فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
1.	خصائص عينة الدراسة: المتغيرات الشخصية، المستوى، التكرار، النسبة المئوية.	191
2.	الدعم الوجداني ضمن شبكة العلاقات القبلية.	193
3.	الوصول الى المصادر النادرة ضمن شبكة العلاقات القبلية	195
4.	المرجعية التجانسية ضمن شبكة العلاقات القبلية	197
5.	القدرة على حشد التضامن من خلال شبكة العلاقات القبلية	199
6.	التشبيك مع القبيلة	202
7.	مكونات الولاء القبلي كرأس مال اجتماعي	205
8.	نتائج تطبيق التباين الأحاديANOVA) (على الأداة ككل تبعاً لمتغيرات "العمر، المستوي التعليمي، ,الحالة الاجتماعية، الحالة العملية	206
9.	نتائج تطبيق اختبار Independent Samples T-Test)(على الأداة ككل تبعاً لمتغير (هل تقيم في مكان تواجد عشيرتك).	208

فهرس الخرائط

الرقم	عنوان الخريطة	الصفحة
1.	**الموقع الإداري لمدينة باتنة**	154
2.	**طبيعة وأشكال النمو الحضري بمدينة باتنة**	163

فهرس الاشكال

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
1.	التفاوض على الهوية بين الذات و المجتمع	141
2.	تشكل الهوية داخل الفضاء الاجتماعي	143
3.	اشكال تأثر الهوية الذاتية بالهويات الاجتماعية المسندة	143
4.	تأثير البيئة الاجتماعية الثقافية على الفرد	144
5.	عملية بناء الهوية الذاتية	146

فهرس المحتويات

شكر وتقدير	الصفحة
مقدمة	أ–ت
الفصل الأول: الإطار المنهجي	
1–الإشكالية:	1
2–فرضيات الدراسة.	4
3– أسباب اختيار الموضوع.	5
4–الهدف من الدراسة.	5
5–الدراسات ذات الصلة بالموضوع.	6
6–مفاهيم الاجرائية للدراسة.	18
الفصل الثاني: المقاربة النظرية	
تمهيد	23
أولا– نظرية الممارسة العلمية لبيير بورديو	23
1–1– أهم المفاهيم الأساسية عند بيير بورديو	25
1–1– الحقل السوسيولوجي	25
1–2–رأس المال	26
1–3–الهابيتوس	28
1–4–اللا وعي الإجتماعي	29
1–5–المجال	30
1–6–الفضاء الإجتماعي	30
2–الممارسة عند بورديو	32

1-استراتيجيات إعادة الإنتاج	32
2-استراتيجيات إعادة التحويل	32
3-ميكانيزمات التفاعل بين مفاهيم النظرية	34
3-1-العلاقة بين الحقول	34
3-2 – العلاقة بين رؤوس الأموال	35
3-3-الحقل كمسرح للتفاعلات	36
ثانيا- الهابيتوس	37
1- الهابيتوس في فكر بورديو	37
2-أنماط الهابيتوس	40
3- مستويات الهابيتوس	42
4-سمات الهابيتوس	43
ثالثا- رأس المال الاجتماعي	44
1-نشأة رأس المال الاجتماعي	44
2- مقاربة مفاهيمية لرأس المال الاجتماعي	46
1-رأس المال عند بيير بورديو	46
2-رأس المال الاجتماعي عند كولمان	47
3-رأس المال الاجتماعي عند بوتنام	47
3- .أهمية رأس المال الاجتماعي	48

4- أبعاد مفهوم رأس المال الاجتماعي	49
5- مكونات رأس المال الاجتماعي وخصائصه	52
6- صور رأس المال الاجتماعي	55
الفصل الثالث: القبيلة وأشكال المجتمعات	
تمهيد	60
أولا –القبيلة	61
1 – مفهوم القبيلة	61
2-القبيلة عند ابن خلدون	65
3-القبيلة عند دارسي المرحلة الاستعمارية	65
4-القبيلة عند علماء الاجتماع المحدثين	67
-3 نظريات دراسة القبيلة	68
3-1- المدرسة الكولونيالية	68
3-2- المدرسة الانقسامية	72
3-3- المدرسة الماركسية	75
4-القبيلة و الإثنية	78
5- ملامح الدراسات الاجتماعية حول القبيلة في الجزائر	79
1- الدراسات الاستعمارية	79
2-الدراسات المحلية	80

6- وظائف القبيلة	80
ثانيا :أشكال المجتمعات.	83
1- المجتمع الريفي	83
1-1 -تعريف المجتمع الريفي	83
1-2- خصائص المجتمع الريفي	84
1-3-أشكال الاستيطان الريفي	86
2- المجتمع الحضري	87
2-1-تعريف المجتمع الحضري	87
2-2 - خصائص المجتمع الحضري	89
2-3 -العلاقة بين الريف والحضر والحياة الاجتماعية	93
3- المجتمع التقليدي	93
3-1- تعريف المجتمع التقليدي	94
3-2-خصائص المجمع التقليدي:	95
الفصل الرابع: المجال الحضري و الفضاء المديني	
تمهيد	101
أولا: المجال	102
1-1-البعد الفلسفي للمجال	102
1-2- المجال في العلوم الاجتماعية و الانسانية	105
1-3-المجال، السلطة، الرمز	108
2- التحديد المرفولوجي للمجال الحضري	110
3-التحديد الإحصائي للمجال الحضري	111
4- التحديد السوسيولوجي لمفهوم المجال الحضري	112

5- التحديـد الوظيفـــي للمجال الحضري	114
6- التحضر وخصائص المجتمع الحضري الجزائري	115
6-1-مراحل التحضر في الجزائر	115
6-2-عوامل التحضر في الجزائر	117
6-3-الهجرة الريفية والتغير القيمي للمجتمع الحضري في الجزائر	118
ثانيا: الفضاء المديني	120
1- الفضاء الرياضي	120
2- سيميائيّة الفضاء	121
3- تمثّلات الفضاء	125
4 - مفهوم الفاعل المديني	127
5 . الذاكرة الجماعية والسلوك الفضائي	129
6 – الرمزية الإجتماعية	133
6-1-أصناف الرمزية	135
7-الهوية كمفهوم اجتماعي	135
8- الهوية متعددة الأبعاد	137
9- الهوية الذاتية، والهوية الاجتماعية المسندة	138
10-هوية الفرد تتكيف مع تأثيرات محيطه الاجتماعي	141
الفصل الخامس:التطور التاريخي و العمراني لمدينة باتنة	
تمهيد	148
1-مدخل عام لإقليم مدينة باتنة	149
1-1- أصل التسمية	149
1-2- نبذة تاريخية حول نشأة المدينة	149
2-الخصائص الجغرافية لمدينة باتنة	151
3-الخصائص المناخية لمدينة باتنة	153

4-موضع المدينة	154
5- مراحل التوسع الحضري و التطور العمراني في مدينة باتنة	155
6-خطة نمو مدينة باتنة	160
7-النمو السكاني	164
8- العوامل المتحكمة في نمو سكان مدينة باتنة	167
9-الأصل الجغرافي لسكان المدينة	169
الفصل السادس: الاجراءات المنهجية وتحليل النتائج	
أولا- مجتمع البحث و طريقة سحب العينة و المنهج المستخدم	176
ثانيا:تحليل النتائج ومناقشتها	191
المراجع	--
الملاحق	--

مقدمة:

منذ أن انخرط العالم العربي بمكوناته الاجتماعية التاريخية المتنوعة في سياقات العصر الحديث، وخصوصًا بداية من القرن التاسع عشر، استقرت في قلْب مجال الأدبيات السوسيولوجية، والأنثروبولوجية، والسياسية الخاصة به، جملة من الإشكاليات العملية والمعرفية، تجمعت ضمن عنوان اسمه "القبيلة".

من الناحية التاريخية، ليست القبيلة، بوصفها ثقافةً وفكرةً ووحدةَ تصنيفٍ وانتماءٍ وفعلٍ، شيئًا جديدًا تجلَّى عندنا بدخول العالم في عصر الحداثة بمعناه الواسع. وليس العالم العربي وحده من حمل في نسيجه التاريخي عنصر القبيلة بالمعنى الشائع للفكرة. ولم يتفرّد مجاله المعرفي بالتحقيق والبحث في هذه المسألة. لكنّ العلاقة عندنا بين العصر الحديث والقبيلة مميزة، وتطوراتها المعاصرة أكثر إثارةً، بخاصة إذا نظرنا إليها من زاوية الأحداث الجارية حاليًّا في عالمنا العربي، بناءً على الإرث السياسي والمعرفي الذي تطور بشأنها – بشقيه الداخلي والخارجي - وكذلك الاستخدامات الراهنة للانتماءات والتصورات المتعلقة بها.

وموضوع القبيلة ليس موضوعًا عاديًّا ، إذ إنّه يتحوّل في كل منعطف تاريخي حاسم إلى ما يشبه الشبح، نَخَال أنه موجود ولا نجد ما نستدلُّ به على وجوده الموضوعي، ونطرده من مخيلتنا فيجزم بعضنا أنه رآه متلبسًا بالأحداث متواريًا في ثناياها.

والواقع أنّ الموضوع لا يُطرح انطلاقًا من الزوايا نفسها في مختلف أرجاء العالم العربي، وذلك لأسباب تاريخية معروفة تتعلق بتاريخ تشكُّل الدول هنا وهناك، وبعلاقة النُخب السياسية الجديدة بالمجتمع القَبلي، وبالاستخدامات السياسية لروابط القرابة ولفكرة القبيلة، وبالإرث الاستعماري المعرفي في هذا المجال، وبنمط التحولات الاجتماعية التي عرفتها بلداننا بعد الاستقلال. وفي الحصيلة العامة، تحكَّمَ في النقاش المعرفي المختص بشأن هذه المسألة مدخلان نظريان رئيسان:

أمّا المدخل الأول، فهو وضعي، وهو يَعُدُّ القبيلة في حُكم الشيء الخارجي الذي يمكن مقاربته، وتعرُّفه، وتحليله، وتصنيف مكوناته إلى حدّ استخدامها برؤية اجتماعية هندسية. وقد تولدت من هذه المقاربة أشهر نظرية أنثروبولوجية سادت فترة طويلةً نسبيًّا في دراسة المكونات المجتمعية للعالم العربي، وهي النظرية الانقسامية (مونطاني، وبريتشارد، وغلنير.. إلخ). وقد كان هذا مسار أصحاب الإرث الدوركايمي، وإلى حدٍّ ما الماركسي، ثمّ ورثته منهم أقسام كبيرة من الباحثين المحليين والأجانب، على الرغم من بوادر الشك في نتائج هذه المقاربة التي انطلقت منذ خمسينيات القرن العشرين (جاك بيرك).

وإنّ الشك لم يأتِ في هذا السياق من جهة أنّ الرابطة القرابية، ونمط الانتشار في الفضاء، والمبدأ الانقسامي الذي نُسب إلى القبيلة، عناصر تُشكِّل في الواقع أيديولوجيًا أكثر من كونها تجسّد وقائع إمبيريقيةً ومبادئ تُحدّد سلوك الأفراد في كل الأوضاع فحسب، بل من جهة وحدة القبيلة، وتجانسها، وقدرتها على القيام بوظائف متناسقة وفعالة أيضًا؛ ما يسمح بالتعامل معها تحليليًّا كوحدة تفسيرية تُعدُّ فكرةً لا تاريخيةً.

وأمّا المدخل الثاني، فقد جاء نقضًا للمقاربة الأولى، عادًّا أنّ القبيلة ظاهرة ثقافية ليست لها تجسدات موضوعية يمكن تشييئها بسهولة وفق المبدأ الوضعي السببي، وأنّ الانتماء إليها سياقي، ذو معانٍ متعددة، وأنّ مرتكزاتها التي تتحدث عنها المقاربة الوضعية هي في الحقيقة تركيبية، وتخضع باستمرار لتأويل الفاعلين فيها من الداخل ومن الخارج (غيرتز، وإيكلمان.. إلخ). ومن ثمّة أعادت هذه المقاربة للأفراد الذين ألغتهم المقاربة الوضعية - الوظيفية بعض الأهميّة، ولو أنّ الصندوق الأسود للقبيلة لم يُفتح تمامًا؛ لأنّ سرّ المعايير الثقافية المرجعية شبه الثابتة التي يعود إليها الأفراد في سياقات مختلفة لممارسة عملية تأويل الانتماء القَبلي بقيَ غامضًا.

لكنّ الموضوع كما ستطرحه الدراسة يستند إلى ماسبق وتحاول تجاوزه معتمدتا على البراديغم البورديوي وسيرروة المعادلة التفاعلية للمفاهيم التوالفية للذلك اتبعنا التسلسل الفصلي التالي :

الفصل الأول: تضمن الاشكالية و الفرضيات التي صيغة وفق الفرض الرئيسئ ، وعرض أهم الدراسات السابقة العربية منها و المغاريبية.

الفصل الثاني : يبين الاقتراب المنهجي المتبع و المهيكل للدراسة و الطرح البورديوي.

الفصل الثالث: يعرض مفاهيم القبيلة و تفاعليتها مع أهم النظريات الاجتماعية و أشكال المجتمعات وسيرورتها الزمانية و المكانية ، و موقع مجتمع الدراسة منها.

الفصل الرابع : يبين حركة وتداول المجال في العلوم واعتباره من المفاهيم اللصيقة بالصراع.وكذا مميزات وخصائص الفضاء المديني وهويته ورمزيته.

الفصل الخامس :السيرورة التاريخيةو العمرانية لمدينة باتنة.

الفصل السادس: سعى إلى تقديم ميدان البحث وخصائص العينة وطريقة المعالجة الاحصائية، وانتهت الدراسة بمناقشة أهم النتائج المتوصل إليها و بنتيجة بحثية ميدانية.

تمهيد:

إن استلام بورديو من ماركس فكرة التشكيلة الاجتماعية وقلبها رأسا على عقب ، وتعاطيه مع فكرة العلاقات الرمزية بين الطبقات من بحوث،" شتراوس "حول القرابة والتي رأى فيها غاية الكشف عن الأنساق المستمرة للعلاقات وآليات تنظيمها ، وكل هذه الاستعارة من الفكر الماركسي أو البنيوي وحتى من الفكر الفيبيري، جعله يركز في أعماله على كيفية تجدد البنيات أو كيفية إعادة إنتاجها فضلا عن التركيز على سلوك الفاعلين باعتبارهم مسؤولين عن إعادة إنتاج أوضاعهم.

واستعارته لميكانيزمات أطروحة" الفينومينولوجيا "الخاصة بفهم قصد الفاعلين وأطروحات البنيوية في كشف العلاقة بين البنيات المختلفة وفي فهم الذات ،كل ذلك جعله يضع ثلاثة مفاهيم رئيسية لنظريته هي" نسق المواقف ، الهابيتوس ، إعادة الانتاج الاجتماعي والرأسمال الرمزي[1]."

1شحاتة صيام ، نفس المرجع السابق ، ص179

أولا- أهم المفاهيم الأساسية عند بيير بورديو:

1- الحقل السوسيولوجي:

الحقل السـوسـيولوجي عند بيير بورديو هو بمثابة تقنية إجرائية دقيقة ، وأسـاسـية للتفكير بصـيغة العلاقات ، أي التفكير على نحو عقلاني جدلي ، بدل التفكير بالطريقة البنيوية ،ويعرف أيضـا انه نشـاط محدد في الحياة له تنظيمه وقواعده ومجال النزاع حول مواضيع معينة فيه.[2]

ويرى بورديو أن العالم الاجتماعي في المجتمعات الحديثة ينقسـم إلى حقول أي فضـاءات إجتماعية أسـاسـهانشـاط معين مثلا. (الطب ، الصـحافة ، الأدب... الخ) يتنافس فيها الفاعلون لإحتلال مواقع السيطرة، فعلى غرار التطور الماركسي يبدوا العالم الاجتماعي عند بورديو ذا طبيعة تنازعية ، بيد أنه يؤكد أن التنازعات المكونة للعالم الاجتماعي تخص مختلف الحقول وليسـت مجرد صـراع بين طبقات معينة وثابتة. كما يرجع إلى تحليل دريدا لنقد قوة الحكم .[3]

كما يتميز الحقل بوجود نوعين من الصـراع فيه، ويجب أن ينظر إليه بمحتوى أحد المفاهيم المركزية في البنيوية التكوينية وهو الهابيتوس بوصـفه منهجية ذات محتوى ثقافي ، وظيفتها إعادة إنتاج الصراع بل وتكريسه عبر المحتوى الثقافي ، وهذان النوعان من الصراع هما:

-**الأول داخلي** :بين المهيمنون والمهيمن عليهم ، أو القدماء والجدد لهم رأسـمال خاص يميلون إلى المحافظة والمقاومة ليكونوا كما هم ويصـبحوا كما ينبغي أن يكونوا(لأنهم الآباء المؤسـسـون للحقل) أما الجدد فهم(الوافدون المحدثون) بحكم ما يحملونه من قيم التجديد

2إبراهيم عيسى عثمان ،النظرية الاجتماعية المعاصرة ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، – 2008 ص169 .

3بيير ف.زيما ،التفكيكية دراسة نقدية ،ترجمة: أسامة الحاج ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط2 ،بيروت ، 2006 ،ص161

والابتكار والإبداع ، ويحاولون التمرد والقلب للمبادئ التي يقوم عليها الحقل لإنقاص من الرأسمال الخاص الذي يمتلكه المهيمنون.

-أما **الثاني الخارجي** : فهو صـراع بين الحقل وباقي الحقول المنافسـة داخل الفضـاء الاجتماعي مثلا (بين الحقل التقليدي والحقل الحديث)[4].

2-رأس المال : انتقد مرة أخرى الجهاز البوردياوي النظرة الماركسية للرأسمال التي حصرت هذا المفهوم في الجانب المادي ، واعتبرت المجتمع ما هو إلا صـراع مستمر بين الطبقات الاجتماعية في إطار مادي تاريخي مع العلم أن المجتمع تتنافس فيه مجموعة من الرسـاميل ، مجموع رأســمال يعرف هذا الأخير بأنه": علاقة اجتماعية أي طاقة اجتماعية تورث وتتراكم عبر مسارات الفاعلين في الفضـاء الاجتماعي،وهو من مصـادر السيطرة والتفاضل والتراتب في المواقع والمكانات ،تتموضـع في الأشياء والمؤسسات على شكل موارد وخبرات ماديّة .وتذوب في أجســاد الفاعلين على شـكل قدّرات واسـتعدادات للإدراك والإحســاس والفعل[5] ".

وللرأسمال أنواع :رأسمال الثقافي،الرأسمال الاجتماعي،الرأسمال الرمزي إضافة الى الرأسمال المادي والذي تطرق إليه كارل ماركس. والكل من الأفراد يسـعى إلى تحصـيلها ،ومراكمتها وإستثمارها في نفس الوقت بعض هذه الرساميل يمكن أن تتحول إلى رأسمال رمزي حتى يتم الاعتراف بها إجتماعيا ، تصبح بذلك مصدرا لسلطة مشروعة فعالة في لحظات الصراع.و قد ربط بورديو بين رأس المال والمجالات الاجتماعية ، وأشار أن كل مجال له شكل خاص من رأس المال ولذلك نجده يتحدث عن أنواع الرأسمال منها:

4، - بتصرف عن إبراهيم عيسى عثمان ، مرجع سابق ، ص17 .

5عبد السلام حيمر،في سوسيولوجيا الخطاب من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل،الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت، 2008،ص 347 .

2-1-رأس المال الاقتصـادي : أكثر أهمية في النظام الرأسـمالي ، حيث يمكن تحويله إلى أشـكال أخرى من رؤوس الأموال حيث يمكن ضـمان اسـتمراره عن طريق التوريث وفي هذا يقترب من الطرح الماركسي وجعل الطبقة والتحليل الطبقي أساسا للتحليل[6] .

2-2-رأس المال الرمزي : يشـمل مفهوم رأس المال عند بورديو أشـياء كثيرة مختلفة مثل الأشياء المادية يمكن أن تكون لها قيمة ورمزية بالإضـافة إلى صـفات معززة مثل(الجاه ، الهيبة ، المكانة والسلطة بإعتبارها رأسمال رمزي) ويستخلص بورديو نظريته في رأس المال الرمزي ومن دراسـاته مجتمع" القبائل " في الجزائر فالرجل الذي يتمتع بالسـمعة الجيدة ، والحسـب والنسـب يسـتطيع أن يذهب إلى السـوق بدون مال وبدون أي شـيء، ويأتي معه بالسـوق كله آخر النهار معتمدا فقط على اسـمه وسـمعته وجاهه وهيبته ، إذن رأس المال الرمزي كان سـمعة ،أو نسـبا أو تعليما ، أو ثقافة يتحول إلى رأس مال حقيقي أي مميزات إجتماعية والتي يطلق عليها بيير بورديو رأس مال رمزي[7] .

2-3-الرأس المـال الثقـافي : هو مجموعـة المعـارف والكفـايـات والمهـارات من مختلف الأصــناف النظرية والعملية في إطار ثقافة معينة ، واســتثمار في حقل اجتماعي معين ، يجلب لمالكه قيمة مضافة مادية أو رمزية أو هما معا.

2-4-الرأس المال الاجتماعي : هو مجموعة الثروات الفعلية أو المفترضـــة التي يتوفر عليها فرد ما أو جماعة معينة بسـبب امتلاكه لشـبكة مسـتمرة من العلاقات ، ومن المعارف والاعترافات المتبادلة المتأسـسـة تقريبا ، أي مجموعة الرسـاميل والسلطات التي تخول لشبكة ما إمكانية تداولها ينبغي التسليم بأن الرسـاميل يمكن أن تتخذ أشـكال متعددة ، إذا ما تطلب الأمر تفسير بنية وحركية المجتمعات المتمايزة[8] .

6زهير قاسم ، مرجع سابق ذكره.
7السيد عبد العاطي وآخرون ، علم الاجتماع الاتجاهات الحديثة والمعاصرة، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2004 ، ص -28
8زهير قاسم ، مرجع سبق ذكره

<u>3-الهابيتوس</u> : عرفه بورديو على أنه" نسق من الاستعدادات المستمرة والقابلة للتحويل والنقل ، بنى مبنية مستعدة للاشتغال بصفتها مبادئ مولدة منظمة التي تولد وتنتج ممارسات وتمثلات ، ومن جهة أخرى يعرفه على أنه" هو المبادئ والممارسات التي تميل لإعادة إنتاج الشروط الموضوعية التي كانت ملازمة لإنتاج الهابيتوس نفسه 9 ." ويشمل على ثلاث أبعاد أساسية:

1-البعد النفسي الوجداني: الاختيارات ، الميول ، الأذواق.

2-البعد العقلي المنطقي : الأفكار ، مبادئ الفهم ، التفسير.

3- .البعد الأخلاقي العملي: الأفعال ، القيم.[10]

الهابيتوس هو دليل على قوى الأصل في الوسط الاجتماعي وهي عودة إلى التقريب بين الحتمية الاجتماعية من جهة والفردانية من جهة أخرى ، ووظيفة الهابيتوس حسب بيير بورديو هي التخلص من منزلقين متكاملين:

. أ -النزعة الآلية: والتي تعبر أن الفعل هو نتيجة آلية لإكراهات خارجية.

ب - النزعة الغائية: والتي تعبر خصوصا مع نظرية الفعل العقلاني أن المفوض يتصرف بشكل حر وواعي.

<u>3-1-خصائص الهابيتوس:</u>

1. -موجه يتصف بالمرونة والاحتمالية.

9خالد عبد الفتاح ، نظرية الممارسة ، عن المكتب الالكتروني كنانة أونلاينkinanaonline.net

10حسين مأمون،بيربورديو،نحوسوسيولوجيا الكشف عن الهيمنة،الحقل التربوي نموذجا ،مجلة دليل الكتاب،مقالة إلكترونية. www.dalilalkitab.net/?id=214 .

2. –يتشكل نتيجة تفاعل الفرد مع محيطه الاجتماعي.
3. –يساعد في تحليل سلوك منتظم دون أن يكون نتيجة كلية.
4. –يعبر عن المنطلقات الفردية.
5. –يمثل مفهوما يجمع بين الذاتية والموضوعية.
6. –يعتبر منتج الممارسات وأصل الإدراك ، وعمليات التقويم والأعمال أو مجموعة قواعد مولدة للسلوك.
7. –يعطي الشرعية على الترتيبات (صراع في المستويات الاجتماعية (التمايز) العنف الرمزي[11]

4–اللا وعي الإجتماعي :

يعتمد التحليل السوسيولوجيعند بورديو على "اللاوعي الإجتماعي" للمجتمع ،تماما كما هي الحالة بالنسبة إلى المحلل النفسي عند إقترابه من لاوعي المريض ،ويتكون اللاوعي الإجتماعي من المصالح غير المحددة التي يتبعها الفاعلون عند مشاركتهم في النظام الإجتماعي ،ووفقا لبورديو فإن" عدم معرفة " هذه المصالح المشتركة هي الشرط الضروري لممارسة السلطة كما إعتقد أن ظهورها العام سوف يدمر شرعيتهم ويفتح المجال أمام تحولات في الترتيبات الإجتماعية القائمة ،وهكذا يصبح علم الإجتماع أداة نزاع قادرة على تقديم قياس للتحرر من قيود الهيمنة ،وهذا يتقاطع علم إجتماع بورديو مع النظرية النقدية والسياسية،إذ رأى في أعماله نموذجا للتدخل السياسي12 .إن الوجود الإجتماعي للأفراد لا يحدد وعيهم إلا بشرط أن تكون العلاقات الإجتماعية مستقلة عن إرادتهم وهو أمر يبين أن الهيمنة تمارس عبر التشيؤ أوهي التشيؤ ذاته.

11 محمد المهدي بن عيسى ، مرجع سبق ذكره.
12 بيير بورديو ،وجان كلود باسرون ، إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم ،مرجع سبق ذكره ، ص118 - 119.

أما شرط تجاوز التشيؤ فهو إنقراض هذا الشكل المستقل بيد أن هذه العلاقات الإجتماعية بما هي المجال الحيوي الذي تتشكل فيه وبه الصراعات هي الشروط التي ينتج الناس فيها ويعيدون إنتاج شروط وجودهم وهو وجود حقيقته مفارقة لحقيقة الممارسات[13] .

5-<u>المجال</u> :

يطلق بورديو مصطلح المجال على كل حالة صراع بين فاعلين غير متساويين في القوة على رأسمال مهما كان نوعه[14] ، فالمجال الاجتماعي هو الحقل الذي يتم فيه التفاعل بين المعنى ومحيطه الاجتماعي، فالمجالات تتشكل حول عناصر القوة بين العناصر الفاعلة والمتصارعة في نفس الوقت اي انها تتشكل حول توزيع رأس المال النوعي. ويقصد به بورديو أي نوع من رأس المال يكون محل صراع في مجال بعينه .

6-**<u>الفضاء الإجتماعي</u>**:_

إنه فضاء على شكل نموذجي نظري يمثل كونا لانهائيا من الممكنات الثقافية(إشكاليات كبرى،مرجعيات ثقافية،خطابات وأطروحات ومذاهب ، مناهج تم الإعتراف بها كمنارات للفكر السوسيولوجي). وهذا الفضاء- النموذج فضاء الممكنات والاستراتيجيات ، ويعني هذا أن العلاقة بين النموذج الذي يبنيه الباحث إنطلاقا من حالة نوعية خاصة- حالة فضاء ثقافي محدد تاريخيا في الزمان والمكان[15]. ومن شروط انبناء وتشكل هذا الفضاء الإجتماعي أو النموذج:

<u>أولا</u> : تثبيت الخصوصيات الظاهرة ، والأصالات والإختلافات الزائفة التي تقود إلى النزاعات المركزية .

13بيير بورديو، وجان كلود باسرون ،نفس المرجع السابق ،ص79 .

14خالد عبد الفتاح ، نفس المرجع السابق.

15.عبد السلام حيمر ، نفس المرجع السابق ،ص ص361 ، 362

ثانيا :إدراك البنيات والآليات التي تغيب لأسباب مختلفة عن العين المحلية ، وعن العين الأجنبية في الآن ذاته. كمبادئ بناء الفضاء الإجتماعي (أو الفضاء الثقافي) أو آليات إعادة إنتاج هذا الفضاء ، لذا فالفضاء يمكن تميزه بمجموعة من النقط التي يوجد كل منها وجودا خارجيا في علاقته بوجود النقط الأخرى ، فكل نقطة في الفضاء تتحدد وتكتسب هويتها ، بالنسبة إلى مثيلاتها من النقط الأخرى بواسطة خارجيتها المتبادلة.

ومنه نفهم انه فضاء سلطة وسيطرة وفضاء مقاومات وصراعات ، وصراعات مضادة ، ينخرط فيها الناس معبرين عن إرادة القوة التي تعبر عن نفسها في نمط من الليبدو الإجتماعي على حسب تعبير بيير بورديو ، يدفعهم في إطار علاقاتهم الإجتماعية إلى الصراع إما من أجل المحافظة على مواقعهم الإجتماعية ، أو تغييرها وتحسينها.

6-1-**أبعاد الفضاء الإجتماعي:**

ينقسم الفضاء الإجتماعي إلى حجم رأسمال الإجمالي ، وبنيته (وهما يشكلان المستوى السانكروني للتحليل)، وتطور ذلك الحجم وتلك البنية في التاريخ والزمن (وهو يمثل المستوى الدياكروني للتحليل).

1-الإنبناء :من الشروط التي تحكم إعادة إنتاج الفضاء الإجتماعي ، أي العملية الدينامية المتحركة التي يعاد فيها إنتاج الممارسات ، وتظهر فيها البنى إلى حيز الواقع.

2-السانكروني: مستوى تحليلي لحجم رأسمال وبنيته عموديا.

3-الدياكروني : مستوى تحليلي لتطور حجم رأسمال وبنيته أفقيا .

2-الممارسة عند بورديو:

تسـعى الممارسـة بإعادة الاعتبار للفاعل الاجتماعي، باعتبارها رد فعل على النظرية البنيوية التي أهملت النظر للإنسـان وجعلته خاضـعا للبناء الاجتماعي ونتاجا له، فالبنيوية تؤكد على إزاحة الفاعلين عن مركز البنية ، على نحو يغدو معه كما لو كان البناء يعمل بشـكل آلي يتجاوز إرادة ووعى الأفراد .وقد طرح مفهوم الممارسـة قبل بورديو ، في إطار النظرية الماركسـية، باعتبارها عملية جدلية تهدف لتغيير العالم من خلال النشـاطات الخلاقةللإنسـان .ولكن مفهوم الممارسـة عند بورديو يركز على علاقة الفاعل بالبناء الاجتماعي العلاقة التي تنتهي بأن يقوم الفاعلون بإعادة إنتاج هذا البناء، ولا يستبعد بورديو قدرة الفاعلين على تحويل وتغيير البناء، ولكن يسـتلزم دلك توافر شـروط بنيوية، في ضـوء ذلك يعنى بورديو بالممارسـة ذلك الفعل الذي يقوم فيه الفاعلون بالمشـاركة في إنتاج البناء الاجتماعي، وليس مجرد أداء أدوار بداخله .ويقول بورديو "... أنه من الممكن اسـتبعاد الذات من تراث فلسفة الوعي دون القضـاء عليه لصـالح البنية .فعلى الرغم من أن الفاعلين نتاج البنية، إلا أنهم صنعوا ويصنعون البنية باستمرار .فعملية إعادة إنتاج البنية هذه، بعيدا عن كونها نتاج سيرورة آلية، لا تتحقق بدون تعاون الفاعلين الذين استدمجوا ضـرورة البنية في شـكل هابيتوس، حيث ينتجون، ويعيدون الإنتاج، سـواء كانوا واعين بتعاونهم أم لا . وبذلك يقوم علم دراسـة الممارسـة على تجاوز التعارض بين الموضـوعية والذاتية، حيث يرى بورديو أنه ليس سوى تعارض زائف، يسـاهم في تعتيم الحقيقة الإنسـانية للممارسـة البشـرية . ويتحدد إنتاج الممارسـات عند بورديو على الوضـع الذي يحتله الفاعل في الفضـاء الاجتماعي وأيضـا على المجال الذي تتم فيه هذه الممارسـات ، ويعبر عن ذلك على النحو التالي:

الممارسة = ((الهابيتوس × رأس المال) + المجال.

-وتتنوع هذه الممارســـات بتنوع البنى داخل المجتمع وتنوع البنى العقلية (الهابيتوس). وينظر بورديو لأنماط المجتمعات تبعا لتنوع الممارســات، فهناك مجتمعات قديمة لا يوجد فيها تنوع في الممارسات، حيث تتسم البنى الموضوعية بالانسجام والثبات الدائم، ويتم إعادة إنتاج البنى العقلية على نحو كامل، وتفرض نفســها باعتبارها صــحيحة وشــرعية. وهذا الانسجام بين البنى الموضوعية والعقلية يسمى بالعقيدة السائدة.وفى المقابل هناك مجتمعات متقدمة (صـــناعية) تتســـم بالتنوع في الممارســـات، حيث تتنوع بداخلها البنى الموضــوعية،وكذلك تتنوع البنى العقلية، وتتصــف عملية إعادة إنتاج الممارســات في هذه المجتمعات بالتعقيد الشــديد،وتســاهم فيها النظم الاجتماعية المختلفة. ويســتخدم بورديو مفهوما آخر ليعمق الفهم بالفاعلين وطبيعة ممارســاتهم، وأيضــا ليؤكد اختلافه عن النظرية البنيوية وهو مفهوم الإسـتراتيجية ويعرفه بورديو بالمفهوم المضـاد له في النظرية البنيوية وهو القواعد فيرى أن ممارسـات الفاعلين لا يوجهها قواعد محددة مفروضــة عليهم، وإنما خطط واسـتراتيجيات.و لا يعي ذلك أن الممارسـات تتم على أسـاس رشـيد أو واع، كما لا يعنى أن توجيه الممارسـات هو توجيه محسـوب أو يتم بشـكل ميكانيكي، فالإسـتراتيجية توجيه غير قصـــدي وغير غائي من جانب الفاعلين.ويصـــنف بورديو الاســـتراتيجيات إلى نمطين : استراتيجيات إعادة الإنتاج واستراتيجيات إعادة التحويل .

1-**<u>استراتيجيات إعادة الإنتاج</u>** :تهدف الأولى للحفاظ على الوضـع الاجتماعي أو تحسينه، وتعتمد على حجم رأس المال وحالة أدوات (ميكانيزمات) إعادة الإنتاج، مثل قوانين الإرث، وسـوق العمل، والنظام التعليمي، وترتبط حالة هذه الأدوات بحالة علاقات القوة بين الطبقات .بينما يعد النمط الثاني من الاســتراتيجيات هو المســئول عن الحركات داخل الفضاء الاجتماعي.

2-**<u>اسـتراتيجيات إعادة التحويل</u>**: مثل إعادة تحويل رأس المال الاقتصـادي إلى رأس مال تعليمي (وهي العملية التي تتيح للأغنياء الاحتفاظ بأوضاعهم المتميزة بشكل مشروع).

ويؤكد بورديو على أن كل ممارسات الفاعلين تحددها مصالحهم أو منفعتهم، وبذلك ينفى وجود أفعال مجانية أو بلا غرض، ولا يقصد بورديو بالمصلحة المفهوم الاقتصادي الضيق، ولكنه يقصد المصلحة بمفهومها الواسع، والذي يشمل المصلحة الرمزية والربح الرمزي.وقد مكنت هذه الفكرة بورديو من تحليل مجالات تتناقض فيها الأفعال مع المصلحة الاقتصادية مثل الأدب والفن والمثقفين .[16]

3-ميكانيزمات التفاعل بين مفاهيم النظرية :

3-1-العلاقة بين الحقول :

إن لكل حقل خصوصيته فهو يتحدد برؤوس أموال نوعية، و بهابيتوسات خاصة به، كما أنه يشتغل وفق آليات تمكنه من إعادة إنتاج ذاته. إذ أن لكل مجال قانونه الخاص الذي يحكمه، فللمجال السياسي قانونه ، و للمجال الرياضي قانونه، و كذلك للمجال الفني قانون خاص به يحكم به ، وإذا كان كل مجال يتحدد بجملة خصائص تعزله عن غيره من المجالات فإن ذلك يعني أن العلاقة بين المجالات المختلفة هي علاقة انفصال (لكن هذا الانفصال هو فقط في حدود اشتغال النسق الداخلية) و لذلك نجد أن ما يعزل مجالا ما عن المجالات الأخرى هو " كونه يعين الرهانات و المصالح النوعية التي لا يمكن اختزالها في الرهانات و المصالح الخاصة بحقول أخرى، إذ لا يمكن أن نجعل الفيلسوف يدخل في رهانات مع عالم الجغرافيا[17] غير أن العلاقة بين المجالات تبقى قائمة في مستويات أخرى إذ أن المجالات تتداخل في شكل دوائر، إذ يمكن الحديث عن مجال خاص النطاق و مجال عام النطاق يتداخلان في ما بينهما و يتأثر كل منهما بالآخر.

16خالد عبد الفتاح ، مرجع سبق ذكره.

17-بيير بورديو : ما هو الحقل – مرجع سبق ذكره.

و هذه التداخلات في المجالات هي ما يفسـر كون المشـتغلين في مجال ما قد يربطون اشتغالهم ذاك بمجال آخر " فالمجال الرياضـي على سبيل المثال له رأس ماله الخاص الذي يقتصر على فاعلين محددين (اللاعبين ، المدربين ، النقاد المتخصصـين) و يكون التفاعل في هذا المستوى داخل الدائرة الخاصـة بالمجال (...) و لكن الرياضـة كمجال يمكن أن تكون نقطة التقاء مع المجال الاقتصـادي (تسـويق الرياضـة) و السـياسـي (تسـييس الرياضـة) و الثقافي (تذوق الرياضة) ، و هنا ينتقل المجال إلى المستوى العام و يصبح المجال الرياضي ساحة للعب و للإستثمار النوعي في الوقت ذاته[18].

و في العصر الحاضر فإن المجال السياسي و المجال الاقتصادي، بوصفهما أقوى المجالات ، يسعيان إلى التدخل الواعي و الساعي إلى إضـعاف أي مجال آخر حتى لا ينافسـهما من كل المجالات الأخرى، فالصراع كذلك يمتد لتكون ساحة مجال ما هي ساحة لصراع مجالات مختلفة ، فتطفل المجال السـياسـي والاقتصـادي على المجالات المختلفة للمجتمع يؤدي إلى حالة من التشـوش و الارتباك المقصـود[19]. إن ذلك يدخل ضـمن السـعي إلى الهيمنة دائما. لكن الدخول في مجال معين من طرف أعضـاء مجال آخر لا يمكن أن يحقق أي نتيجة إلا إذا سـعى هؤلاء الأعضـاء إلى امتلاك الرأس مال النوعي الخاص بذلك المجال ، فرجال الرياضـة مثلا لا يمكن أن يحققوا أية نتائج في دخولهم في مجال الفن إلا إذا تحصـلوا على رؤوس أموال نوعية فنية.

2-3 – العلاقة بين رؤوس الأموال :

تتفاعل رؤوس الأموال النوعية (الرأس مال الاقتصادي ، الثقافي ، الاجتماعي ...الخ) في ما بينها فكل منها يؤثر ويتأثر بالآخر. و تتنافس داخل الحقل الواحد عدة رؤوس أموال نوعية مختلفة لمراكتمها و اسـتثمارها من طرف الأعوان لتتحول إلى رأس مال رمزي يخول

18. مجلة إضافات ، العدد الثامن ، ص 16 ، مرجع سابق
19- نفس المرجع السابق ، ص16

صـــاحبه إمتيازات يعزز بها مكانته ويرتقي من خلالها إلى هرم التراتبية الاجتماعية. إن أنواع الرأس مال المختلفة ترتبط ببعضـــــها و يمكن زيادة رصـــــيد الفاعل الاجتماعي من أحدها إنطلاقا من توظيفه لرأس مال نوعي آخر" فبورديو مثلا لم ينعم برأس مال اقتصـادي موروث ، فهو ينتمي إلى أســـرة فقيرة، و لكنه حصـــــل على أكبر قدر من الرأس مال الثقافي عبر التفوق العلمي. و بعد اعتراف الجماعة العلمية الفرنسـية بهذه الجدارة، اكتســب بورديو رأس مالا رمزيا – مكانة رفيعة – داخل المجتمع، و في الوقت نفســـه كان كل من الرأس مال الثقافي و الاجتماعي و الرمزي السبب الرئيسي لازدهار رأس ماله الاقتصادي[20].

3-3-الحقل كمسرح للتفاعلات :

لا يمكن فهم الحقل بمعزل عن الأحداث التي تجري فيه ، فالحقل هو مجال ممارسة السلطة وبســـط الهيمنة، و التفاعلات داخل الحقل تنطلق من المراكز التي يشـــغلها الأعوان داخل الحقل، فبداية الصـــراع ليســت من مراكز متســاوية ، بل من مراكز تراتبية ناتجة عن امتلاك الأفراد لهابيتوســات مختلفة و لرؤوس أموال نوعية مختلفة، " وتدور رحى هذا الصــراع (...) من أجل فرض مقولات الإدراك و التقييم الشرعية و احتكارها، فالمفاهيم و الأنساق الرمزية و أسماء المدارس أو الجماعات و أسماء الأعلام ليست مجرد وسائل للمعرفة، بل إنها وسائل للسيطرة و فرض الهيمنة أيضا"[21].

إن تاريخ الحقل إذن هو تاريخ يتشـكل عبر الصــراع بين المســيطرين المتحكمين من جهة و الوافدين الجدد من جهة أخرى ، الذين يسعون إلى السيطرة على الحقل أو الارتقاء في التدرج الهرمي للمراتب داخل الحقل.إن تبني أي وافد جديد أو إعادة أو تغيير لم يكن معروفا في مرحلة متأخرة من حياة جيل ما هو نتيجة لذلك الصــــراع الذي ظل مســـتمرا بين أصـــحاب المراكز العليا و الطامحين الآخرين انتهى بحسـم الصــراع لصــالح الفئة الطامحة، أما إذا لم

20– مجلة إضافات ، العدد الثامن ، ص 18 ، مرجع سابق

21– يوسف ادريسي ، آليات تحليل الخطاب الأدبي –فكر و نقد.

يحسم لصالحها فيظل الحال على ما كان عليه مسبقا و بالتالي لا يشهد الحقل أي تغيير فلا يحدث أي تغير اجتماعي على المســـتوى الذي دار حوله الصـــراع. إن كل حقل هو مجال للصراع و مسرح لعمليات محاولة القلب و السيطرة على المناصب المهمة في الحقل. و قد درس بورديو الكثير من الحقول ليبين أن كلها هي مســـارح لهذا النوع من عمليات التفاعل ، حتى تلك التي توحي لأول مرة أنها في معزل عن عمليات الصراع و التنافس.

لقد درس بورديو مثلا حقل الأدب و حقل الفن و حقل السياسة و الاقتصاد و الموضة...الخ ، وبين من خلالها أن الحكم القيمي هو دائما حكم على الشـــيء انطلاقا من المركز الذي يحتله العون الاجتماعي صـــاحب ذلك الحكم داخل الحقل، و بالتالي فلا وجود لهذا المجال لمعايير خارج دائرة التفاعل و الصـراع داخل الحقول. المجال إذن هو مسـرح للتفاعل يتحدد من خلال هذا التفاعل أيضـــا ، يقول بورديو " فمحرك المجال هو الصـــراع الدائم داخل المجال (...) و ما يحدد بنية المجال كما أراها هو أيضا مبدأ حركيته [22].

المجال كما تقدم دائرة للصـــراع و التنافس غير عادلة نتيجة الاختلاف في رؤوس الأموال النوعية و الهابيتوسات ، و بالتالي المراتب التي يحتل الفاعلون داخل المجال.

ثانيا- الهابيتوس:

1- الهابيتوس في فكر بورديو :

إن الهابيتوس واحد من ثلاثة مفاهيم نجدها حاضرة في الجهاز التحليلي لبورديو في اطار ما يسميه نظرية الممارسة اذ استمد بورديو مفهوم الهابيتوس من مارسيل موس ، فعمل على

22 بيير بورديو : ما هو الحقل – مرجع سبق ذكره.

تطويره اعتمادا على معالجة هذا المفهوم بالعودة إلى وجوده في نصوص فلسفية لأرسطو و نوريت الياس وفيبر وهوسرل.

وتترجمه بعض المؤلفات ب(الآبتوس)، فهي كلمة يونانية مشتقة من الفعل اللاتيني، ويعني فعل الملكية /التملك ، و استعمله ارسطو والذي اعطاه معنى طريقة الوجود الثابتة ، والتي يصعب تعديلها أو تحويلها ،كما استعمله (طوما الاكويني) والذي اعطاه معنى العادة ، في الميدان الطبي يستعمل بمعنى العرض كابتوس السل، اما في الحقل السوسيولوجي فقد استعمله ايميل دوركايم "في كتابه التطور البيداغوجي بفرنسا بمعنى الطبع ،واستخدمه" مارسيل موس " في حديثه عن تقنيات الجسد ضمن مؤلفه الانثروبولوجيا و السوسيولوجيا بمعنى العادة وعادة الاكتساب .[23]

و قد يترجم هذا المصطلح بالعربية بلفظ التطبع أو السجية أو العقلية التي توجه السلوك توجبها عفويا و تلقائيا.

و الهابيتوس بالنسبة لبورديو هو مبدأ مولد للاستراتيجية يمكن الفاعلين من التوافق مع المواقف غير المتوقعة و الدائمة التغيير،–نسق من الاستعدادات الدائمة – القابلة للتطور والتحول – يعمل كل لحظة– بشكل لا ارادي غالباً ، بدمجه للخبرات السابقة كمصفوفة من الادراكات و التقييمات و يتيح انجاز مهام لا نهائية التنوع [24].

كما يتمثل الهابيتوس بـ" نسق من الاستعدادات الدائمة و القابلة لتحويل أو للنقل وبنى مبنية مستعدة للأشغال بصفتها بانية ، أي كمبادئ مولدة و منظمة لممارسات و تمثلات وبصيغته العامة هو المجتمع و قد حل واستمر في الجسم عن طريق سيرورة التربية و

23- حساين المامون، بيير بورديو ، نحو سوسيولوجيا الكشف عن الهيمنة (الحقل التربوي أنموذجا) ،مجلة دليل الكاتب: www.dalilalkitab.net/?id=214 .

24- أحمد موسى بدوي، ما بين الفعل و البناء الاجتماعي،تنشئ بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو، مجلة اضافات العدد الثامن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2009،ص 13.

التنشئة الاجدتماعية و التعليم و الترويض، و المجتمع هنا بكل قيمه واخلاقياته بكل محددات السلوك و التفكير و الاختيار انه ذلك الذي يسكن الأشخاص في صورة نظام قار للمؤهلات والمواقف".[25]

و يتمثل الهابيتوس بمحموعة من الصفات او الطباع التي تجعل فرداً ما يسلك ويتصرف وفق طرائق محددة تتم بلورتها بواسطة العيش بين نظم اجتماعية معينة . وعليه فإن الهابيتوس حسب رؤية بورديو لا يعني انه غير خاضع كلياً للضغوط مثلماهو ايضاً غير خاضع كلياً لتحكم الفرد وسيطرته المطلقة[26].أي انه ما يسير عليه الفرد وفق بيئته التي وجد نفسه فيها و يتصرف من خلال آلياتها الممنوحة له كفرد يجب عليه الالتزام بالسير بحسب معطياتها.

و يعرف الهابيتوس بأنه بناء ذهني و معرفي يمكن الأفراد من التعامل مع العاللم الاجتماعي ، وهو منتج تاريخي يتشكل خلال التنشئة الاجدتماعية و بواسطة التعلم ، فعبر التنشئة والتعليم يتكون لدى الفرد رأس مال نوعي مخزون يستخدمه بشكل لا ارادي أثناء الممارسة المختلفة.[27]

يقول عدد من دارسي فكر بورديو أنه كثيرا مايساء فهم المقصود ب(الهابيتوس)، فيتم احيانا ربطه بأعمال روتينة محددة في الحياة اليومية أو تستعمل كمرادفة لكلمة التنشئة الاجتماعية، وأن الهابيتوس في الواقع هو جزء من نظرية الممارسة بشأن تحديد الطباع في الفضاء الاجتماعي.

وقد يعني الهابيتوس ايضاً نوعاً من القواعد للأفعال التي تساعد على تمييز طبقة ما كالطبقة المسيطرة

25حساين المامون،مرجع سابق،
26عبد الله عبد الرحمن يتيم، مرجع سابق، ص 47.
27أحمد موسى بدوي، مرجع سابق،ص6.

من طبقة أخرى، و قد يشير الهابيتوس إلى نسق من الخطط توضع بهدف انتاج ممارسات معينة.[28]

اذا فالهابيتوس هو مجموعة من الصفات المشتركة بين طبقة ما، وعلى الرغم من توافر المعرفة حول هابيتوس الطبقة فإنه ليس من الممكن التنبؤ بدقة بما يمكن أن يقوم به شخص ينتمي إلى الطبقة المسيطرة و المسيطر عليها في وقت وظرف محددين.

ويضيف بورديو بشأن الهابيتوس بأن المقصود به هو احساس الفرد بالمكان الذي ينتمي إليه، وهوما يبرز من خلال سيرورة الاختلاف في المكان الاجتماعي فيشكل في هذا السياق نسقا من المنظومات لادراك تلك الممارسات وتقديرها، وعليه فان التخوم بين الهابيتوس وآخر هي في حالة مستمرة من المنافسة و التماهي بعيدا عن الجمود.[29]

لذا فالهابيتوس هو نظام من الخطط الواعية و غير الواعية في التفكير والادراك والاستعدادات التي تعمل كوسيط بين البنى الموضوعية ، والممارسة ، ويفسر الهابيتوس عملية اعادة انتاج الهيمنة الاجتماعية و الثقافية،لأن الأفكار والأفعال التي يولدها تتوائم مع النظم الموضوعية أو النظم التي يمكن ملاحظتها امبريقيا في الواقع.[30] لذا فهو يمثل اشتقاقات جديدة يهيأ على أساسها الأفراد استعداداتهم للخوض في الحياة، واتخاذ ذلك بمثابة القاعدة الأساسية التي تنبري من خلالها كل توجهاتهم وانماط أفعالهم في الحياة اليومية.

1-1-أنماط الهابيتوس:

ينقسم الهابيتوس إلى نمطين:

النمط الأول: يعرض مكونات الهابيتوس الداخلية.

28عبد الله عبد الرحمن يتيم، مرجع سابق، ص 50.
29عبد الله عبد الرحمن يتيم، مرجع سابق، ص 47.
30عبد الله عبد الرحمن يتيم، مرجع سابق، ص 61.

النمط الثاني : يعرض من خلال توضيح وظيفته ودوره.

يشير النمط الأول إلى أن الهابيتوس يتكون من التصورات و الميول و الادراكات ورؤية العالم أو مبادئ التصنيف، وفي مواضع أخرى يقصد الهابيتوس على أنه الميول بينما في النمط الثاني فإن الهابيتوس هو المبدأ الذي يولد و ينتج الممارسات التي تميل لاعادة انتاج الشروط الموضوعية التي كانت ملازمة لانتاج الهابيتوس نفسه. [31]

فمثلا الهابيتوس الذي يتشكل ويكتسب في الأسرة يعتبر أساس عملية بناء الخبرات العلمية،كما يشكل الهابيتوس الذي تصوغه المدرسة –فيما بعد –أساس عملية بناء كل الخبرات التالية، مثل استقبال و استيعاب كل الرسائل الخاصة بالثقافة أو الصناعة أو بخبرات العمل.

وطبقا لما سبق فان الهابيتوس ليس مرتبطا بتصورات الأفراد وخصائصهم واتجاهاتهم الشخصية فقط، ولكنه أيضا مرتبط بالاستعدادت الجمعية، مثل أنماط التفكير، الادراك ، التقدير والممارسة، وعليه فإن الهابيتوس يؤثر في الأفعال اليومية لأنه نتاج ظروفه الموضوعيه، ويرتبط الهابيتوس برأس المال ، حيث أن الهابيتوس الخاص بالشرائح الثقافية والاجتماعية المهنية يتفاعل كطرف مكمل مع الأنواع المختلفة لرأس المال و يشكل في الواقع شكلا من رأس المال الرمزي يمكن التعبير عنه بالصيغة التالية:

الهابيتوس +رأس مال اجتماعي وثقافي= رأس مال رمزي.

و للهابيتوس مستويات للرؤية متكاملة و متفاعلة مع بعضها البعض ، فالمجتمع عند بورديو قد أصبح حقل لعب بين الفاعلين الذين يراهنون على مصالح فردية ومشتركة، واذا كان الهابيتوس هو نسق الاستعدادات المنسجمة مع قواعد اللعب في هذا الحقل، فإن المطلوب من الفاعلين هو الانخراط في الحقل الاجتماعي و حفظ قواعد اللعبة والتعود على ممارستها

31خالد عبد الفتاح ، نظرية الممارسة :بيير بورديو، مقال منشور على الأنترنت، Kenana online .com / users / sociology 2010 / posts / 155644

واستثمار هذا اللعب من أجل تحقيق أقصى منافع ممكنة بالنسبة إلى الذات والمجتمع على السواء ، كما يتدخل الهابيتوس في شروط الكسب والملكية ورأس المال عند الفاعلين داخل شبكة اجتماعية معينة، بل انه يحدد النسيج اللغوي و الفكري الذي يمكن أن يتشكل منه الرأي العام وتضع نوعا من النتائج المتسرعة و التعميمات الايديولوجية عندما تباشر دراسة الواقع الاجتماعي بشكل موضوعي.[32] أي التفكير وفق قوالب الجماعة التي تنتظم على سياقات خاصة تمثل انموذجا للممارساتها و افعالها و التي تصبح قواعد تسير على اساسها وتحرك انشطتها من خلالها.

ومثلما يوجد الهابيتوس في الفرد بالنسبة للمجتمع ويحتم على الأفراد الخضوع له بشكل معين، يوجد أيضا هابيتوس في المجتمع بالنسبة إلى الأفراد ويجدر بالمجتمع تنظيم هذه الكثرة و صياغة وحدة ناظمة.

3- مستويات الهابيتوس:

يملك الهابيتوس ثلاث مستويات هي[33]:

1-المستوى الأول : يقع هابيتوس الفرد: ثمرة التجربة الخصوصية التي يعيشها الانسان في سيرته الذاتية ، ومن خلال تفاعل عالمه الشخصي بالمحيط الخارجي و تطبيقه لبرامج الهابيتوس الجماعي و مؤثرات الظروف التاريخية.

2- المستوى الثاني: هابيتوس الجماعة المحلية المحيطة بالفرد بداية من الأسرة وجماعة الأقارب، وجماعة الجيران ، والعشيرة، و القبيلة، فهذه الجماعات تمتلك الهابيتوس الخاص بها، الناتج عن تماثل ظروف الوجود الذي يؤدي إلى تآلف الممارسات وانصهار الفردي في

32زوهير الخويلدي، نظرية الهابيتوس ورأس المال الرمزي عند بييربورديون مقال منشور على موقع الحوار المتمدن، عدد 4059،2014، www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=35388

33خالد عبد الفتاح،نظرية الممارسة :بيير بورديو، مقال منشور على شبكة الأنترنت،2010، Kenana online .com / users / sociology / posts / 155644 .

الجمعي، وهو الأمر الذي يتيح للممارسات أن تكون متماثلة موضوعيا دون أي حساب أو قصد، و يظل الهابيتوس الجماعي في الفرد ممتدا إلى نهاية العمر.

3- المستوى الثالث: هابيتوس المجال: لكل مجال من المجالات القائمة(السياسي، الاقتصادي، الثقافي،.....) في المجتمع الهابيتوس الخاص بها، وهو عبارة عن مجموعة المهارات والأساليب الفنية و المرجعيات ونظم المعتقدات الواجب توافرها في عضو هذا المجال دون غيره من المجالات، فالهابيتوس العلمي على سبيل المثال يحدد نمط الانتاج العلمي لجيل من العلماء يختلف عن الأجيال السابقة و اللاحقة. بمعنى تحديد الميزات التي يمكن يتكيف لها من هو على شاكلة ذلك المجال ويأخذ بمتضمناته و يندرج تحت لوائه و بالتالي يعمل وفقا لما تقتضيه مصلحة وأسس وحاجات ذلك المجال.

و الفرد القادرعلى التجديد و التشكيل شخص يملك نسقا من الاستعدادات يكافح به في الحياة وأن هذا النسق تشكل بفعل التنشئة و التعليم وهو نسق متغير، ويرى أن آلية الكفاح أو ممارسة الكفاح ضد صعوبات الحياة، وضد مختلف أشكال القيود المفروضة على الأفراد في المجتمع تتخذ ثلاث مسارات محتملة يمكن من خلالها فهم طبيعة الممارسة الاجتماعية، لدى الأفراد و الجماعات في لحظة تاريخية محددة ومن ثم يمكن تعديل مسارها.

4-**سمات الهابيتوس** :

يأخذ الهابيتوس سمات محددة أهمها:[34]

- الاستمرارية : حيث يمارس الهابيتوس وظيفته عبر الزمن و في مختلف المراحل الزمنية، تعني ردود أفعال ذهنية وحسية وعاطفية وشعورية تتسم بطابع الديمومة و الاستمرار.

34على أسعد وطفة، الهابيتوس في سوسيولوجيابورديو، مقال منشور على الانترنت في موقع شبكة النبأ المعلوماتية،2012
www.annabaa.org/nbanews/2112/13/227.htm

- أما الشمولية فهذا يعني أنه لا يترك أية رواسب أو معطيات تخرج من منطقه الداخلي ، بمعنى أنه لا يسمح بمنطق الخروج من مساره الكلي المحدد عبر الزمن.
- أما التحويلية فهذا يعني ان الهابيتوس قادرا على ممارسة دوره في مختلف المواقف الاجتماعية و في مختلف قطاعات التكوينات الاجتماعية المتنافرة.

و هنا يجب أن نلاحظ أن السمة اللاشعورية تشكل المنطق لمفهوم الهابيتوس عند بورديو، وفقا لهذه الخصيصة اللا شعورية فإن نظام المعطيات الذهنية يفعل فعله بوصفه مولودا ومنظما للممارسات الحيوية عند الانسان ، كما يقوم بدوره بوصفه مولدا لنظام التصورات التي يمكنها مبدئيا من التكيف مع غايات الفرد وطموحاته- ومع ان بورديو يتحدث عن الهابيتوس الفردي لايمكن أن يختزل إلى الهابيتوس الطبقي الذي ينتمي إليه.

ثالثا- رأس المال الاجتماعي:

1-نشأة رأس المال الاجتماعي:

على الرغم من كثرة ما يكتب الآن، وما كتب خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي عن مفهوم رأس المال الاجتماعي، لم يفلح العلماء والباحثون في التوصل إلى تعريف واحد يمكن الركون إليه وتحديد العناصر المكونة لذلك المفهوم؛ مما يشير ضمنًا إلى غموضه من ناحية، واتساع مجاله من ناحية أخرى، فبعض العلماء يرون أن رأس المال الاجتماعي يتألف من مجموع أنماط العلاقات التي يرتبط بها الفرد و التي يستطيع الإفادة منها واستخدامها أو توظيفها لمصلحته، في حين ينظر إليه آخرون على أنه مجموعة من الآليات التي عن طريقها يمكن لجماعة معينة أن تتخذ لنفسها نمطًا معينًا من القيم والسلوكيات تنفرد به وتفرضه على أعضائها، مما يعني ضمنًا استبعاد الجماعات الأخرى بصرف النظر عن طبيعتها أو وظيفتها في البناء الاجتماعي، وهناك من يذهب أبعد من ذلك فيعد ملامح الحياة كّلها أشكالا

من رأس المال الاجتماعي، في الوقت الذي يرى فيه بعضهم الآخر أن المفهوم مبهم وشديد المرونة والاتساع والتجريد، ويدور حول شيء غير ملموس وغير عياني، ولا يمكن فهمه إلا في ضوء السياق الاجتماعي[35] وبالنسبة إلى نشأة المفهوم وتطوره، يختلف الباحثون في المرحلة الزمنية التي ظهر فيها هذا المفهوم إذ يؤكد بورتس أن المصطلح لا يتضمن مضامين جديدة بالنسبة إلى علماء الاجتماع، مع ذيوعه في السنوات الأخيرة من القرن العشرين، فتلك المشاركة والاندماج الاجتماعي، وما قد يترتب على وجودهما من إيجابيات سواء على مستوى الفرد أو المجتمع، هي أفكار رئيسة وأصيلة الوجود في الفكر الاجتماعي، ويمكن تلمسها في كتابات (دوركهايم)عندما أكد أن الحياة الجماعية كترياق وآلية لمواجهة مخالفة القواعد الاجتماعية، كما يمكن ملاحظتها في أعمال (ماركس) عندما تحدث عن كيفية نشأة رأس المال، من خلال العلاقة الجدلية بين البرجوازية والبروليتاريا داخل عمليات إنتاج السلع .[36]

بينما يشير بعضهم إلى أن الجذور الأولى للمفهوم تعود إلى كتابات (توكفيل)عن الديمقراطية في نهاية القرن التاسع عشر.

وتتفق الغالبية العظمى من الكّتاب على أن البداية الحقيقية تعود إلى كتابات(هانفان)[37] التي ربطت بين رأس المال الاجتماعي وبين ممارسات اجتماعية بعينها تجري في إطار جماعة اجتماعية محددة وشهد المفهوم مرحلة من الأفول، ليعاود الظهور مجددًا على الساحة الأكاديمية خلال عقدي الستينيات والسبعينيات من خلال كتابات(جان كالوب) و (لوري جيرمين)، إلا أنه لم ٛ يستخدم بشكل علمي كبير إلا في أواخر السبعينيات مع ظهور كتابات المفكر الفرنسي"بيير بورديو" عن رأس المال الثقافي، وهو مفهوم يتداخل بشدة مع رأس المال الاجتماعي إلى حد دفع بعضهم إلى الخلط بينهما.

35أبو زيد، أحمد ،توظيف را س المال الاجتماعي، مجلة العربي، العدد615 ،ص10.

36 اسعاف أحمد، رأس المال الاجتماعي مفاربة تنموية،مجلة دمشق،المحلد11، العدد 3 ،2014،ص 3.

37اسعاف أحمد،المرجع نفسه، ص4.

ثم جاءت كتابات "جيمس كولمان" خلال الثمانينيات عن رأس المال الاجتماعي في إطار محاولته الربط بين الظواهر الاجتماعية، والتقدم الاقتصادي، التي عبرت عنها نظرية"الاختيار الرشيد"، المعروفة جيدًا لدارسي علم الاقتصاد.[38]

ومع ما سبق كّله، فإن كثيرين يعدون أن المفهوم لم يحظ بانتشار كبير إلا في عام 1995) (عندما كتب عالم الاجتماع الأمريكي "روبرت بوتنام" مقالا بعنوان "لعب البولينغ منفردًا " أشار فيه إلى انسحاب الأمريكيين من الفضاء الاجتماعي العام، وتراجع مشاركتهم الاجتماعية والسياسية، وسجل فيه اعتقاده أن ذلك يشكل خطرًا على الديمقراطية الأمريكية.

وحقيقة الأمر أن الأدبيات السياسية والاجتماعية لم تكن سوى عامل مساعد في التعريف بهذا المفهوم الذي كان غامضًا إلى عهد قريب، أما العامل الرئيس فيتمثل في التغيرات الاجتماعية واسعة المدى التي شهدها العقدان الأخيران، والتي وضعت هذا المفهوم في بؤرة الاهتمام خاصًةعندما ارتبط بمفاهيم أخرى كالديمقراطية، والمجتمع المدني، والحكم الرشيد .وبذلك لم تكن كتابات" بوتنام" سوى انعكاس لتزايد الاهتمام بمثل هذه المفاهيم التي ارتبط بها رأس المال الاجتماعي، وتلامس معها في أكثر من جانب. وتوالت بعد ذلك إسهامات عدد من الهيئات الدولية وعلى رأسها البنك الدولي لتحاول وضع إطار لدراسة رأس المال الاجتماعي، بما يسهم في تحديد علاقته بعدد من الظواهر الاجتماعية.

2- **مقاربة مفاهيمية لرأس المال الاجتماعي :**[39]

1-**رأس المال عند بيير بورديو:**

38عبد الحميد، إنجي :دور المجتمع المدني في تكوين رأس المال الاجتماعي، المركز المصري للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، القاهرة، ص10.

39- أبو زاهر، ناديا : محاولة لفهم إشكالية رأس المال الاجتماعي، مجلة علوم إنسانية العدد 46 ، السنة الثامنة ،2000ص17.

بذل بورديو جهدًا كبيرًا في تحديد المصطلح وضبطه، وقدم إسهامات نظرية رصينة لتمكين هذا المصطلح في المعجم السوسيولوجي المعاصر، فقدم تعريفًا لرأس المال الاجتماعي مفاده:"أنه كم الموارد الواقعية أو المحتملة التي يتم الحصول عليها من خلال امتلاك شبكة من العلاقات الدائمة المرتكزة على الفهم والوعي المتبادل، وذلك في إطار الانضواء تحت لواء جماعة معينة، فالانتماء لجماعة ما، يمنح كل عضو من أعضائها سندا من الثقة والأمان سندًا" . إن رأس المال الاجتماعي لدى "بورديو" يمّثل شبكة علاقات تجسد رصيدًا من المصالح والقوة والهيبة التي تتفاعل مع ما أطلق عليه"الحقل والهابيتوس"، فالحقل يمثل شبكة علاقات موضوعية تتخلل أوضاعًا اجتماعية متمايزة، وهي تعرف موضوعيًا من خلال التحديات المفروضة على من يحتلونها، وشكل بناء توزيع القوة.[40] قد أسهمت رؤية "بورديو" لرأس المال الاجتماعي في إثارة العديد من الأفكار والقضايا عنه،

2-**<u>رأس المال الاجتماعي عند كولمان:</u>**

وينظركولمان إلى رأس المال الاجتماعي في ضوء وظيفته، فيوضح أن رأس المال الاجتماعي إنتاجي يجعل من الممكن تحقيق غايات معينة لا تكون ممكنة في غيابه.وبتعبير آخر يرى" كولمان" أن رأس المال الاجتماعي يتشكل عن طريق الفعل العقلاني الذي يخلق الثقة، والالتزامات كمصادر يمكن استثمارها وقت الحاجة، وعندما يتم التفاعل باستمرار في ضوء الالتزامات عبر المجتمع، فإنه يمكن الحصول رأس مال اجتماعي.[41]

3-**<u>رأس المال الاجتماعي عند بوتنام:</u>**

40بورديو، بورديو،العقلانية العملية حول الأسباب العملية ونظرياتها،ترجمة عادل العوا، دار كنعان، دمشق،2000 ص61.

41اسعاف أحمد،المرجع نفسه، ص.7.

أما بوتنام فقد كان له التأثير الأكبر في تطور استخدامات هذا المفهوم، إ ذ نقل المفهوم إلى حقل العلوم السياسية، فجذبت أعماله انتباه كثيرين، سواء من مؤيديه أومن منتقديه، وبرز المفهوم بسرعة كبيرة إلى المقدمة.[42]

ويعرف"بوتنام" المفهوم بأنه الشبكات الاجتماعية ومعايير التبادل الممأسسة فيهاو المرافقة وعوائدها. بهذا التعريف يكون بوتنام قد نقل دراسة رأس المال الاجتماعي من المستوى الفردي إلى المستوى الجمعي، من خلال تأكيده أن رأس المال الاجتماعي يجسد مقومات التنظيم الاجتماعي التي يمكن من خلالها تحقيق التطور والتقدم في المجتمع وتحدد أطروحة بوتنام ثلاثة مكونات لرأس المال الاجتماعي هي:الالتزامات الأخلاقية والمعايير، والقيم الاجتماعية وبشكل خاص الثقة، والشبكات الاجتماعية خاصة الجمعيات التطوعية.

3- .أهمية رأس المال الاجتماعي:

إ ن أهمية رأس المال الاجتماعي تتعدد لتشمل الجانب الاقتصادي والاجتماعي، السياسي للمجتمعات، فعلى الصعيد الاقتصادي يسهم رأس المال الاجتماعي في التوصل لأسس علاقات،وإجراءات عمل بالسوق لا ترتكز فقط على مفهوم الربحية[43].

ويرى "فوكوياما" أن رأس المال الاجتماعي يمّثل دالّة اقتصادية، فهو يخفض تكلفة الصفقات الاقتصادية، إذا ارتبط بآليات التنظيم الرسمي للعقود، لأنه يفترض وجود درجة كبيرة من النية الحسنة في أثناء التفاوض أي عامل الثقة المتبادلة بين المتعاملين مما يمنع الأطراف المتعاقدة من استغلال المنافذ غير المتوقعة في أثناء عقد الصفقات الاقتصادية وبعدها.

42غول، فرحات :(2011)إدارة رأس المال الاجتماعي في المؤسسات الاقتصادية، الملتقى الدولي حول رأس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية،13 ديسمبر، 2011 ، الجزائر.

43- السروجي، طلعت :رأس المال الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة 2009 ،ص60.

وتتمثل أهميته الاجتماعية، في تزويده البناء التحتي بمفاهيم العمل الجماعي، والعمل على تطوير الهويات الجماعية ومنحها للجماعات المهشمة، ودمج التشكيلات الاجتماعية المتفرقة، وتزويد الجماعات بمفاهيم تروج للاستقرار السياسي والمجتمع المدني، أي إ ن علاقة رأس المال الاجتماعي بالمجتمع المدني ترتبط– في معظم الأحيان –بالعمال السياسي والمؤسسي.

كذلك يكتسب رأس المال الاجتماعي أهمية خاصة كظاهرة مجتمعية تمّثل مظهرًا من مظاهر البناء الاجتماعي، فهو أصل جمعي يمنح الأعضاء رصيدًا من الثقة المتبادلة بين أفراده[44] .

ويؤدي رأس المال الاجتماعي دورًا لا يستهان به على الصعيد السياسي، فهو يعزز نوعية الحياة القائمة على الترابط المدني الذي يعد ضرورة لنجاح الأنظمة السياسية الديمقراطية.[45] كما أن رأس المال الاجتماعي يدعم التحول الديمقراطي، ويساعد على تفسيره في أي مجتمع من المجتمعات، ويعد أيضًا أداة أساسية لارتباط مؤسسات المجتمع بالبيئة من خلال العلاقات والتفاعلات الواقعية، وتعبير المؤسسات عن الحاجا ت المجتمعية.[46]

4- .**<u>أبعاد مفهوم رأس المال الاجتماعي:</u>**

في دراسة علمية لرأس المال الاجتماعي وطرائق قياسه، أجرتها مجموعة من العلماء بإشراف البنك الدولي، بعنوان "مسح مقياس مستويات المعيشة والدخل والإنفاق " حددْ ت أبعاد رأس المال الاجتماعي في ستة أبعاد رئيسة هي:

1. الجماعات والشبكات.
2. الثقة.
3. الفعل الجمعي والتعاون.

44لورانس، إي :القضايا وقيم التقدم، ترجمة شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2005،ص 159.

45حجازي، عزت :رأس المال الاجتماعي كأداة تحليلية في العلوم،الاجتماعية، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد 43 ، العدد الأول، القاهرة،2000، ص50.

46السروجي، طلعت، مرجع سايق،ص59.

4. المعلومات والاتصال.

5. الاندماج والتماسك الاجتماعي.

6. التمكين والفعل السياسي.

وسنأتي أو لا على ُبعد "الثقة" كونه يمّثل مفهومًا مركزيًا وسط عنقود من المفاهيم الأخرى المرتبطة سواء على مستوى الاهتمام النظري في العلوم الاجتماعية، أو على مستوى الممارسات العملية ، مما يؤكد أن الثقة تمّثل ُبعدًا مهمًا بالنسبة إلى بناء كيان المجتمع، فضلا عن أنها تؤدي دورًا مهمًا في

حياة المجتمع ونسيجه المعياري خاصًة فيما يعرف بتوقعات الدور التي تشير إلى السلوك المتوقع من الآخرين.[47] وتعد الثقة الاجتماعية في أغلب لالتراث المشار إليه سابقا رأس المال الاجتماعي، وتستخدم – في أغلب الأحيان –كمؤشر رئيس، وربما الوحيد له .وبذلك فالقدرة التي تنبثق في المجتمع نتيجة تغلغل الثقة فيه، أو في بعض قطاعاته على أقل تقدير، هي التي تمّثل رصيده من رأس المال الاجتماعي. لذلك حظيت الثقة بإشارات مبكرة ومتميزة كشفت عن أهميتها في تأسيس حياة جماعية حديثة مستقرة، ولعل التعريف البسيط لها يشير إلى أنها :العلاقة التي تتجاوز حدود حسابات المصلحة الذاتية الضيقة. ويؤكد "فوكوياما" أن رفاهية أي مجتمع وقدرته على التنافس، تتوقف على سمة ثقافية هي مستوى الثقة المتوافر داخله التي تتلاءم مع رصيده من رأس المال الاجتماعي، ويذهب إلى أن الثقة هي ما يتوقعه الأعضاء من أعضاء آخرين ضمن جماعة ذات سلوك منتظم ومستقيم وتعاوني يرتكز على أعراف مشتركة، وعلى هذا فإن رأس المال الاجتماعي هو قدرة تنشأ من خلال انتشار الثقة وما يرتبط بها من قيم داخل المجتمع أو في أجزاء معينة منه[48]. وتجدر الإشارة إلى أن مواقف مشروعات الأعمال ذات الصفة التجارية لا تخلو من ذلك العنصر الجوهري أي الثقة، ويؤدي

47شقلابو، نوري :ما هو رأس المال الاجتماعي، مجلة منارة البحوث،الاجتماعية، العدد الأول، طرابلس.2009،ص 13.

48فوكوياما، فرنسيس :الثقة، الفضائل الاجتماعية وتحقيق الازدهار، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتجية، أبو ظبي .1998، ص 39.

هذا إلى بعض التضحيات المتبادلة وتقييد السلوك الأناني، ويشكل وجود هذا العنصر الأخلاقي أساس التماسك الذي يجري في الحياة الاجتماعية، والذي يجعل –وفقًا لدوركهايم –عيش الناس ممكنًا معًا.

وفي إشارة أكثر صراحة يقول"زيمل" أن الثقة هي إحدى أهم تركيبات قوى المجتمع بين الناس ومن غير الثقة العامة يتحلل المجتمع أو يفقد ،تكامله، فالمجتمعات المعقدة تعتمد وظيفيًا على عدد وفير من التعهدات والترتيبات التي لا يستطيع الفرد وحده إنجازها،[49]

ويدلّ البعد الثاني لمفهوم رأس المال الاجتماعي وهو الجماعات والشبكات، على مدى مشاركة الفرد في الأشكال المختلفة من المنظمات والشبكات غير الرسمية.

ويظهر البعد الثالث وهو العقل الجمعي والتعاون، مدى قدرة الأفراد على العمل مع الآخرين في مجتمعاتهم من خلال المشروعات المشتركة.

ويتناول البعد الرابع المعلومات والاتصال، والوسائل التي يمكن من خلالها أن يصل الفرد إلى المعلومات التي ترتبط بظروف حياته.

أ ما البعد الخامس فيتضمن الاندماج والتماسك الاجتماعي، وتحديد طبيعة الفروق والانقسامات والآليات التي تجري بواسطتها السيطرة عليه.

ويتضمن البعد السادس وهو التمكين والفعل السياسي، ضرورة تمكين الأفراد إلى الحد الذي يسمح لهم بالسيطرة والتحكم في العمليات التي تؤثر تأثيرًا مباشر في رفاهيتهم .

49زايد أحمد ،مرجع سابق،ص 25.

5- مكونات رأس المال الاجتماعي وخصائصه:

عند تناول مكونات رأس المال الاجتماعي من خلال التعريف المتفق عليه":أنه يعبر عن الروابط والعلاقات الاجتماعية التي يكونها، وينضم إليها،مجموعة من الأفراد في إطار بناء اجتماعي لخدمة أهدافهم المشتركة"، سنجد أن رأس المال الاجتماعي – ووفقاً للتعريف – ينطوي على العناصر التالية:

1. بناء اجتماعي يمتد من الأسرة ليشمل جماعات الجيرة والأصدقاء والنوادي .
2. مجموعة من الروابط والعلاقات الاجتماعية، التي تتكون في إطار هذا البناء،والتي تقوم على مجموعة من المبادئ العامة كالثقة والتبادلية والالتزام بما تفرضه العضوية في هذه الجماعة من واجبات.
3. فائض من الموارد الفيزيقية والبشرية يمتلكها أفراد الجماعة.
4. الأفراد الذين ارتضوا الانضمام طواعية إلى هذا البناء الاجتماعي،شريطة أن يتوفر في الأفراد الرغبة في التعاون مع بعضهم البعض لتحقيق استفادة متبادلة فيما بينهم، بما يمكنهم من الاستفادة بالشكل الأمثل من الموارد التي توفرها الجماعة.
5. مجموعة من الأهداف التي يسعى أعضاء الجماعة إلى تحقيقها، و قد ترتبط الأهداف بالجماعة ذاتها، أو بالمجتمع الأوسع.

ومما سبق يتضح أن نجاح أي بناء اجتماعي في تكوين رصيد من رأس المال الاجتماعي يتوقف على قدرة هذا البناء على الاستفادة من شبكات الروابط والعلاقات الاجتماعية والقيم المتوفرة بين أعضائه، وتوسيع وتنمية هذه الروابط والعلاقات بما يمكن البناء الاجتماعي من تحقيق أهدافه.

أما فيما يتعلق بمصادر رأس المال الاجتماعي، فثمة مصادر عدة تمتد من الجماعات الاجتماعية الأولية كالأسرة وجماعة الجيرة، لتشمل المؤسسات غير الرسمية بما فيها جمعيات

تنمية المجتمع وجماعات المساعدة الذاتية، بل أن رأس المال الاجتماعي يتولد في المؤسسات الحكومية منها وغير الحكومية، بمافي ذلك الجمعيات والنقابات والأحزاب.

والجدير بالذكر في هذا الصدد أن فوكاياما قام بتصنيف المجتمعات وفقاً لشكل الروابط الاجتماعية السائدة فيهاإلى مجتمعات أسرية تكون فيها العائلة وصلات القربى بشكلها الأوسع كالقبيلة والعشيرة هي النواة الأساسية لأي تفاعلات اجتماعية[50]، ومن ناحية أخرى هناك مجتمعات أشار لها فوكاياما بوصفها مجتمعات الثقة العالية، وهي المجتمعات التي تتنوع فيها أشكال التفاعلات الاجتماعية، بما يسمح للفرد بالانتماء لأكثر من بناء اجتماعي في نفس الوقت وهذان النمطان من المجتمعات يقعان على خط متواتر ،وتتفاوت المجتمعات في القرب أو البعد عن أي منهما وفقاً لدرجة الثقة المجتمعية الموجود والتي يترتب عليها تفاوت ملحوظ في درجات التقدم الاقتصادي والسياسي[51] وقد قدم مشروع البنك الدولي لدراسة رأس المال الاجتماعي في البلدان النامية–والمعروف برأس المال الاجتماعي من أجل التنميةرص داً لمصادر رأس المال الاجتماعي ، وتمثلت هذه):المصادر كما أوضحها البرنامج،في الآتي[52]:

أ –**الأسرة** :وتمثل المصدر الأول والأساسي لرأس المال الاجتماعين، إذ تضع أسس العلاقة بين الفرد والمجتمع المحيط به، من خلال دورها في تنمية ثقة الفرد في الآخرين. كما تلعب الآسرة دوراً في توفير الآليات اللازمة لتحقيق الرفاهة الاقتصادية، وذلك عن طريق تنمية الروابط والعلاقات غير الرسمية–خصوصاً للمساعدة والتعاون داخلها بما في إطار الأسرة الممتدة يجعلها بمثابة شبكة للضمان الاجتماعي تقدم الخدمات والمساعدات لأعضائها في فترات الأزمات الاقتصادية أو الاجتماعية. ولا يقتصر دور الأسرة على توفير الموارد

50Fukuyama, Francis, "Social Capital, Civil Society and Development", Third World Quarterly, Vol.22,2001,pp7.

51 Fukuyama,Francis,Trust:Social Virtues,Op.Cit,pp130-133.

52 Grootaert,Christiaan,"Social Capital: The Missing Link?", Washington,D.C,World Bank,Sci Working Paper No.3,April1998,pp3-6.

لأعضائها، وإنما تسهم أيضا في مراكمة رصيد رأس المال الاجتماعي المتاح للمجتمع ، ومع ذلك فالأسرة قد تكون في بعض الأحيان عائقاً أمام تكوين رأس المال الاجتماعي الذي يساهم في تحقيق الرفاهة، وحيث يؤدي ارتفاع مستويات الثقة داخل الأسرة، إلى عدم ثقة أعضائها في من هم خارج نطاق الأسرة، وفى أحيان أخري تقوم الأسرة بعزل نفسها عن المجتمع المحيط، وذلك تجنباً للضغوط الاجتماعية، والمخاطر المادية.[53]

ب –**الروابط الاثنية** :اعتبر الباحثون الرابطة الاثنية أحد مصادر رأس المال الاجتماعي، إذ تؤثر على طريقة تنشئة الأفراد وتساهم في تشكيل وعيهم وأفكارهم تجاه أنفسهم وتجاه الآخرين، وهى بذلك تساهم في ربط مجموعة من الأفراد معاً، و من ثم ربطهم أو عزلهم عن المجتمع المحيط، كما تستطيع أن تحشد الموارد وتعبئها لخدمة أهداف محددة، وتساهم الروابط الاثنية أيضاً في إتاحة المزيد من الفرص أمام أعضائها لتحقيق أهداف مشتركة.

ومع ذلك فهذه الروابط ذاتها قد تؤدى هذه الروابط، إلى التعصب ضد من يقعون خارج نطاق الجماعة الأثنية بما يقود–في كثير من الأحيان–إلى زيادة درجة التطرف في المجتمع، وتدهور قيم التسامح فيه.

ج –**المجتمع المدني** : يعد المجتمع المدني أحد المصادر الهامة والأساسية لتكوين رأس المال الاجتماعي، وذلك في بعض المجتمعات– خاصة المتقدمة منها–والتي تتميز بارتفاع مستوى الوعي العام لدى مواطنيها، وارتفاع معدلات المشاركة في الحياة المدنية.[54] ويتكون المجتمع المدني وفقاً للتعريف الشائع من الجمعيات والتنظيمات الرسمية وغير الرسمية، التي تعمل بشكل مستقل عن الدولة وآليات السوق من أجل تحقيق مصالح المجتمع المستهدف،

53Foley, Michael w.and Bob Edwards," Escape from politics: Social Theory and Social Capital Debate" American Behavioral Scientist,40,1997,pp549-560

54 Ibid,pp.22

ولا يعنى تمييزها عن الدولة والسوق أنها منفصلة عنهما وإنما يعنى استقلالها عن أي منهما، فهى تتعاون معهما، ولكنها– في نفس الوقت–غير تابعة لأي منهما. ويلعب المجتمع المدني دوراً محورياً في مساعدة أفراد المجتمع على تكوين الثقة التي تربط الأفراد ببعضهم من أجل القيام بنشاط معين، وهو أمر ضروري لنجاح أي مؤسسة لأنها بذلك تمنح من لم تتح له الفرصة من قبل للمشاركة، فرصة الاندماج مع الآخرين في أنشطة هامة.

د –**القطاع العام** :يشمل القطاع العام المؤسسات التابعة لإشراف الدولة وإدارتها، حيث تقوم إذ تستطيع هذه المؤسسات– من خلال إدارتها للعلاقة بين موظفيها– بتدعيم ثقة المواطنين في مؤسسات الدولة وهيئاتها، الأمر الذي يمكن ملاحظته بوضوح في المجتمعات التي انضوت في السابق تحت راية المعسكر الشرقي. وثمة مصادر أخرى لرأس المال الاجتماعي غير تلك التي تم ذكرها آنفا ومنها :جماعات الجيرة، وجماعات الأصدقاء، وغيرها، وتتساوى هذه المصادر في أهميتها، وما يميزأحدها عن الآخرهوالسياق الذي تعمل فيه، ففي بعض المجتمعات يكون لمؤسسات الدولة، والمجتمع المدني أهمية كبيرة في تكوين رأس المال الاجتماعي[55]، وهذا ينطبق على نظم الحكم الديموقراطية التي يتمتع فيها المجتمع المدني بقوة حقيقية في التأثير على عملية صنع القرار، إذ تتمتع الجمعيات غير الرسمية بقوة ونفوذ كبيرين، لأنها الأكثر قدرة على استيعا الأفراد، وهى بذلك تساهم في تكوين رأس المال الاجتماعي[56].

6 :صور رأس المال الاجتماعي:

قدمتالكثير من الدراسات عدداً من التصنيفات لرأس المال الاجتماعي ويستند كل تصنيف إلى معايير بعينها، أو مدخل محدد في تناول الظاهرة.وعلى سبيل المثال، قدم البنك الدولي

55 Serageldin,Ismail and Grootart,Christian,Defining Social Capital: An integrating review,op.cit ,1997,PP80-83.

56 Ibid,pp.100.

تصنيفه استناداً إلى الرابطة الاجتماعية التي تسهم في تكوين رأس المال الاجتماعي، وذلك على النحو التالي:

رأس مال اجتماعي رسمي: ويشمل الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تتكون في إطار أبنية اجتماعية رسمية كالمؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني.

رأس مال اجتماعي غير رسمي: ويقصد به مجموعة الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تتكون في إطار الأبنية الاجتماعية التقليدية غير الرسمية، كتجمعات الجيرة والأصدقاء، ويسهم هذا النوع في تكوين نمط من الثقة لا يحفز على المشاركة في شئون المجتمع، ولا يتجاوز حدود العلاقات الأسرية، وشبكات القرابة.

ومن جانبه، قدم"روبرت بوتنام"محاولة لتصنيف رأس المال الاجتماعي، وفقا للثقة الناتجة عن استخدامه، و ذلك على النحو التالي:

رأس مال اجتماعي عابر: ويتمثل في الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تتشكل في إطار أبنية اجتماعية متنوعة، ولا تقوم هذه العلاقات والشبكات على الروابط التقليدية، كالدين أو العرق أو النسب، وإنما تعتمد على ارتباط أعضائها بمجموعة من الأهداف العامة، ويساهم هذا النوع في تكوين نمط من الثقة المجتمعية التي تدفع المواطنين للمشاركة في ،المعممة شئون مجتمعهم.

رأس مال اجتماعي رابط: وينصرف إلى الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تتشكل في إطار أبنية اجتماعية مغلقة، وتعتمد هذه الشبكات والأبنية الاجتماعية على الروابط التقليدية–التي

سبق الإشارة إليها–ولا تتولد لدى أعضاء هذه الشبكات رغبة في المشاركة خارج نطاق جماعتهم، وذلك لتُكون نمط من الثقة الفردية أوالشخصية[57].

يؤكد مارك جرانوفيتر[58] أنه لا يوجد خط فاصل بين رأس المال الاجتماعي العابر، والرابط.فهناك إمكانية لتحول الرابط إلي العابرمن خلال التفاعلات الاجتماعية، ويضرب مثال علي ذلك ببعض المشاريع التجارية الصغيرة التي تعتمد في إدارتها علي العلاقات والروابط الاجتماعية المباشرة بالأقارب، والأصدقاء، والجيران(رأس مال اجتماعي رابط) في الحصول علي كافة الاحتياجات الأساسية للمشروع، ولكن بمرور الوقت ومع اتساع النشاط يبدأ أصحاب تلك المشروعات في تكوين روابط اجتماعية أخري خارج حدود جماعاتهم التقليدية من خلال اكتساب عدد من المهارات والأدوات (رأس مال اجتماعي عابر).

ويؤكد ميشيل ولكوك [59]نفس الشيء، فنتيجة لعدم ثبات الأبنية الاجتماعية، وتغير هيكل وبنية التفاعلات الاجتماعية داخلها– وانعكاس ذلك علي طبيعة القيم التي تحكم العلاقة بين أعضاء الجماعة– هناك إمكانية لتحول رأس المال الاجتماعي الرابط إلى رأس المال الاجتماعي العابر، وهي الفكرة التي قامت عليها بنوك الفقراء في جنوب شرق أسيا، فهي في جوهرها استخدام ما يمتلكه الفرد من روابط وعلاقات اجتماعية، في تحسين أوضاعه المعيشية، الذي

---

57 Uphpoff,Norman and Krishna,Anirudh,"Mapping and Measuring Social Capital: a Conceptual Empirical Study of Collective Action for Conversing and Developing Watersheds in Rajasthan in India, Washington,D.C,Sci Working Paper NO.13,June,1999,pp15-18

58Fankand,Yausmoto,"Social Capital with in and Between Subgroups", American Journal of Sociology,vol,109,1998,pp.647.

59 Woolcock, Micheal," Social capital and economic Development: toward a theoretical synthesis and policy Framework", theory and society, 27,1998,pp155.

يؤدي في النهاية للدخول الفرد في عدد من التفاعلات الاجتماعية –رغبة منه في اكتساب مهارات جديدة –تتجاوز حدود روابطه التقليدية.

تمهيد:

من المعروف أن التراث الإنساني تراث قبلي غني، باعتبار أن هذه الوحدة الاجتماعية المحورية صاحبت مختلف مراحل التاريخ البشري و تميزت بحضور فاعل، يستمر حتى الآن في كثير من المناطق في العالم ولا يزال يحرك الكثير من الأحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. حتى أن الكثير من علماء الغرب استشرفوا عودة القبيلة لتصنع أحداث المجتمعات الغربية ولأحسن دليل على ذلك ما كتبه عالم الاجتماع الفرنسي ميشال مافيزولي عن عودة القبيلة في كتابه المعنون " زمن القبائل".

وفي هذا الفصل نستعرض أهم تعاريف القبيلة، من معاجم اللغة العربية،إلى معاجم العلوم الاجتماعية و علماء الاجتماع، واهم المدارس التي عنيت بدراسة وتتبع القبيلة ، لنختم هذا الفصل بالحديث عن الدراسات الاجتماعية للقبيلة في الجزائ، وكذا اشكال المجتمعات و خصائصها.

أولا: القبيلة:

1 – مفهوم القبيلة:

إن صيرورة اختلاف سبل وسياقات التناول لدى الدارسين في العلوم الاجتماعية و الإنسانية في تحديد مفهوم القبيلة، هذا المفهوم على الرغم من اتساع استخدامه، فإنه لا يحظى بالاتفاق على الدلالة والمعنى نفسيهما. فكثيرا ما يحدث الخلط بين القبيلة و الإثنية. كما يحصل الخلط أحيانا بين الوحدات الاجتماعية المدروسة بما يساوي بينها، على الرغم من اختلاف حجمها وأسس بنائها ووظائفها .

و استمرار هذا الخلط إلى تسرب وانتقال مفهوم القبيلة اليوم إلى خطابات عديدة منها الإعلامية والسياسية، بعد أن كان خطاب يومي وحياتي، ليدل على مجموعة منغلقة وخصوصا إذا كانت دينية أوعرفية أوطائفية. هذا الخطاب الذي يميز الحياة اليومية والمعاشية لمجتمعات العالم الثالث بصفة عامة، والمجتمعات العربية والمغاريبية بصفة خاصة.

و أثناء متابعتنا لمختلف التعريفات المتعلقة والتابعة للقبيلة و مشتقاتها، تمكنا من التعرف على مكامن هذا المفهوم و منطلقاته التي أدت إلى تعددية في المعاني، وفيما يلي بعض من مكامن معاني مفهوم القبيلة .

1-1-القبيلة في اللغة:

أقد أفرد اللغويون والدارسون لمصطلح القبيلة مؤلفات وأبوابا ومحاور، فابن منظور يقول في لسان العرب: « ابن الكلبي يرى أن الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ، واشتق الزجاج القبائل من قبائل الشجرة أي أغصانها، و يقال قبائل من الطير أي أصناف وكل صنف منها قبيلة ....، والقبيلة هي جماعة من الناس

يكونون من نحو ثلاثة فصاعدا من القوم شتى الزنوج و الروم و العرب. وقد يكون من نحو واحد وربما كان القبيل من أب واحد كالقبيلة »[1]. هكذا فالتعريف يقوم على التصنيف وفكرة التجمع والتدرج، كما أن هذا التجمع يقوم على النسب المشترك للمجموعة. وهذا ما استندت إليه الموسوعة العربية الميسرة حينما عرفت القبيلة باعتبارها تتكون من: «مجموعة من الناس يتكلمون لهجة واحدة و يسكنون إقليما واحدا مشتركا يعتبرونه ملكا خاصا بهم».[2]

أما التعريفات الحديثة استندت إلى معنى التجمع الواسع المستند إلى الجد المشترك[3].

فالتعريف العربي للقبيلة يتميز بالدقة من خلال الاتفاق على أنها تمثل جزءا يندرج في إطار تصنيفات أخرى متدرجة، فللعرب تقاليد عريقة في علم الأنساب و هذه التدريجة هي:

الجذم – الجمهور- الشعب- القبيلة- العمارة- البطن – الفخذ – العشيرة- الفصيلة- الرهط[4].

ويقوم التعريف عادة على اعتقاد المجموعات القبلية في انتمائه إلى الجد أعلى مشترك، انتماء يميزها من مجموعات أخرى مماثلة و يفصلها عنها، بحيث تكون العلاقات بين الطرفين علاقات تعارض وتنافس وصراع[5].

---

[1].جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب ، بيروت، دار صادر، ج 11،ص 541.

[2] جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب ، بيروت، دار صادر، ج 11

[3] أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب،ج 2،ص265.

[4] أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد،ج3،ص335.

[5]محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي : محدداته و تجلياته، نقد العقل العربي، 3، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي،1990،ص83.

و يعتبر شيلود–chelhod – أن النويري هو الذي قدم لنا مورفولوجية القبيلة حينما وضع تصنيفا تندرج فيه عبر تشكلها المستمر[6]. ومن خلال التصنيفات المعتمدة في اللغات الأجنبية يمكن الخروج بالمقابلة التالية:

الجذم	الجمهور	الشعب	القبيلة	العمارة	البطن	الفخذ	العشيرة	الفصيلة	الرهط
Race	Ethnic	Peuple	Tribu	Fraction	Sous-fraction	Segment	Clan	Lignage	famille

أما على مستوى حجم الوحدات القرابية تحالفا أو انقسامنا فتوجد مجموعة مصطلحات تعبر عن ذلك. فرحمة بورقية ترى أن هناك فرقا كبيرا بين «التجمع القبلي» و«التحالف القبلي» و«الاتحاد القبلي»، وهذا المصطلح الأخير هو الذي استخدمته المدرسة الأنثربولوجية على نطاق واسع، و كذا السوسيولوجية الكولونيالية، أما التجمع القبلي فهو الذي يضم مجموعة القبائل تكون فروعا في الاتحاد القبلي.[7]

1-2- القبيلة في قاموس علم الاجتماع :

فإننا نجد ثلاثة مفاهيم هي على الآتي:

[6] محمد نجيب بوطالب،سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1، 2002،ص54.

[7] رحمة بورقية، الدولة و السلطة و المجتمع : دراسة في الثابت و المتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب ،بيروت،دار الطليعة1991.ص

هي نسق في التنظيم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية ، مثل القرى و البدنات و العشائر، و تقطن عادة إقليما معينا و يكتنفها شعور قوي بالتضامن و الوحدة و يستند إلى مجموعة من العواطف الأولية.

2-هي تجمع كبير أو صغير من الناس يستغلون إقليما معينا و يتحدثون اللغة نفسها و تجمعهم علاقات اجتماعية خاصة متجانسة ثقافيا.

3-هي وحدة متماسكة اجتماعيا ترتبط إقليميا، وتعتبر في نظر أعضائها ذات استقلالية سياسية.[8]

أما تعريف معجم علم الاجتماع فإنه يطابق بين مفهومي القبيلة و الإثنية وينفي البعد القرابي، فهو يعتمد نموذج القبيلة الافريقية أساسا لوضع تحديد لمفهوم القبيلة[9]، وتتقسم القبيلة قي داخلها إلى نوع من الانشطار .ويعني نظام التشريح القبلي، تشريح القبيلة إلى جماعتين متكاملتين وكان استعماله الأول يعني النظام القرابي الثنائي (أي جميع أقارب الأب وأقارب الأم)، وقد استعملته الكتابات الفرنسية بكثرة خصوصا دوركايم وموس في محاولتهما تصنيف المجتمعات البدائية، كما استعمله العالم الاجتماعي الانكليزي راد كليف براون في دراسته لقبائل استراليا الغربية بالإضافة إلى العالم الأمريكي عيفورد(1916). إلا أن أهم دراسة علمية تناولت موضوع التشريح القبلي هي دراسة ليفي ستراوس التي نشر نتائجها في كتابه الأنثروبولوجيا التركيبية (1963)[10]. ويعرف بيشلر – beachler– القبيلة بأنها : شكل انقسامي للتنظيم الاجتماعي يتكون من أقسام قاعدية ، يمثل كل منها أسرة ممتدة في عمق ثلاثة أو أربعة أجيال، وكل قسم قاعدي

[8]محمد عاطف غيث،محرر، قاموس علم الاجتماع،مصر،دار المعارف الجامعية، 1990.ص93.

9 دينكن ميتشيل، محرر،معجم علم الاجتماع، ترجمة و مراجعة أحسان محمد الحسن،ط2،بيروت ، دار الطليعة 1987، ص248.

[10] المصدر نفسه،ص 146.

يلتحم تلقائيا مع قسم أخر كلما شعر بتهديد أو خطر. وشيئا فشيئا يمكن أن تتحد القبيلة بأسرها، أو مجموعة قبائل، في مجموعة مؤقتة لمواجهة عدو خارجي.

هكذا تقوم القبيلة على مبدأ المواجهة أو الاحتكاك في كل مستوى من الوحدات التي تتميز بالتساوي تقريبا. وهذا ما يؤدي إلى إقامة توازن عام يؤدي إلى نوع من الحماية. [11]

2-القبيلة عند ابن خلدون :

لا تتحدد القبيلة بالنسبة إلى ابن خلدون بكونها جماعة متفرقة عن جد أول ، كما لا تتحد فقط بما يجمع بين أعضائها من روابط الدم، كما حدد ذلك الأنثروبولوجيون الكلاسيكيون . إن النسب في معناه الضيق لا يعدو أن يكون معطى وهميا لا يصمد أمام واقع الاختلاط وعلاقات الجوار والتعايش في المكان. أما الإطار الحقيقي للقبيلة عند ابن خلدون فهو النسب في معناه الواسع و الرمزي[12]. وما يمثله من أشكال التحالف و الولاء و الانتماء. فابن خلدون يؤكد دور المكان، أي الأرض، الذي يشكل محور التحام الجماعة و مما يذكي الإحساس بالانصهار ضمن جماعة قبلية و يعزز تلاحمها الداخلي، الخطر الخارجي الذي قد يهدد استمرار وجودها، سواء كان ناجما عن عصبية زاحفة أو عن تدخل سلطة مركزية.كما أن علاقات القرابة و التحالف الموجودة بين أعضاء القبيلة الواحدة تؤدي إلى إقامة الفوارق بين المجموعات القبيلة التي كثيرا ما تسبب في عمليات التنافس الحاد و الصراع على الموارد ومصادر العيش. وهذا ما يدفع إلى إضفاء طابع الصراع الدائم و المستمر على المجتمع القبلي.

3-القبيلة عند دارسي المرحلة الاستعمارية:

[11]محمد نجيب بوطالب، مرجع سبق ذكره ،ص55.

[12] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة ، بيروت ،دار الكتاب ، دار إحياء التراث العربي، ص130.

إذا كان ميشو بيللير(michaux –bellaire) قد طرح مستويات الحياة القبيلة وكأنها منعزلة ومنفصلة عن بعضها البعض،وأفاض في وصف مظاهر العنف و المواجهات الحادة بين المجموعات القبلية دون تحليل معمق، فإن روبير مونتاني (R.montagne) لم يتوقف عند رصد الوقائع القبلية ووصفها ، بل سعى إلى تشكيل نسق نظري حاول عن طريقه فهم طبيعة الآليات المعتمدة في الحفاظ على التوازنات الاجتماعية. فالقبيلة عند مونتاني لا تتحدد بانتمائها إلى جد مشترك فقط بقدر ما تتحدد أيضا في وحدة التسمية و مجال العيش وفق تقاليد و أعراف موحدة، بما يؤدي إلى تمحور أطرافها حول سوق أسبوعية أو ضريح ولي أو بما يجمع بين فرقها من عداء للقبيلة المجاورة. لقد بحث مونتاني عن مواطن القوة و الضعف في النظام القبلي. وعلى رغم ما تسرب إليها من سلبيات[13] .

أما جاك بيرك فهو يمثل النموذج الأمثل للقراءة المتأنية والعميقة للمسألة القبيلة في المغرب العربي، ففي دراسته لقبيلة(سكساوة) جعل من منطلقات مونتاني بعض الافتراضات لدراسة قبائل الأطلس الكبير.أما ما يميز تحليل بيرك فليس فقط تأكيده أهمية رابطة المكان وإنما طرحه للقبيلة باعتبارها بناء اجتماعيا كليا لا يمكن فهم عنصر من عناصره دونما ربطه ببقية العناصر الأخرى لقداستطاع بيرك أن يوظف علم الاجتماع الدوركايمي الوظيفي في دراساته حول مجتمعات المغرب العربي، وهذا ماجعله يفسح المجال للفهم و التفسير أمام مستويات متعددة بما فيها العادات و الأعراف والرموز الجماعية والقيم والعادات والمعتقدات الدينية، وصولا إلى الاقتصاد والايكولوجيا، فاعتبر أن هذه العناصر متفاعلة فيما بينها لتشكل نظاما أو نسقا اجتماعيا . هذا ما جعل بيرك يشك في فكرة السلالة الواحدة المتأتية من الجد المشترك التي روج لها بعض الأنثروبولوجيين الكلاسيكيين، فالسلالة الواحدة تخفي تنوعا كبيرا في أصول السكان ، لذلك أوضح أن

[13]محمد نجيب بوطالب،مرجع سبق ذكره،،ص57.

الالتجاء إلى الجد المشترك ما هو إلا مجرد وهم، و فسر هذا الوهم بالانتشار المبكر لفروع قبيلة أساسية في سائر مناطق بلاد المغرب.[14]

وكان دوتي(doutte) في عام (1903م) يعتبر من القلائل الذين أشاروا إلى عدم التجانس في القبيلة الواحدة، فقد نبه إلى ظاهرة التطعيمات التي ألحقت بالأصل القبلي، كما أكد أوغستين برنار ما قد ذكره ابن خلدون منذ قرون من أن : «القبيلة لا تنمو فقط عن طريق الاندماج بل كذلك عن طريق التجميع » . لقد تحدث بيرك عن« مشكلة مورفولوجية»، أي عن ضعف الدراسات الميدانية حول القبيلة في الفترة الاستعمارية، فأغلب الأعمال الأولى كانت عبارة عن مونوغرافيات تندرج في المهمات العسكرية الملحة خصوصا في الجزائر.

4-القبيلة عند علماء الاجتماع المحدثين:

لقد تسرب استخدام هذا المفهوم إلى بعض علماء الاجتماع المعاصرين الغربيين ولأحسن دليل على ذلك ماكتبه عالم الاجتماع الفرنسي ميشال مافيزولي« Maffesoli »، في كتابه الشهير "زمن القبائل "، إذ ذهب إلى أن مجتمع الكتل هو الذي حل محل الفرد في أوروبا.و قد استخدم مافيزولي مصطلح «Tribu» للإشارة إلى الجماعة المتضامنة. وأن إطار هذا الاستخدام هو التعبير عن إحدى إشكاليات المجتمع المابعد الحدثي. فهذا المفهوم المافوق- فردي يطرح مقابل النزعة الفردانية والمفاهيم المنبثقة عنها، وهي مفاهيم مرتبطة بمجال علم النفس أكثر من ارتباطها بمجال علم الاجتماع.[15]

لقد تحدث مافيزولي عن زمن القبائل وعن تجميل السياسي (معبرا عن واقع الصراع بين المجموعات المتبلورة في المجتمع، بما في ذلك مجتمع الجامعة الفرنسية).

---

[14] محمد نجيب بوطالب،مرجع سبق ذكره،،ص57.

[15] زوهير بن جنات ،ورقة عمل ضمن أعمال الندوة العلمية للجنة الثقافية الجهوية بصفاقس يومي 14 و15 أفريل 2006.

و المهم هنا هو أن بعض علماءالاجتماع الغربيين يطلقون مفهوم القبيلة على المجموعات المتقابلة، والتي تكون دوائر شبه مغلقة، لها مصالحها المتناقضة، على أن هذا الاستخدام يحول القرابة المستعارة من القبيلة التقليدية من قرابة دموية إلى قرابة تخصصية أو مصلحيه، كما أنهم يستخدمون هذا المفهوم للدلالة على الجماعات والجمعيات والتنظيمات الرياضية والدينية و الفنية[16].

3- نظريات دراسة القبيلة :

تعتبر المدرستان الكولونيالية والتجزيئية أوالانقسامية من أهم المقاربات التي عالجت المجتمعات المغاربية. فقد سادتا لمرحلة طويلة نسبيا وكونتا رصيدا دراسيا لا يستهان به. ولقد تكون هذا الرصيد عبر الفراغ السوسيولوجي الذي وجداه في المنطقة خلال أكثر من قرن من الزمن، وهذا بعد دراسة ابن خلدون. وانطلقتا من كتابة التقارير وصولا إلى الدراسات والأطروحات. لقد كون كل منهما لنفسه منظومة من المفاهيم و المقولات التي ميزت تحليلها فأنتجت أعلامها ومرجعياتها.وفيما يلي نسعى إلى إبراز خصائص المدارستين التي تعرضت لهذا النوع من الدراسات السوسيولوجية و التمييز بينها منهجيا و تاريخيا.كما أننا لا ننسى دور المدرسة الماركسية والتي اهتمت بدورها بهذه المجتمعات.

3-1- المدرسة الكولونيالية:

على الرغم من ارتباط هذه المدرسة حسب تسميتها بالمرحلة الاستعمارية، إلا أن صفة الكولونيالية تبدو أكثر تعبيرية عن مجموع الأعمال الدراسية التي أنجزت حول المغرب العربي خلال الفترة الاستعمارية، بما في ذلك المرحلة السابقة و المرحلة اللاحقة باعتبار أن هناك بواكير وامتدادات سبقت ولحقت المرحلة المحدودة بالاستعمار المباشر. وعلى الرغم أن أعلام هذه المدرسة لا يدخلون ضرورة ضمن التخصص السوسيولوجي،

[16] محمد نجيب بوطالب،مرجع سبق ذكره،،ص61.

فإن أغلب الدارسين يعتبرون أن التخصص السوسيولوجي يعتبر هو الغالب على أتباعها. لقد كانت جل الكتابات الاجتماعية حول المنطقة في المرحلة الاستعمارية متأثرا بالسوسيولوجيا الفرنسية التي كانت بدورها تهيمن على تحليلات الدارسين بمختلف وظائفهم ونشاطاتهم.[17]

لقد تناول رواد هذه المدرسة مجال الإتنولوجيا، و أعادوا صياغة التاريخ الاجتماعي، و يجد دارس خطاب هذه المدرسة نفسه مدعوا إلى ضرورة التمييز بين البحث السوسيولوجي والبحث الاجتماعي اعتمادا على شرطين كما فعل الخطيبي[18] هما:

وجود التصور السوسيولوجي كمقصد ومنهج لدى الباحث.

– احترام الحد الأدنى من القواعد العلمية.

فالمقاربة الكولونيالية ليست تخصصا ضيقا و إنما هي رؤى للتحليل خترق جميع الأعمال التي تعلقت بالمجتمع، وقد يكون من النقص والخطأ في الوقت نفسه إهمال الأعمال التي لا ينطبق عليها المقياس السوسيولوجي الضيق. تلك الرؤى أوردها بيرك(Berque) في مقالته المهمة التي تعتبر تتويجا حقيقيا لقرن وربع من الأعمال حول المجتمعات المغاربية،« مائة وخمس وعشرون سنة من علم الاجتماع الشمال أفريقي»

لقد استعرض بيرك مختلف التجارب البحثية في المنطقة خلال المرحلة الاستعمارية، و أطلق عليها تسمية : علم الاجتماع الشمال أفريقي: مركزا على الأعمال البحثية التي أنجزها كل من هانوتو و لاتورنو وغوتي وكاريت وبيليسيي حول الجزائر ومونتاني حول المغرب، مرورا بالتجارب التقريرية التي أنجزها العسكريون والإداريون حول المناطق

[17]محمد نجيب بوطالب،مرجع سبق ذكره،،ص34.
[18]المرجع نفسه،،ص57.

التي أداروها و تحكموا فيها. فلقد كان العلم الذي طبقه مونيي على الجزائر عبارة عن برنامج عمل سماه تحديداب:

Programme d'une sociologie algerienne وهو مجرد تطبيق لـ : علم الاحتماع لبدائيين[19] اعتبره ساباتييه :علم الاجتماع الأهالي ، لقد أنتج هذا العلم في إطار ما كان يسمى بـ: العلوم الاستعمارية.:

لقد تم التركيز في أعمال السوسيولوجيا الكولونيالية في البدء على موضوع السكان المستقرين من ذوي الأصول البربرية ، فالنموذج الذي إنطلقت منه تلك الدراسات، نموذج القبائل والأوراس والمزاب، التي أنجزت حولها أعمل كل من هانوتو، ولوتورنو، وماسكري، لقد كانت الفرضيات العلمية متطابقة مع فرضيات السياسة الاستعمارية التي كانت تعتبر أن السكان المستقرين سيكونون أقل رفضا للتدخل الاستعماري. كما أن التدخل يسعى إلى استغلال التنوع الاثني استغلالا سوسيولوجيا، ويذكرنا بمقولة ادوارد السعيد : أن المستشرق –الباحث– كان يسير أمام العسكري.

لقد كانت أغلب الأعمال السوسييولوجية تنطوي على فكرة إثبات الركود الاجتماعي و الانقسام السياسي. وهذا ما أكدته أطروحات مونتاني في المغرب. وكانت سياقات البحث المرتبطة بمهام و وظائف ايديولوجية وسياسية مثل مراقبة المناطق وإدارتها أو تكوين الموظفين .

لقد أراد مونتاني للقبيلة المغاربية أن تكون شبيهة بالقبيلة التي قضى عليها الرومان في أوروبا، أي القبيلة التي لم تكن مرتبطة بالترحال بل بالزراعة، وذلك تمييزا لها من القبيلة العربية السهلية المرتحلة. أما الخلاصة الثانية التي تمثل أحد مرتكزات تحليله التي بنا عليها التحليلات الانقسامية فيما بعد فهي المتمثلة في وجود تحالفات عشوائية و مدمرة

[19] المرجع نفسه،،ص34.

يحكمها قانون الصف، اللف أو الغزوة، الحركة. وبذلك تعتبر هذه الكيانات في صراع مستمر مع السلطة. وهي متمردة أبدا..[20]

واستمر تعامل مونتاني وأتباعه مع القبيلة تعامل المنقب عن الحفريات التي لا إرتباط لها إلا مع الماضي الغابر. كما أدى تعميم الخصوصيات المحلية على المجتمع الكبير إلى الخلط وتشويه الواقع:

ورغم تطور تقنيات البحث و العمل، فإن القراءات النقدية الغربية لأعمال الجيل الأول – الرومانسي– حسب تعبير جاك بارك، لم تستطيع التخلص من الإرث الكولونيالي الثقيل بمفاهيمه و فرضياته وأفكاره المسبقة، ذلك أن مهمات البحث القصيرة والجهل التاريخي المحلي، وضعف المعايشةلم تستطيع بناء بدائل متينة، إذ ظلت الخلفيات الاستشراقية وتهويمات المقررين الاستعماريين تؤثر في أغلب التحليلات الخارجية التي أرادت التواصل مع هذا الموروث وهذا المجتمع[21].

وتجاه هذا الموقف، يصبح من الضروري أن يتصدى البحث الاجتماعي بمختلف فروعه إلى إعادة قراءة الخطاب السوسيولوجي الكولونيالي، عبر النفاذ إلى بناه الداخلية من حيث المفاهيم وأطره المعرفية وأنساقه النظرية.

ولقدأخذ نقد السوسيولوجيا الكولونيالية مداه في المرحلة الحديثة على يد جورج بالاندييه، و خاصة مع تصاعد المد التحرري. فقد حلل بالاندييه منطلقاتها ودعا إلى ما أسماه (علم الاجتماع الاستقلالي) ردا على علم الاجتماع الاستعماري.[22]

---

[20] ادوارد السعيد، الاستشراق : المعرفة ،السلطو،الانشاء،نقله إلى العربية كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية. 1981،ص 139.

[21] المرجع نفسه ،ص 395.

[22] محمد نجيب بوطالب،مرجع سبق ذكره،،ص 40.

3-2- المدرسة الانقسامية:

استطاعت الانثروبولوجيا الانقسامية أو التجزيئية، بحافز وتأثيرأنغلوسكسوني، أن تتخطى النزعة الكولونيالية من خلال توسيعها مجال البحث الميداني، محاولة الابتعاد عن التنظيرات الايديولوجية المباشرة. وقد ساعدت تلك الوضعية في أن تجلب لها العديد من الباحثين من ميدان اّلأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع السياسي، وعلى الرغم من أن بعض الدارسين المحليين يصنفون الأطروحات الانقسامية ضمن الأطروحات الاستعمارية، يجب أن نتغافل على الفوارق الزمنية، حيث مازالت الانقسامية فاعلة في العديد من الكتابات التي تتخذ من المجتمعات المغاربية موضوعا لها اليوم، لذلك يجب أن ننتبه إلى اختلاف السياقات والمنطلقات والخلفيات العامة لدى المدرستين الانقسامية بقدرتها على صياغة نماذج نظرية وأدوات مفاهيمية متميزة بالنسبة إلى ما كان يطغى في السوسيولوجيا الكولونيالية من نزعة اختبارية ضيقة وتركيز على جميع المعطيات ومركزية استشراقية أروبية[23].

فقد أجمعت هذه المدرسة بين خصائص التحليل البنيوي والوظيفي في آن واحد ، فحاولت تحليل الميكانيزمات الداخلية والظاهرية للمجتمعات،مع اتجاه نحو فرز الظواهر والأحداث واعتماد التصنيف الذي يبلغ حد الجمالية، مع ميل خاص إلى تعميم الجزئيات على العام، أي على المجتمع الكلي. وقد ركزت بدورها شأن المدرسة الكولونيالية على العلاقات القبلية. واعتبرتها خصوصية اجتماعية مغاربية[24]. ويتميز التحليل الانقسامي بحيويته في تبسيط المعطيات واستخدام الرسوم البيانية والرموز والأشكال التخطيطية فضلا عن استعمال الاحصاءات والمقارنات. وقد سعت الانقسامية إلى استعادة دراسة بعض

[23]المختار الهراس ،"التحليل الانقسامي لبنيات الاجتماعية في المغرب العربي: حصيلة نقدية، سلسلة كتب المستقبل العربي ،8نط2،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،1987،ص265.

24ليليا بنسالم وآخرون، الأنثروبولوجيا و التاريخ: حالة المغرب العربي ،ترجمة عبد الأحد السبتي و عبد اللطيف الفلق،الدار البيضاء،دار توبقال ،1988،ص60.

المجالات التي عالجته المدرسة الكولونيالية، وأعادة نشر بعض كتاباتها ." نشر كتاب مونتاني بالانكليزية سنة 1973".

لقد توازى هذا الطرح الجنيني للأطروحات الانقسامية مع أعمال دوركهايم، وخاصة كتابه في تقسيم العمل الاجتماعي، حينما أشار إلى مجموعة القبائل من ناحية، واستخدم لأول مرة مفهوم الانقسامية للدلالة على أن المجتمع الانقسامي ذي التضامن الآلي يقوم على مبدأ التشابه بين كيانات مستقلة وقائمة بذاتها، إذ يقول " ليكون التنظيم الانقسامي ممكنا ينبغي أن تتشابه القسمات،و بدون هذا التشابه لا يمكنها أن تتحد وأن تتباين في الوقت نفسه، إذ بدون هذا التباين سيضيع بعضها في بعض، وينتهي بها المطاف إلى التلاشي[25].

و بقطع النظر عن العمل القيم الذي أنجزه إيفانز –بريتشاردج حول قبيلة (النور جنوبي السودان، لأن ذلك يمثل مجالا مغايرا، فإن بريتشارد يمثل أول المطبقين الفعليين لمبادئ هذه المدرسة فقد كان مساعدا لراد كليف براون، أول من عاين من خلال البحث الميداني أمثلة من المجتمعات الانقسامية [26].

كان المجتمع المغاربي عبارة مجال خصب انصب عليه اهتمام الانثروبولوجيا الانغلوسكسونية بأفق انقسامي. فقد سعت هذه المقاربة إلى معاينة التنظيم القبلي خصوصا في المناطق المعروفة بتميز عاداتها ولهجاتها البربرية. ولذلك عمل كل من ارنست غلينر و هارت على مساءلة الواقع الاجتماعي والسياسي المغربي، انطلاقا من منظومة المفاهيم التي صاغها كل من دوركهايم و إيفانز بريتشارد فطبقها الأولان على مناطق الأطلس الكبير و الريف[27]. و اعتبر الانقساميون أن القبائل العربية الخصائص ذاتها التي تميز المجتمعات الانقسامية، فالقبائل تنطوي على هرمية متدرجة بحسب الحجم والقوة، ويقوم

25محمد نجيب بوطالب،مرجع سبق ذكره،،ص 42.

26 ليليا بنسالم وآخرون،مرجع سبق ذكره،ص17 .

27محمد نجيب بوطالب،مرجع سبق ذكره،،ص 42.

التوازن الاجتماعي في المجتمع الانقسامي على مبدأي: الانصهار والانشطار، حيث يكونان حالتين من حياة الجماعة، تظهر الأولى في حالات الخطر وفقدان الأمن فيسود التضامن والتوحد لمواجهة التهديدات الخارجية، وتظهر الثانية في حالات السلم والهدوء حينما يدب الصراع بين الفروع القبلية والقسمات المجاورة ولتفسير هذه الوضعية يستدل الانقساميون بالمثل التالي: أنا ضد أخي، أنا وأخي ضد أبناء عمي، أنا وأخي و أبناء عمي على الغريب.

و يرى غيلنر أن المجتمع الانقسامي المغربي الذي درسه مجتمع يتميز بظاهرتين :

(الانقسامية وهي خاصية بنيوية، و الهامشية وهي خاصية مجالية تتصل بالموقع. هذان المفهومان متكاملان و قد تنبه غيلنر إلى خصوصية المجتمع الانقسامي الإسلامي)[28].

فالهامشية : هنا نسبية،إنها سياسية أكثر منها ثقافية، العرب و البربر ينتمون للعشيرة الاسلامية نفسها ..، على الرغم هذا الاستدراك فإن الهامشية كخاصية يتكرر ذكرها وتشخيصها تمثل انقسامية من نوع آخر لأن المجتمع الهامشي عند الانقساميين يمثل كيانا موازيا أو مواجها للمجتمع المركزي .ولا شك في أن ذلك مبالغة و تعال على التاريخ ، فالمجتمع القبلي ، الخارج عادة عن مجال السلطة المركزية ، يتكون من نظام قبلي محكوم بالولاء الذي يتجاوز مجرد الدعوة للسلطان في المنابر.

أما الانقسامية: فقهي تقوم على محموعة من الخصائص يمكن إيجزها في :

- هيمنة النسب الأبوي على المجتمع، و تنعكس العلاقات القربية في مستوى المجال الجغرافي لأن تكون لكل قبيلة موطنها و جدها[29] .
- مبدأ الانصهار والانشطار.

---

[28]ليليا بنسالم وآخرون،مرجع سبق ذكره،ص19.
[29]،المرجع نفسه،ص22.

- غياب التراتب الاجتماعي الدائم.
- بروز بعض الفاعلين بشكل استثنائي و قيامهم بدور تحقيق التوازنات، مثل الصلحاء و الأعيان، و لعب دور ضمان أمن الحدود[30].

وشأن المدارس الأخرى، واجهت النظرية الانقسامية، وخاصة في مقولتي خط النسب والقداسة، نقدا من العديد من الكتاب وخاصة بيرك، حمودي، والخطيبي، وهذا الاخير اعتبر أن هذه النظرية قدمت إضافات مهمة في مجال معرفة المراتب الاجتماعية التقليدية، شأنه شأن علم التاريخ الخلدوني، وشأن الماركسية، لكن عيبها أنها تجاهلت تاريخ التطور الحقيقي للمجتمعات المغاربية[31].

أما الكيلاني فقد اعتبر أن الانثروبولوجيا التاريخية وحدها قادرة على تجاوز أزمة الانقسامية، أن بامكانها أن تحقق التمفصل بين البنيات الاجتماعية والتاريخ، لأنها تتحاشى في دراساتها عزل المجتمعات عن سياقها الاجتماعي والتاريخي[32].

أما لوسيت فالنسي أكدت أن فهم وتحليل المجتمع القبلي اعتمادا على النظرية الانقسامية لا يؤدي إلى فهم المسألة الاجتماعية فهما دقيقا. و لا يمكن فهم هذا المجتمع القبلي من خلال العلاقات الدموية و الأبوية ، فالقرابة و النسب على الرغم من أهميتها.

3-3- المدرسة الماركسية:

انبثقت المدرسة الماركسية، كما هو معروف من الفكر الاجتماعي الأوروبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وكانت بذلك المجتمعات المغاريبية، وخاصة الجزائر،مجالا لانطلاق بل اختبار الأطروحات الماركسية الكلاسيكية.

---

[30] المرجع نفسه،ص22.
[31] محمد نجيب بوطالب،مرجع سبق ذكره،،ص 45.
[32] ليليا بنسالم وآخرون،مرجع سبق ذكره،ص126.

ويمكن إرجاع بادية اهتمام هذه المدرسة بالمنطقة وبتركيبتها الاجتماعية منذ أن كتب ماركس هوامشه على كتاب العالم الروسي كوفاليسكي حول الملكية الجماعية للأرض : أسباب انحلالها وتاريخه و نتائجه(1879). وكان ماركس آنذاك يهتم بأشكال الملكية الجماعية للأرض، وهي ظاهرة استرعت اهتمامه من خلال ماكتب حول الجزائر، و قد أشار ماركس إلى بعض المراجع حول الجزائر اختارها من كتاب كوفاليسكي، و منها ابن خلدون مؤرخ البربر. و قد عبر ماركس عن هذا الاهتمام بقوله:" الجزائر هي التي تحتفظ – بعد الهند – بأهم آثار الشكل القديم للملكية العقارية، فقد كانت الملكية القبلية والعائلية المشتركة الشكل الأكثر شيوعا"[33] فيها..، فالملكية الجماعية للأرض يعتبرها ماركس ظاهرة جلبها العرب معهم ، كما اعتبرها شكلا جماعيا يلائم طبيعة المجتمع القبلي .

أما صديقه انغلز فإن موقفه يتحدد من خلال مانشره في جريدة النجم الشمالي حول قضية أسر الأمير عبد القادر الجزائري من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية، حيث اعتبر " أن من حسن التوفيق أن يكون الزعيم العربي قد أسر، فقد كان صراع البدو بلا أمل لأن فتح الجزائر واقعة مهمة و موائمة لتقدم الحضارة"[34].

و لم يتغير هذا الموقف الماركسي الكلاسيكي إلا بعد سنوات وتجارب، وهذا بسب النظرة الأوروبية المتعالية وأن الاستعمار كان يحمل الأنوار و الحضارة للشعوب الأخرى. لقد كانت الخلفيات الفكرية لمختلف القراءات الغربية للمجتمعات المغاريبية واحدة غذاها الاستشراق الكلاسيكي والديني بأفكار وتحليلات كثيرا ما كانت تشوه الواقع.

و إثر الاستقلال كانت مرحلة البناء الوطني مصحوبة لدى المثقفين باعجاب بالأفكار الماركسية الرافضة للاستعمار والدافعة إلى التخلص من بقاياه، ومنها بقايا التحليل

[33] كارل ماركس و فريدريك انجلز ، الماركسية و الجزائر، ترجمة جورج طرابيشي ،بيروت ، دار الطليعة،1978،ص 55
[34] المصدر نفسه، ص 14.

الاستعمار، و لذلك انتشرت أفكار ألتوسير و غرامشي و غيرهما من المفكرين، و لقيت مفاهيم : نمط الانتاج الآسيوي، و الديمقراطية والطبقة والتشكيلة الاجتماعية – الاقتصادية والصراع الطبقي..، مجالا لاستخدامات متنوعة متراوحة بين المرونة و التشدد بحسب مواقع الدارسين، ومن بين الذين تناولوا هذه المجتمعات من منظور ماركسي يمكن أن نذكر ايف لاكوست و كويزنيي، ورودونسون، وعبد القادر جغلول، ادريس بن علي. ومن بين المفاهيم التي راجت في استخدامات هؤولاء مفهوم " نمط الإنتاج الأسيوي" الذي طرحه ماركس و انغلز كنموذج نظري يلائم المنطقة العربية الاسلامية، وهو مفهوم يتقارب مع المفهوم الذي صاغه ماكس فيبير "حول الإرث الأبوي"[35] ويبرز اختلاف التحليل الماركسي عن التحليل الانقسامي ، بدأ من تحليلات ماركس ووصولا إلى تحليلات لاكوست، من خلال تأكيدهما على وجود ارستقراطية قبلية عسكرية تتكون من رؤساء القبائل، والأسر الكبيرة تقوم على احتكار السلطة، والجاه، والثروة داخل المجموعات، فلاكوست يبرز أهمية المنظومات القبيلة والعشائرية التي تتساوى في الظاهرولكنها تخضع في الواقع إلى أرستقراطية متميزة على شكل تراتبي[36] .

ويتجلى التعمق الماركسي، على الرغم من نقص التحليلات الميدانية فيه، في ما يجده الدارس من مرونة لدى بعض أتباع هذه المدرسة في التعامل مع المفاهيم .

أما القبيلة فلم تطرح لدى أغلب الباحثين الماركسيين على أنها كيان منعزل ومفصول عن سياق عام من العلاقات المجتمعية، شأن المدرسة الكولونيالية والانقسامية، وباستثناء بعض الدراسات التي عزلت المفاهيم الماركسية عن أرضيتها النظرية، والتي أبانت نتيجة لذلك عن قصور فيما يتعلق بفهم طبيعة الكيان القبلي، فإن المنظور الشمولي هو الذي كان سائدا.

---

[35] محمد نجيب بوطالب،مرجع سبق ذكره،ص48.
[36]المرجع نفسه،ص49.

فهكذا فالإشكالية التي يمكن أن تشترك في طرحها أهم المقاربات المنهجية التي تناولت بالدرس و التحليل المجتمعات العربية عموما، و المجتمعات المغاريبية خصوصا، هي محاولة تطبيق مفاهيم تحليلية تم تجريبها في مجتمعات أخرى، و بالتالي يتحول السؤال سؤال منهجي طالما يتكرر داخليا وخصوصا منذ الثمانينيات إلى اليوم، إلى أي مدى تستطيع الأجهزة المفاهيمية والأطروحات التي أفرزتها تلك المدارس أن تنفذ إلى تحليل الميكانيزمات و التمفصلات الداخلية التي تتحكم في بنية المجتمعات المغاريبية؟ ومن جهة أخرى، فما هي حدود القصور في فرضية كونية المفاهيم في العلوم الاجتماعية[37].

4-القبيلة و الإثنية :

لعل التطورات التي عرفتها المجتمعات ذات الرصيد التاريخي المطبوع بالقبلية هي التي أدت إلى ظهور تحولات في هويات الكيانات الاجتماعية وأدت إلى تغير في تشكل الهويات الاجتماعية في تلك المجتمعات، و هذا بدوره قد يكون أدى إلى أزمة مفاهيم[38] زاد من تعميقها إحلال المفاهيم الوافدة وانتشار المقاربات غير المتكافئة.

يقول إليوت سكينر الأنثربولوجي والدبلوماسي الأفريقي – من فولتا العليا– : من الحزين جدا أن يكون لفظ : (القبيلة) بجميع خلفياته البدائية والتقليدية هو الاسم الذي نطلقه على الهوية التي نستعملها في إفريقيا المعاصرة للحديث عن الجماعات المتنافسة على الجاه والسلطة. إن البعض من هذه التسميات المستعملة اليوم للدلالة على عدة مجموعات ، يحيل إلى وحدات سوسيو ثقافية مختلفة من الماضي، غير أن معظم ما يطلق عليه اسم (جماعات قبلية):كان من صنع الحقبة الاستعمارية، وحتى تلك التسمية التي يمكن أن تدعي أنها عبارة عن استمرار للماضي، فقدت جملة من خصائصها التقليدية، إلى درجة يمكن اعتبارها وحدات جديدة. يمثل هذا الرأي نموذجا للآراء التي تعتبرأن مفهوم

[37]محمد نجيب بوطالب،مرجع سبق ذكره ،ص 50.
[38] محمد نجيب بوطالب، مرجع سبق ذكره،ص 58.

القبيلة هومفهوم "استعماري "مشحون بمعني موضوعية والتقليدية، ولذلك فهو بنظرهم لا يلاءم التعبير واقع الجماعات المعاصرة التي فقدت تقليديتها.[39]

يفيد مصطلح "أثنية" في الاستعمال العلمي السائد، مجموعة ثقافية و إقليمية لها حجم معين. أما مصطلح قبيلة فهو يدل على المجموعات المتميزة بالضعف و صغر الحجم. ولا شك في أن الظاهرة الإثنية تِؤثر في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية. فالتبادل الأممي الذي يفرض واجبات جديدة ومتبادلة بين المجموعات المتحالفة أدى إلى الاستمرار التضامن القرابي. كما أن الانتخابات. في بعض الدول التي عرفت بوجود كثيف للإثنيات، تجعل الفاعلين السياسيين لا يلتزمون بالمحتوى السياسي لبرامج الأحزاب، بل بمكانة زعماء تلك الاثنيات داخل المجموعات في إطار خطوط النسب ومصالح التبادل القرابي.[40]

ويرى فضة مصطفى أن مفهوم القبيلة نشأ داخل زمن الخروج الاثنولوجي الغربي، زمن البحث عن فضاء حيوي وبوادر خطاب إثنولوجي متمركز على ذاته، و لذلك يتساءل لماذا نجد غزارة في استخدام مفهوم القبيلة في الكتابات الكولونيالية ، فهل هي نقيض المدنية.؟[41]

5- ملامح الدراسات الاجتماعية حول القبيلة في الجزائر:

1- الدراسات الاستعمارية:

لقد تم التركيز في أعمال السوسيولوجيا الاستعمارية في البدء على موضوع السكان المستقرين، من ذوي الأصول البربرية فالنموذج الذي انطلقت منه الدراسات هو نموذج

[39]المرجع نفسه،،ص 59.

[40]محمد نجيب بوطالب، مرجع سبق ذكره،،ص 60.

[41]محمد نجيب بوطالب، مرجع سبق ذكره،،ص 60.

المزاب و الأوراس و القبايل، و هي مناطق انجزت حولها أعمال كل من هانوتو ولوتورنو ماسكراي، و كانت هذه الدراسات تتلائم و السياسة الاستعمارية، و تسعى لاستغلال التنوع من أجل أغراض استعمارية و في ذالك ما قاله إدوارد السعيد :" أن المستشرق (الباحث) كان يسير أمام العسكري.[42]

2- **الدراسات المحلية:**

لم يتعرض لدراسة القبيلة من الناحية السوسيولوجية من قبل علماء الاجتماع الجزائريين، سوى بعض الإشارات من قبل الباحثين في مواضيع بعيدة أو قريبة و نذكر من ذلك:

جغلول عبد القادر، علي الكنز، أحمد نعوم.وهذا يعود إلى أن المجتمع كان مشدودا إلى مشكلات جديدة، وكذا كانت شواغل البحث العلمي.

6- **وظائف القبيلة:**

1- **الوظيفة السيكولوجية:** وتتمثل في الاستقرار الوجداني والاتزان الانفعالي والطمأنينة، واختزال حدة التوتر والقلق، وترفع مستوى الثقة، والشعور بالأمن، وارتفاع تقدير الذات، ولذلك تعتبر القبيلة و العشيرة مصدرًا للاعتزاز بالذات، والاعتداد بها .وبسبب التضامن الداخلي إزاء التحديات الخارجية تعتبر الملجأ والملاذ، كما تعتبر آلية للتعويض السيكولوجي عن كثير من أوجه القصور والضعف وغير ذلك من الاعتبارات السيكولوجية، ولكن مقابل ذلك، تجدر الإشارة إلى أن ولاء الفرد للقبيلةو العشيرة يختزل جزءًا من حريته الفردية واستقلاليته، كما يجعله أقل اعتمادًا على ذاته وأقرب إلى الاتكالية وسلب الإرادة الحرة الطوعية وكبح الرغبات وأخطر ما في الأمر أن يكتسب الفرد" صورة نمطية حول الجماعات الأخرى " Exclusive stereotype استبعادية في المجتمع مما يؤدي على انغلاق مشاعره وعلاقاته.

---

[42] ادوارد السعيد، مرجع سبق ذكره،ص145.

2- الوظيفة الاجتماعية :إن اندماج الفرد في شبكة العلاقات القبيلية يزوده بالهوية الاجتماعية، والنفوذ،والقوة، والهيبة .ومن هنا، يقول حليم بركات" :العائلة كوسيط بين الأفراد والمجتمع يمكن أن تلعب أدوارًا مهمة منها أن دور الفرد ونفوذه ومكانته وتوفر المجالات أمامه ومناعته في المجتمع ترتبط بدور العائلة ونفوذها ومكانتها[43]. وتوفر المجالات أمامها ومناعتها1991 ويضيف" تعين العائلة القوية أفرادها على مواجهة صعوبات الحياة في المجتمع وتحميهم من القوى المركزية النافذة وتجد لهم الوظائف والمراكز المهمة[44]." إن وحدة المصلحة أفضت إلى صيغة من وحدة الهوية لدى أعضاء القبيلة ولذلك فإن انتكاساتهاالمتعلقة بالهيبة والنفوذ والاعتبار الاجتماعي تعتبر انتكاسات لكل فرد من أفراد القبيلة، وبالمقابل فإن انتصاراتها تعتبر انتصارًا لكل فرد من أفرادها . وثمة تمثلات كثيرة لهذه المسألة، فقد أثبتت تجربة الانتخابات النيابية باستمرار أنها تعيد إنتاج العلاقات القبلية، وأنها تعتبر العامل الحاسم في وصول المرشح إلى قبة البرلمان .... حتى أن الذين انتقلوا للعيش والعمل في المدن الكبيرة كانت مشاركتهم السياسية تتم في محافظاتهم الأصلية، أي في أماكن تجمعاتها العشائرية و القبيلية[45] .وقد أدى عدم تطور المؤسسات الوسيطة إلى الارتداد نحو القبيلة، ولذلك تلعب الروابط الإرثية دورًا كبيرًا في النيابية، ومن المسائل الملفتة للانتباه والدالة على تعاظم دور العشيرة أن مفردات" إجماع العشيرة "أصبحت هي المفردات السائدة مع اقتراب موعد الانتخابات النيابية[46]. بالإضافة إلى ذلك، تظهر العشيرة والقبيلة باستمرار في قضايا العنف المجتمعي، ليس باعتبارها سببًا للعنف، ولكنها تستثار وتحرض بموجب أسباب معينة، مما يؤدي إلى اتساع نطاق

[43]بركات، حليم ، المجتمع العربي المعاصر :بحث استطلاعي، ط2 ، بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية.1991،ص222.

[44]بركات، حليم، المرجع السابق، ص223.

[45]أبو رمان، حسين، دليل منظمات المجتمع المدني في الأردن، عمان :دار سندباد للنشر2000 .ص201.

[46]حمارنة، مصطفى، الأردن :مشروع المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي القاهرة :مركز ابن خلدون.1995.ص83.

العنف وشدته وضراوته .وفي كثير من الأحيان يكون الالتحام مع القبيلة في عملية الصراع ميكانيكيًا وبعيدًا عن أية مرتكزات للفهم الموضوعي .إن المحرض ليس هو السبب الأصل في الخلاف ولكن هيبة العشيرة ومكانتها، والالتزام الأخلاقي بالحفاظ عليها.ومقابل كل ذلك، فإن العشيرة قد تلحق الأذى بهوية الفرد، وبمصالحه الشخصية وتعرضه لانتكاسة مستمدة من مواقف إذعان العشيرة كما هو الحال في حالات الجلوة وهجر المكان، والذنب، والعار، والشرف .بالإضافة إلى ما يترتب على الصراعات العشائرية الحادة من خسائر مادية ومعنوية يتكبدها الأعضاء. وجميع ما تقدم ناتج عن الوحدة العضوية التي تربط الفرد بعشيرته وتفرض عليه أتراحها كما تفرض عليه أفراحها.

3- **الوظيفة الاقتصادية:**وتبرز هذه الوظيفة في أكثر من إجراء يمكن أن تتخذه العشيرة فقد تعمل شبكة العلاقات العشائرية على تأمين الفرد بعمل .أو بمنصب ما، كما يتضح الدور الاقتصادي في حالات دفع الدية، أو مساندة ذوي الحاجة من أبناء القبيلة والعشيرة . وضمن هذه الوظيفة تبرز عملية تبادلية واضحة بين الفرد والشبكة العشائرية التي ينتمي إليها، فكما يمكن أن يستفيد الفرد من الدعم المادي الذي تقدمه العشيرة في موقف معين، يمكن بالمقابل أن يقدم دعمًا للعشيرة حتى عندما لا يرتكب الخطأ ،ودفع الدية .إذ أن الفرد يصبح ليس مسؤولا عن تصرفاته هو فقط ولكن يصبح مسؤولا عن تصرفات غيره من أبناء عشيرته أيضًا.وفي ضوء ما تقدم، يمكن القول أن رأس المال الاجتماعي المتدفق عبر شبكة العلاقات القبيلية يمكن أن يتضخم كما يمكن أن ينكمش بالنسبة للأعضاء، فهو يتضخم عندما تلبي العشيرة المصالح المادية والمعنوية للأفراد،وينكمش عندما تتعارض مصالح الأفراد الشخصية مع توجهات القبيلة أو عندما لا تلبي العشيرة مصالح أفرادها.

ثانيا :أشكال المجتمعات.

1- المجتمع الريفي:

1-1 – تعريف المجتمع الريفي:

إنه لا يمكن التوصل إلى تعريف تام و قاطع للمجتمع الريفي، لأن الريف يختلف من مجتمع إلى آخر ، فما يعتبر ريفي في مجتمع ليس هو بالضرورة ريفي في مجتمع آخر، وقد اتخذت عدة مقاييس ومعايير لتعريف المجتمع الريفي، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلا : أستخدم الإحصاء (السكان،الحجم)، كمؤشر لتسمية البيئة الريفية مثلا في عام 1950م، ذكر علماء الاجتماع الريفي أن المجتمع الذي يقل عدد سكانه عن الألفين وخمسمائة قبل تعداد 1950م ، وما يقل عن خمسة آلاف نسمة حسب تعداد1950م، هو مجتمع ريفي. أما إذا زاد عدد السكان عن هذه الأرقام فهو مجتمع غير ريفي. [47]

وهناك تعريف آخر يقوم على أساس التقسيم الاقتصادي للمهن حيث هناك ثلاثة أقسام:

- الصناعات الأولية: و هي الصناعات التي تعمل على استخراج المادة الخام مثل : الزراعة، و الصيد والمناجم ، واستخراج الاسفنج.[48]
- الصناعات التحويلية أو الثانوية: وهي الصناعات التي تعتمد على استغلال المواد الخام و تحويلها إلى أشكال صناعية أخرى، أو تحويل صناعة أولية إلى صناعة ثانوية.
- المهن: هي الأعمال أو النشاطات الغير إنتاجية، لكن هي ضرورية للقيام بالإنتاج .

---

[47] حسين عبد الحميد رشوان، علم الاجتماع الريفي، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية2005،ص65.

[48] حسين عبد الحميد رشوان، المرجع نفسه،ص67.

- أما في مصر أعتمد محك كل من السكان و المهنة هي الأساس في تحديد المجتمع الريفي (القروي)، حيث أعتبرت المجتمعات الريفية أومقر المركز من المراكز الإدارية، وبعد استبعاد المحافظات الصحراوية[49].

فكل ما يمكن قوله أن المجتمع الريفي هو منطقة جغرافية محددة، يسكنها عدد محدد من السكان، تربط بينهم علاقات اجتماعية، كونوا لأنفسهم مؤسسات ريفية خاصة تضمن لهم إشباع حاجياتهم المختلفة وكونوا ثقافة فرعية خاصة. وتعتبر الزراعة النشاط الرئيسي الذي يمارسه أغلب سكان الريف، و يعتبر الريف أساس قيام الاقتصاد في المجتمع فهو يمده بالمواد الأولية و الزراعة و يعتبر المصدر المحول للعمالة للمؤسسات الصناعية في المراكز الحضرية.

1-2- خصائص المجتمع الريفي:

إنه من الصعب تحديد ما هو ريفي، خاصة بعد تأكيد علماء الاجتماع على وجود عناصر مشتركة بين الثقافات الحضرية و الريفية للمجتمع الواحد وخصائص هذا المجتمع الريفي يمكننا عرضها في ما يلي:

1- المهنة: تعتبر المهنة أهم صيغة للتفريق بين الريف و المدينة والمجتمع الريفي هو الذي يعمل معظم سكانه بالزراعة و عدد المشتغلين فيه يزيد على باقي القطاعات و المقصود به إنتاج و تربية الماشية و الزراعة، وفي المجتمعات الريفية إل جانب كونها مهنة الغالبية من السكان تمثل أسلوبا للحياة إذ يتم بتعلم هده المهنة داخل الأسرة الريفية و تورث من جيل على جيل.

2- البيئة: المجتمعات الريفية تسودها البيئة الطبيعية حيث أن صلة الريفيين بالطبيعة قوية و مباشرة فهم يفلحون الأرض حيث يتأثرون اقتصاديا واجتماعيا بطبيعة الأرض و درجة خصوبتها وكل ما يتعلق بالمناخ.

49 علة فؤاد أحمد ، علم الاجتماع الريفي ،دار النهضة العربيةن بيروت،ابنان ص48.

3- التجانس : المجتمع الريفي مجتمع متجانس أكثر من المجتمع الحضري من حيث السلالة والخواص النفسية والاجتماعية وحيث الثقافة المشتركة التي تتمثل في القيم و التقاليد والعادات والمعتقدات والعرف وأساليب الحياة.

4- سيادة العلاقات الأولية : المجتمعات الريفية هي تلك المجتمعات الاجتماعية الأولية القوية، والتي تتصف بوجود الضبط الاجتماعي عالي ومتمثل في العادات و التقاليد و العرف السائد، وأن الجماعات في المجتمع الريفي جماعات مغلقة يسودها الضبط الاجتماعي العرفي الصادر عن الرقابة (الناس بعضهم لبعض)، وذلك لأن عدد الصلات التي يكون الفرد في المجتمع الريفي أقل من التي يكونها في المجتمع الحضري، كما أن المجتمعات الريفية تمتاز بقلة التفاعل و التدرج حيث أن نظام الطبقة في المجتمع الريفي يعتمد على العلاقات الأولية ، كما أن المكانة الاجتماعية متوازنة ولا يستطيع الفرد تغيير مركزه الاجتماعي كما أن الحراك الاجتماعي قليل و انتقال الإنسان من مسكن إلى آخر لا يعني حراك وبالتالي لا يغير في مكانته الاجتماعية.[50]

5- البناء الاجتماعي : إن المجتمع الريفي يتميز بالبساطة و قلة المباني ، و المنشآت العامة والخاصة. وتقوم العلاقات الاجتماعية في الريف على علاقات الدم والقرابة و الحياة المشتركة، ضمن حيز ضيق يحوي الكثير من الأسر، في الغالب لها نفس الأصول الأسرية، وفي المجتمع الريفي الأشخاص يعرفون بعضهم، ولهم في الغالب نفس مستوى المعيشة الكفاءة، و القدرة على العمل. كما أنه يمتاز بعزلته وعدم ارتفاع المستوى الثقافي، والتشابه من الناحية البيولوجية وتسود بين الأفراد روح التضامن والتماسك.

[50] محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعية،1984،ص138.

6- التجانس: من سمات المجتمع الريفي أنه يتميز بالتجانس والاستقرار، وأن العائلة في الريف يكون لها كيانا مكتفيا ذاتيا، والسكان متشابهون من الناحية الفيزيقية.[51]

1-3-أشكال الاستيطان الريفي:

كثيرا ما تدل كلمة الاستيطان لمعاني سياسية واقتصادية ليحل المعنى الاجتماعي بعد ذلك، فالعلاقات الاجتماعية تؤثر على الأفراد و قيمهم، وهذا ما يترجمه تنوع أشكال الاستيطان، الذي يساهم في التركيب الوحدات السكانية و طبيعة العمران الذي يعكس نوع من القيم التي تؤثر في ساكنه. و قد نوجز أشكال الاستيطان في التالي:

1- المزرعة المنفردة:

ونقصد بذلك إقامة الفرد لمسكنه على أرض مزرعته ، وبجانب بعض مكن نشأته، وتكون المسافة بين المسكن وأرضه في الغالب قصيرة ، و هذا النوع من المساكن يسود الملكية الخاصة. ومن محاسن هذا النوع من الاستيطان ، الاستفادة من الوقت ، بمعنى زيادة ساعات العمل، إلا أن هدا النوع يؤدي إلى عزلة اجتماعية عن الناس و العالم الخارجي والمراكز الحضرية.[52]

2- القرية الريفية:

و تمثل أقدم أشكال الاستيطان التي عرفها الإنسان، وتتكون من عدة مساكن موزعة بشكل غير منتظم ،لا تتوفر على أي خدمة أو على أي مؤسسة اجتماعية أو ثقافية، وقد تستحث هذه القرى في عصرنا بغيت التقليل من الفوارق بين الريف و المدينة[53].

3- القرية الخطية:

---

[51] د.سامية محمد جابر و آخرون، دراسات في علم الاجتماع الريفي،/ دار المعرفة الجامعية،، الاسكندرية،2001،ص30.

[52] عبد الهادي دكلة، قاسم محمد رعدون: المجتمع البدوي ،بغداد 1979،ص147.

[53] المرجع نفسه،ص148.

يكن شكل مساكنها خطيا على طول الطرق أو الأنهار وتكون البيوت على شكل مستطيل في الغالب، و ذا النوع ينتشر بكثرة في العدية من دول العالم كمصر والعراق، وهذا الشكل من الاستيطان، يجعل ساكن الريف أكثر انفتاح على عالمه كما توفر العديد من الخدمات للمساكن و هذا لقلة التكلفة.

2-**المجتمع الحضري:**

2-1-**تعريف المجتمع الحضري:**

يرتبط مفهوم المجتمع الحضري ارتباطا وثيقا بمفهومي التخطيط الشامل المتكامل و التنمية، و يعرف المجتمع الحضري بأنه مجتمع له مقومات المجتمع القدير من حيث النظر الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية اللازمة ببقائه، أنشئ من خلاله إدارة إنسانية مخططة لتحقيق أهداف اقتصادية ، واجتماعية في المحل الأول، وذلك لتغلب على المشاكل التي طرحها المجتمع القديم و التي ظهرت إما في زيادة أو في نقص الموارد أو في الخلل الذي أصاب العلاقات الاجتماعية، لقد بدأت فكرة التجمعات الحضرية عام 1898م.كما أن المجتمع الحضري يطلق عليه من ناحية أخرى اسم المدينة، نجد لهذا المصطلح بعض التشعبات نظرا لتعاقبه و تداخله مع مصطلح الريف فأرميس جونس Armys jones يرى أن المدينة هي "علم فريد في حد ذاته تتصف بشخصية معينة،وتمتاز بتاريخ خاص يطبعها بطابع يجعلها ملفتة عن غيرها"[54].

في حين أن فتحي أبو عيالة فقد عرف المدينة بأنها" تجمع سكاني في بيئة ضيقة يمارس سكانها وظائف متعددة تتفاوت أهميتها النسبية من مدينة إلى أخرى حسب مجموعة معقدة من العوامل المتشابكة".[55]

---

[54] فتحي أبو عيانة محمد،جغرافيا السكان ،دار المعارف المصرية،1977،ص419.
[55] المرجع نفسه،ص 419.

أما دوريس Dorris يرى في المدينة بأنها "الشكل المنتظر بدرجة أو أخرى تمتاز بمظهرها شديد التنوع مؤلف من عناصر شديدة التباين".[56]

أما سورماكس Sorre Max فإنه يعرف المدينة " تجمع مغلق دائم ضخم كثيف بدرجة أو بأخرى مستقل في أرضه وفي غدائه. ينطوي على علاقات خارجية تنشط وتنعكس في مظهره العام درجة عالية من التنظيم، على الصعيد الاقتصادي جاء مع مطلع النصف الثاني من القرن العشرين النظر إلى المدينة على أنها مكان تدرس من الداخل والخارج في علاقاتها وتأثيرها وتأثرها بالوقائع والأحداث والمدينة على الصعيد الاقتصادي تدرس على أنها وكالة اقتصادية معقدة بحيث تظهر كمؤسسة لها مشاكلها الداخلية الخاصة بها وكذلك مشاكلها التنموية الخاصة وبالتالي المدينة ما هي إلا هيئة للتنظيم الإنساني، وإذا تتبعنا نشأة المدن لوجدنا أنها تبدأ من آخر العصر الوسيط لأنها تعد نشأة جديدة تمتد إلى الحضارة الرومانية وكانت نشأة المدينة مرتبطة بالريف الأمر الذي جعل حركة عملية التحضر في القديم غير واضحة المعالم والحدود ومفهومة بالشكل الكافي، والبحث عن تكون المدينة لا بد أن يمر من خلال النظر إلى الجانب المادي والاقتصادي الذي عرفه الإنسان، ذلك لأن المدن قد نشأت في الوسط الزراعي ولكن المهم أن العامل الاقتصادي لعب دورا فعالا في تكون المدن، إن الأحداث والتطورات التي هدها الاقتصاد من اقتصاد زراعي يعتمد على الماشية مما صنع تحول في العلاقات الاجتماعية والثقافية وحتى في الروابط التي تربط الإنسان نحو الأرض باعتبارها نقطة البداية في التغيير وتهذيب الإنسان وهو يمر بمراحل الانتقال من الزراعة إلى الفنون المرتبطة بالأرض،[57] فإنها في الواقع تعبر عن حصول مرحلة تقنية جديدة، ومن ثم فإن وظائف المدينة تبدأ في التغيير لمسايرة هذه المرحلة، وبذلك تبدأ الفروق بين القرية والمدينة في الظهور والاتساع، فالاعتماد على السير التاريخي للتطورات المختلفة تكون المدن سواء

---

[56] جمال حمدان ، مرجع سبق ذكره،ص9.

[57] Encyclopédie De la sociologie : Larousse . Paris . 1975

منها الجوانب الاقتصادية أو الصناعية مهم جدا في سبيل التفريق بين الريف والحضر حيث يرد التغيير الحاصل في نماذج المدن على أنه جاء لضرورة التطابق للحالة الوظيفية للمدينة.

وأن الهدف من تكوين المجتمع الحضري هو الوصول بهذا المجتمع إلى مستوى اجتماعي واقتصادي وثقافي يمكن من خلاله التغلب على المشاكل التي طرحها الواقع في المجتمع التقليدي وهناك مجموعة من الأسس التي يرتكز عليها قيام المجتمع الحضري والمجتمع الحضري لا ينبغي أن يكون مجتمعا سكنيا وحسب، وإنما يقام المجتمع أساسا لتحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية معينة، ومن ثم لا بد أن يوفر المجتمع الجديد العمل لكافة سكانه وضمان تكامل الخدمات واستكمالها قبل البدء في عملية التهجير والتوطين، فلا شك أن مستوى الخدمات الذي يعد انعكاسا لمستوى الرفاهية في المجتمع من شأنه أن يساهم في التأثير على طبيعة المشاركة الجماهيرية في استكمال مسيرة التنمية في المجتمع ومن ناحية أخرى يعد قيام المجتمع الحضري نموذج يتحدى به المجتمع التقليدي يرتبط ارتباطا كبيرا بمسألة مهمة وهي الوضوح الإيديولوجي الموجه لعملية التغيير والتنمية في المجتمع الحضري وهو مطلب مهم لقيام المجتمع الحضري الذي يهدف إلى تحقيق الاتفاق والوحدة بين مواطنيه لدفع عمليات المشاركة والوحدة، كما أن نجاح المجتمع الحضري يرتبط بتنمية جزء كبير منه وهو ما يقع على عاتق القيادات وقدرتهم على توجيه العمل الاقتصادي وتوعية الناس، الأمر الذي يتطلب الدقة في اختيار القيادات الواعية من أجل دفع المشاركة الإيجابية في الإنجاز[58].

2. خصائص المجتمع الحضري:

إذا كان المجتمع البدوي يمثل التطور الطبيعي لانتقال المجتمع إلى طور أرقى وهو مجتمع المدينة أو الحضر فإن ذلك لا يأتي إلا بعد تحول المجتمع الحضري إلى النمط

[58] نخبة من أساتذة علم الاجتماع . علم المجتمعات، 2003، ص 50

الاقتصادي وتجاوز الضروري إلى الكمالي وهو ما يؤدي بالضرورة إلى تغيير في نمط وأسلوب الحياة سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، ومن ثم تبدأ العوامل الأخرى في البناء الاجتماعي وما تربطها من علاقات تدعوهم إلى الدخول في مفاهيم جديدة حول السوق أو الصناعة والتجارة، وما تتطلب هذه المهن من أخلاقيات وسلوكيات المصلحة بالدرجة الأولى، والعلاقة غير المباشرة بين المتعاملين مع ظهور سمة جديدة ملاصقة و هي الحياة التعاقدية التي تنظم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين أفراد المجتمع وكذلك تبرز ظاهرة الإنفاق من الفائض الاقتصادي على جوانب الحياة الكمالية وبذلك يبدأ الناس يميلون إلى حسب الاستقرار والتفكير في إنشاء المدن، بعد أن يكونوا قد مالوا إلى الترف و سعة من العيش والحياة الناعمة ودخلوا باب التحضر الذي يختلف عن النمط الأولي من الحياة وكلما تقدم الناس في التحضر والذي لا يكون إلا في المدن ترتب عن ذلك أيضا ازدهار العلوم بجميع أنواعها، لأن الصناعة والتجارة في الحقيقة ثمرة تفكير ليس بالعادي مبين على التكوين وهو لا يكون إلا بكثرة دور العلم و طلابه.[59]

وحسب ابن خلدون فإن من خصائص سكان الحضر انغماسهم في الملذات الدنيوية والتباهي التي تصبح في معايير التمايز الاجتماعي، فهذه الأوضاع تشكل حياة الأفراد والجماعات في المدن، وحتى في اختيار المهن والأعمال تراهم يميلون إلى امتهان الصناعات والحرف بمختلف أنواعها والتجارة، وعلى صعيد التدرج الاجتماعي يرى ابن خلدون أن أفراد المجتمع الحضري كلما توغلوا في حياة المدينة كلما ازداد التغير الاجتماعي والثقافي والفكري ويبدأ ارتباطه بالأرض، يتقلص كمصدر اقتصادي ورافد للعلاقات الاجتماعية وما تفرضه من التزامات بصور متنوعة[60].

ولكن لا بد أن نعلم أن هذا الرأي لابن خلدون لم يجعل الانتقال من الحياة الريفية والبدوية بشكل مفاجئ بل نجد تدرجا بين الموقفين البداوة والتحضر وذلك عبر عدة تحولات

[59] علي الوردي: منطق ابن خلدون ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1977 ، ص 81.

[60] يوحنا قمير: ابن خلدون ، دار الشروق ، بيروت ، 1982، ص 24.

يمر بها الإنسان أو المجتمع، فهو يرى أن التدرج موجود داخل كل نوع من العمران البشري، فهو لا يقيم تناقضا حادا بين المجتمعين " الريفي والحضري " وإنما التناقض يمكن بين القطبين وهو " القفار والعضو الزائد عن حده[61]وبالتالي يرى ابن خلدون أن التحضر مرتبط بالاستقرار على أرض محددة وهذا يجعل الإنسان يفكر في زيادة ثروته وتغيير حياته إلى الأحسن وهذا ينتج عنه علاقات اجتماعية واقتصادية وسلوكية من نوع مغاير يحتوي على ميكانيزمات تحت الأفراد والجماعات على التغيير في كل شيء ابتداء من اللغة لكي يستجيب للمعطيات الجديدة وغيرها من الموقف والاتجاهات الفكرية المتباينة نتيجة للعوامل التي يفرضها العيش في المدينة المتغيرة والتي تختلف عن الحياة في الريف.

كما يمتاز أفراد المجتمع الحضري بالنفعية والعلاقات الرسمية في قضاء مصالحهم وبالتالي فإن ما يربطهم ببعضهم في الغالب المصالح المشتركة وهو أمر طبيعي لأنه يتماشى والمناخ الكلي بحياة المدينة، كما يمتاز بالتنافس والصراع في سبيل تحسين ظروف الحياة العائلية وظهور الفردية وهو ما يترتب عنه تغيير في الأدوار والمراكز و كذلك البناء العائلي حيث تبدأ العلاقات فيه تجري وراء الكماليات وإحلالها محل الضروريات وهو ما يولد بذل المزيد من الجهد المبذول للحصول على المال لتوفير هذه الحاجات وإشباع الرغبات المتعددة، كما أن أهل المدن متبدلون في موقفهم ومعاملاتهم وهي خاصة من خصائص ثقافتهم وإذا كانت قضية المعايير والقيم متفق عليها في الريف فإنه في المدن ولدى سكان الحضر هو اختلاف يعود إلى تعقد الثقافة مما يفسح المجال للتفسيرات الفردية وجل السلوكيات إنما هي تعبير عن وضعية اجتماعية معينة أقرت على الإنسان وطبعت حياته بطابع خاص وشدته إليها وهو ما جعل حياة سكان الحضر تمتاز بعدم الاستقرار والمجتمع الحضري من خصائصه سيادة القانون الإداري والمدني والاعتماد فيه يقوم على تساند الجماعة الاجتماعية وما يتخللها من تفسيرات فردية للمفاهيم الأخلاقية والمعيارية

---

[61] يوحنا قمير ،المرجع نفسه، ص 37.

والعاطفية، زيادة على ذلك فإن التضامن الاجتماعي إيجابيا نظرا لما يتمتع به الفرد من الاختيار الإرادي في علاقاته الاجتماعية، ذلك لأن شكل التضامن الذي يحكم علاقات الجماعات ببعضها في المجتمع الحضري إنما هو التضامن العضوي الذي يعتمد على تقسيم العمل وتنوع الوظائف والتخصصات وهو ما يكسب الإنسان خبرات جديدة وتتطلب منه الدخول في علاقات تتباين وتختلف عن الأولى كما أن من شأن هذه العلاقات الواسعة أن تدفع بالإنسان إلى بذل جهد أكبر للتكيف السريع مع الشروط الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة، وهو ما يوحي بأن يكون الإنسان فيه "المجتمع الحضري " أكثر عقلانية ونظرة واقعية مجردة عن العواطف القبلية أو العشائرية التي هي من سمات المجتمع الريفي، كما يعد المجتمع الحضري مجتمع يحاول أن ينشئ لنفسه كل ما ييسر له الحياة الاجتماعية الراقية ويبتكر من الأدوات مما يجعل حياته أكثر رفاهية وازدهار، فالمدينة تتحدد بوظائفها الاقتصادية والاجتماعية...إلخ، أكثر ما تحدد بحجمها هذا ما يجعل الكثير من الباحثين يلجأ إلى تعريف المدن وتصنيفها حسب وظائفها وهذا ما يميز المدينة بخصائص يمكن إدراجها على النحو التالي:

- البيئة: إن السكان الحضريون منعزلون بشكل واضح عن الطبيعة ومعنى ذلك أن أهم صلة لهم وأبعد أثر في حياتهم هي البيئة التي صنعها الإنسان.
- المهنة: المجتمع الحضري يقوم على تنوع المهن وغالبية سكانه يعملون بالصناعة وما يتصل بها من عمليات، وفي التجارة والتبادل والوظائف المتخصصة والإدارة والحكم وبصفة عامة المجتمع الحضري يعمل أفراده بكل المهن عدا الزراعة.
- حجم وكثافة سكان المجتمع: المجتمع الحضري هو أكبر بكثير من الريف، ولهذا يتناسب حجم المجتمع المحلي مع الحضرية وتمتاز بكثافة عالية وهي ارتفاع السكان في الكيلو متر المربع الواحد.

- التباين والتدرج الاجتماعي: يظهر بوضوح في المجتمعات الحضرية وهذا على مستوى السلم الاجتماعي والوظائف والمهن[62].
- اللاتجانس: يوجد ارتباط بين اللاتجانس والحضرية أكثر من الريف المرتبط سكانه نفسيا واجتماعيا وبالتالي أكثر تجانسا من الحضر.
- التنقل: تعرف المدينة على أنها مكان التنقل الاجتماعي الكثيف ولهذا يرتبط التنقل بالحضرية ارتباطا إيجابيا ولا تحدث الهجرة من الريف إلى الحضر إلا في وقت الكوارث حيث ترتفع معدلاتها وإذا كانت المدينة أو المجتمع الحضري لم يظهر اعتباطا ،بل لأغراض استوجبها محيطها فمن هنا يمكننا تصور العلاقة بين الريف والمدينة.

4. **العلاقة بين الريف والحضر والحياة الاجتماعية:**

إذا كانت المدن لا تظهر هكذا اعتباطا وإنما لأغراض استوجبها محيطها فمن هنا يمكننا تصور العلاقة بين المدينة والريف بأن هناك تفاعلا وثيقا بين الاثنين تتكون من الأفعال وردود الأفعال المتبادلة، فهذه العلاقة ليست جامدة ولكنها متطورة مع العصور والأحداث والجهوية والمحلية، فهي علاقة تاريخية، فقد قامت العلاقة على أساس التبادل في الإنتاج مهما كانت درجة بساطته حتى الحرفيين قد لعبوا دورا بارزا في هذه العلاقة إذ لم يكونوا من سكان المدن بل من سكان القرى، ولكنهم كانوا يزودونها بما يحتاج إليه من بعض الصنائع.

في العصر الصناعي تطورت فيه المواصلات، تغيرت العلاقة بين الاثنين فأصبحت لا تفتقر غلى الموارد الغذائية والأشياء الضرورية بل تعدت إلى العلاقات الاقتصادية أكبر، إذ أصبحت المدينة تؤدي وظيفتين أحداهما محلية خاصة بها أي لسكانها والثانية إقليمية خاصة بمحيطها الخارجي وقد قسم جمال حمدان العلاقة بين الريف والحضر إلى عدة محاور منها الثقافية والسكانية.

---

[62] نخبة علم الاجتماع . علم المجتمعات، 2003، ص 67.

في الوقت الذي نجد فيه الجانب الثقافي لا يمكنه أن يزدهر إلا في وسط مدني أو حضري التي ترتكز فيها معظم وأهم النشاطات الثقافية والمراكز العلمية والفكرية والجامعات والمدارس الكبرى أو المعاهد العليا وهذا شيء طبيعي.

3- المجتمع التقليدي :

3-1- تعريف المجتمع التقليدي :

يفتقد مفهوم المجتمع التقليدي للدقة خاصة إذا أردنا أن نجعل منه مرحلة مميزة ومنسجمة قد تمر من خلالها المجتمعات إلى الحداثة واختلطت هذه التسمية الوحيدة بأشكال اجتماعية مختلفة حيث رأى جون جاك روسو أنه في مرحلة سابقة بمجتمعاتنا الخاصة حصل انقلاب حاسم في تاريخ المجتمعات الإنسانية، مع نشوء الملكية ولكنه تجنب تماما أن المجتمعات كلما كانت قد مرت في هذا الحدث بلحظة تاريخية قابلة للتجديد، في شتى الأحوال يحصل انحلال الجماعة البدائية قبل فترة طويلة من بروز الأشكال الحديثة للتنظيم الاجتماعي والاقتصادي المتميزة بإنتاجية عالية وتواصل اجتماعي قوي فضلا عن ذلك تظهر بين الإمبراطوريات السابقة الحداثة القادرة على إخضاع أعداد كبيرة من السكان المتنافرين إلى سلطة واحدة.[63]

إن المجتمع التقليدي كما يذهب إلى ذلك روبرت ريدفيلد مجتمع منعزل صغير متجانس بعيد عن الحداثة يعتمد على الاتصال على الألفاظ، ليس له تراث مكتوب وذاكرتهم عن الماضي ضحلة ولا تذهب إلى أكثر ما تحويه ذاكرة كبار السن ولديهم قدرة كبيرة على الانتماء والشعور بالوحدة الاجتماعية والتمسك بالأعراف والعادات التي يظل الناس متمسكين بها رغم انتقال المجتمع إلى وضع مغاير عن حالته الأولى.[64] والمجتمع التقليدي هو عبارة عن مجموعة أفراد يعيشون على بقعة واحدة محددة ينشطون في جميع نواحي الحياة ولهم أيضا وسائل وأساليب للاتصال يتفاعلون مع بعضهم مكونين علاقات

[63] فاروق مصطفى إسماعيل: التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990. ص 19

[64] بودون وبريكو: معجم علم الاجتماع النقدي، ترجمة سليم حداد ،ديوان المطبوعات الجامعية، 1986:ص 194.

اجتماعية يسودها طابع مميز من التعاون أو التنافس أو الصراع، نظلمهم الطبقي خاص لديهم شعور بالانتماء لمجمعتهم التقليدي وبه مؤسسات لها نظام أو بناء تنظيمي يأخذ على عاتقه مهمة القيام بدوره الفعال في النهوض بالمجمع وتنظيمه يعتمد على اختلاق الآراء ووجهات النظر دون الاعتماد على الرأي الموحد حتى يكون له عمقه[65].

ولمعرفة ودراسة المجتمع التقليدي ومعرفة أهم خصائصه ومميزاته لا بد من إلقاء الضوء على البناء الاجتماعي من أجل معرفة الأنساق الاجتماعية لهذا المجتمع نظرا لما يتميز به من خصوصيات ولأن هذا النوع من المجتمعات مبني على أساس قبلي فهو عبارة عن بناء اجتماعي قبلي وقد عرف رادكليف براون « On Sociale Structure » البناء الاجتماعي على النحو الآتي:

– العلاقات الاجتماعية بما في ذلك العلاقة الثنائية.

– الاختلاف القائم بين الأفراد والتمايز بين الطبقات وفقا لأدوارهم الاجتماعية والتفاوت بين الأوضاع الاجتماعية المختلفة للرجال والنساء ومن هذا التعريف يظهر لنا أن المجتمع التقليدي له عدة خصائص اجتماعية نذكر منها:

3-2-خصائص المجمع التقليدي:

1. **الخصائص الاجتماعية :**

1.1.التماسك الاجتماعي: أي تماسك أفراد المجتمع، إذ يرتبط الأفراد أو الجماعات مع بعضهم البعض ارتباطا وثيقا على الرغم من التوزيع المكاني المتباعد حيث نجد مثلا قبيلة واحدة تنقسم إلى وحدات قرابية، تختلف مواقعها الجغرافية لكن هذا لا يؤثر على وحدتها حيث توجد علاقات وثيقة بين تلك الوحدات على الرغم من اختلاف مواقعها.

1-2.الشعور بالانتماء: ذهب دالف لينتون إلى تأكيد أهمية هذا الشعور الفاعل في تشكيل المجتمع القليدي المبني على أساس قبلي يقول " أن هذا المجتمع في أبسط أشكاله له

[65] أحمد كمال أحمد: تنظيم المجتمع، دار وهدان للطباعة والنشر، الفجالة،القاهرة، 1973، ص 103.

مجموعة من الزمر تسكن مكانا محدودا تشعر بالوحدة والانتماء نظرا لأوجه الشبه العديدة في ثقافتهم والاتصالات الودية والمصالح المشتركة " وهذه الوحدة المشار إليها ليست شيئا جامدا بل مشاعر قوية تكون مانعا لأي تغيير طارئ مكونة نسق من العلاقات الاجتماعية.[66]

1-3-.علاقات القرابة: القرابة تلعب دورا هاما في حياة المجتمع التقليدي فإليها تعزى التضامن من حيث أفراده من ينتمون إليهم ومن الذين لا ينتمون، وقد ركز عديد العلماء على أهمية القرابة ويروا أن لها أهمية اجتماعية وتأثيرها عظيم على المجتمع بل ضروري، حيث يلزم المجتمع الأصدقاء والأعداء ويعرف من أين يتزوج " من داخل أو خارج الجماعة " فالقرابة إذن وسيلة اجتماعية يتم بواسطتها تحديد العلاقات الاجتماعية.

1-4-.علاقات الجيرة: تلعب دورا هاما في بناء المجتمع التقليدي والتي تبحث عن التقارب الفيزيقي للمساكن وضيق المجال الجغرافي وبروز علاقات النسب المبنية على الثقة والنسب وهناك الجوار المكاني والجوار الشخصي ذو الصيغة الاجتماعية وتمتاز بوجود أنماط من الأنشطة الاجتماعية يتبادلها أعضاء الجوار ويصاحب هذه الأنشطة علاقات اجتماعية تتفق مع طبيعة ونوع الروابط التي تسود الجيرة، والجيرة في المجتمع التقليدي يصاحبها تجانس يسمح بوجود اجتماعية أولية تمتاز بإحساس قوي بالشعور الذاتي والعلاقات الاجتماعية تتباين حسب طبيعة الروابط بين الوحدات القرابية أو الجماعة المتجاورة و تؤثر هذه الروابط على علاقات الجوار من حيث أوجه التعاون والمشاركة في مناشط الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وقد تظهر علاقات الجوار بين الوحدات القرابية على أنها وثيقة وقوية .

1-5.علاقات الصداقة: هو نوع من الروابط الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد والجماعات التي تتشابه في التفكير والميول والاتجاهات والمصالح الفردية، هذه الصداقة تربط بين

[66] فاروق مصطفى إسماعيل: مرجع سابق، ص 20.

الجماعات بحكم الإقامة وهذه الصداقة أخذت طابع الاستمرارية وتسير بين مختلف الفئات العمرية، حيث يعتبر هؤلاء الصداقة جزء من ذاتهم يشاركون في الأفراح والأحزان والمشاكل وتمتد العلاقة بين أوجات وأزواج مما يتكون عنه شبكة من العلاقات الاجتماعية حيث يفضل الأفراد الذين يدخلون في علاقة صداقة من النوع الاستمراري ويؤثر الإحساس بالإقليمية في شدة وكثافة علاقات الصداقة مما يساعد أفراد هذه العلاقة بالاستمرار ويظهر هذا النوع من الصداقة في مواجهة الخلافات والمواقف العدائية حيث يتضامن الأفراد معا في كثير من المناسبات "زواج ، وفاة " هذا مع وجود علاقات صداقة مؤقت منية على المصلحة يسببها مظاهر التفكك الأسري حيث تنتهي بمجرد نهاية المصلحة، ولكن هذه العلاقة تكون نسبية.[67]

1-6-.سيادة العرف:

قدرة أفراد هذا المجتمع على حل النزاعات والخصومات من خلال العودة إلى ما هو متعارف عليه ومتوارث منذ القدم والاعتماد على الحل الودي بالرجوع إلى كبار السن وولاة الأمور وغياب الضبط الاجتماعي نظرا للإفتقار إلى سلطة مركزية واعتماد المجهود الفردي دون إنتظار السلطة المركزية لمواجهة مشاكلهم، فالمعايير أو القوانين السلوكية وعلاقة الولاء القوية حيث لكلمة أفراد قلائل يعترف بزعامتهم فلا يمكن عمل شيئ دون استشارتهم وضرورة احترام حكمهم الذاتي وهذا القانون يختلف عن القانون الوضعي وهذا راجع إلى اختلاف العناصر الاجتماعية على حد تعبير أرسطو وإن كانا يتفقان في أنهما يعملان على تحقيق الضبط الاجتماعي.[68]

2. <u>الخصائص الثقافية:</u>

1.2. سيادة القيم: في كل مجتمع يوجد نسق من المجتمعات القيم التي تلقي نوعا من الاستجابة بقصد تحقيق التماسك بين الأفراد، بل يمكن لها تحقيق التجانس إذ أنها ملتقى

[67] محمد حسن غامري: ثقافة الفقر ، المركز العربي للنشر والتوزيع، الإسكندرية. 1980، ص 85.

[68] محمد حسن توفيق رمزي:. كتاب علم السياسة، دار النهضة العربية، 1956، ص 111.

السلوك ووسيلة من وسائل تنظيمه وتحقيق الضبط الاجتماعي والامتثال للقيم يكون تشرب في هذه المجتمعات منذ الطفولة من خلال التنشئة الاجتماعية.[69]

الدين: من أهم النظر لتحقيق الضبط الاجتماعي ويلعب دورا هاما في المجتمع التقليدي ويمتد تأثيره إلى الحياة الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية حيث يتميز أفراد هذا المجتمع بإيمانهم العميق بالقضاء والقدر وانصياعهم التام وتطبيقها في الحياة اليومية .[70]

2-2-انتشار العادات والتقاليد: التقاليد هو كل شيء موروث وله جذور في التاريخ سواء كان مادي أو معنوي والتقاليد هي المحافظة على طبيعة القيم الثقافية والمادية والتقاليد هي " نزعة ترمي إلى الحفاظ على المكاسب الماضية والاعتماد على ما خلفه الأقدمون وباسمها يبقى على الكثير من النظم والعادات "Max Weber " التقاليد ظاهرة اجتماعية وهي صمام من صمامات أمن المجتمع وهي خير لا يمكن إغفاله، وهناك من يرى أنه لا يمكن المرور إلى التحضر دون سيرورة الانتقال من التقاليد.

.3. الخصائص الاقتصادية:

يمتاز هذا المجتمع بالتنوع في اقتصاديته إلى البيئة الطبيعية والعادات والقيم التي تلعب دورا هاما في توجيه النشاط الاقتصادي ومن هنا يمكن أن ندرك التنوع الكبير في هذه النظم الاقتصادية المتطورة التي وصلت إلى هذه المجتمعات بفعل تطور وسائل الاتصال والتبادل مع المجتمعات المتحضرة، وهذه القيم تعتمد أساسا على ما يلي:

- الصناعات الحرفية وتربية الحيوانات.
- الرعي وهي السائدة في تلك المجتمعات وأهم رزق لأفرادها.
- الزراعة نظرا لتميز هذه المناطق بالمساحات القاحلة فإن الزراعة في غالبيتها لا تعد مصدر هام للرزق نظرا للظروف الجغرافية التي تسمح بنجاح العملية.

[69] إبراهيم مذكور: معجم العلوم الاجتماعية، 1975، ص 171.

[70] صلاح الفوال: دراسة علم الاجتماع البدوي،. مكتب غريب للنشر،.مصر، 1974. ص 288

التجارة نظرا لحاجاتهم اليومية إلى السلع انتشرت التجارة لكن عددهم محدود مقصورة على تجارة المواشي أو البقالة من أجل جلب المتطلبات من مواد غذائية ومواد استهلاكية أخرى.

تقسم العمل العمل منتشر في كل المجتمعات وكما يقول Lund Berg كل من يمكن أن يعمل إمرأة كانت أو رجل وأن هناك عوامل ومحددت هي التي توزع العمل.[71] ونظرا لبدائية الحياة فإن الفرد يشارك في الإنتاج الاقتصادي ويقول Couse و Coller أنه لا يوجد تقسيم للعمل في هذه المجتمعات بل يقوم العمل على أساس السن أو الجنس.[72]

[71] Lund Berg. And Others.: op cit.p586
[72] Coller And Couse:. Modern. . Op. cit. p 178.

تمهيد:

يعتبر مفهوم المجال من أكثر المفاهيم إشكالية، لما يحمله من غنى في الدلالة والإيحاء، ولما يتصف به من تعقيد ومفارقة. فهو مفهوم يجيد لعبة الوجه والقناع والإخفاء بالإبراز، يخفي أحيانا ما ينبغي أن يظهره ويبرز أحيانا أخرى ما هو من المفروض أن يختفي، يبدي الوضوح والجلاء والبساطة بل والبداهة الحدسية، ويضمر اللبس والغموض...

وبناء على ذلك يعتبر التسلح بالمعطيات الكافية والتحلي باليقظة ضرورة منهجية، حتى تتم إمكانية فك شفرات الرموز والمؤشرات وربط الدلالات بمدلولاتها، دون انزياح أو استطراد في المعنى.ولعل أنجع السبل لمقاربة مفهوم المجال، المنهجية الشمولية الديناميكية وحذر تعدد المحتوى، انطلاقا من أولية كون مفهوم المجال بؤرة تقاطعات لعدة معارف، من فلسفة ورياضيات وعلم نفس وجغرافيا واقتصاد، بل وأنثروبولوجيا وسوسيولوجيا، دون إغفال الفن والعمارة وعلم الجمال... وهذا ما يفضي إلى البعد الإشكالي العميق للمفهوم انطلاقا من تساؤلات متمفصلة حول دلالاته العميقة والسطحية، ومدى مردودية توظيفه واستعماله نظريا وعمليا. تساؤلات من قبيل: ما المجال؟ ما هي تجلياته؟ أبعاده؟ تقاطعاته؟ ما هي تمثلاتنا وتصوراتنا حوله؟ كيف نستعمله ونستغله؟ مرجعياته وخلفياته؟ هل يملك كينونة واقعية حقيقية؟ أم هو نتيجة تحديد وبناء ومواضعة؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي قد تساعد في القبض بناصية المعنى.

أولا: **المجال**:

1-1-البعد الفلسفي للمجال:

اعتبر أرسطو المكان مقولة منطقية ذهنية ومعنى كليا لا تستقيم المعرفة بدونه. والمكان، بذلك وكمقولة، محمول في قضية أو تصور ساذج[1]، ليدرجه بذلك في العلم المنطقي العملي الذي اعتبره أداة العلوم (أورغانون). وهو بذلك يموقع المقولات، وضمنها المكان، في حيزها المعرفي الدقيق كمعطى ذهني أولي غير وجودي، وهو فرز دقيق له شأنه المنهجي والإبستمولوجي...

إلا أن بعض فلاسفة الإسلام، لم يدع مفهوم المكان في مستواه المعرفي/المنطقي، بل صعد في تناوله نحو الأنطولوجيا. فاعتبر الرازي مثلا، المكان قديما إلى جانب الزمان والنفس والهيولى والبارئ[2]. وهو توجه "وثني" واضح لا تخفى أهميته وقيمته أثناء الفحص الأنثروبولوجي... أما بالنسبة لابن سينا وابن رشد فقد نقلا المفهوم إلى المجال الطبيعي. فالمكان عند ابن سينا: "ليس بجسم ولا مطابق لجسم، بل محيط به، بمعنى أنه منطبق على نهايته انطباقا أوليا"[3]. وعند ابن رشد: "هو النهاية المحيطة لكونها استكمالا للأجسام المتحركة وغاية تحريكها"[4].

إلا أن كانط، كان وبحق الفيلسوف الذي تأمل مفهوم المكان، وأعطاه كامل العناية: يعتبر المكان عند كانط إطارا قبْليا ضروريا للمعرفة وفق "حاسة الخارجية كخاصية ذهنية للإنسان بها نتصور الأشياء موضوعة خارجنا في المكان"[5]. وحتى يقرب مفهوم المكان وفق التمثلات البيداغوجية اعتبره إحساسا حدسيا خارجيا مقابل الزمان كإحساس داخلي[6].

---

[1]كرم يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1970، ص120.

[2]الرازي أبو بكر محمد بن زكريا، رسائل فلسفية، دار الآفاق الجديدة،بيروت 1977، ص191.

[3]لعمول عبد العزيز (مشكلة المكان في فلسفة ابن رشد)، مجلة فكر ونقد، العدد 13، ص60

4لعمول عبد العزيز، نفس المرجع، ص59.

[5] Kant Emmanuel, Critique de la raison pure, G/F. Flammarion, 1978, p83

[6] Ibid, même page.

لقد طبع تصور كانط لمفهوم المكان وصياغته له، اعتباره له تصورا ضروريا قبليا يستعمل كأساس لكل الحدوس الخارجية... وبذلك فهو شرط إمكان الظواهر. لكن دون أن يكون، رغم ذلك، مفهوما تجريبيا يشتق من تجارب خارجية، كما أنه ليس مفهوما استدلاليا. إنه حدس خالص وليس مفهوما.[7] وبذلك نخلص من تحديدات كانط إلى شمولية "مفهوم" المكان عنده، فهو ذلك الحدس المحيط والذي لا يحاط به، عكس المفهوم، الذي لا ينبغي أن يضم أي تصور –بتعبير كانط– في حين، أن، المفهوم، منتم إلى مجموعة من التصورات.

إنه منطلق المفارقة. وهو أمر جد إيجابي وذو مردودية معرفية دلالية كبيرة استثمرته العلوم الإنسانية أثناء تناولها لمفهوم المجال.

إلا أن انطلاق كانط في مناقشته لمفهوم المكان من الحركة كما تصورها نيوتن، ومن التصور الأقليدي الهندسي، حصره في مستوى البداهة والحدسية والعفوية، وهو ما مكنه منه حقله المعرفي التاريخي.

ولم تحصل قطيعة إلا مع الهندسات اللاأقليدية والعلم الفرضي–الاستنباطي الذي يصوغ فضاءات هندسية رياضية استدلالية أكسيومية. إذا كان التصور الجديد يتفق مع كانط على أن المكان ليس مفهوما تجريبيا، فإنه يحطم، وبقوة، البداهة الكانطية وحدسيتها، ليصبح الفضاء مجالا يبنى منطقيا واستدلاليا وهو بذلك ليس معطى بل هو إنتاج وصياغة، وهو استنتاج محوري انتهى إليه كانط بحسه الأنثروبولوجي العميق عندما أقر بعدم إمكانية التحدث عن المكان إلا من وجهة نظر الإنسان.[8]

وهكذا اتسمت المقاربة الفلسفية الكلاسيكية لمفهوم المكان، من حيث الاتجاه، إما بالتجريد والنظرية اعتمادا على المفهمة البعيدة الغور نحو المعرفة والوجود، دون الاهتمام بالأبعاد القيمية له كواقع وحقيقة واستثمار، وإما كحدس مباشر يضم ولا يضم. الأمر الذي

[7] Ibid, même page.

[8] Kant Emmanuel, Critique de la raison pure, Ibidem, p87

أعطى للتناول صبغة الماهوية والأنثروبولوجية بالمعنى الكانطي الأولي المفضي إلى تأمل شروط الإنسية الوجودية والمعرفية أو الأخلاقية بعيدا عن اليومي.

لقد أحدثت الإبستمولوجيا المعاصرة رجة في تصور المكان. وذلك إثر الثورات الرياضية والفيزيائية، سواء مع نظريتي الكوانطا والنسبية، أو مع الهندسات اللاأقليدية، الثورات التي مكنتنا من إعادة سبك تصور هذا المفهوم ببنائه وصياغته مع التصورات الفلسفية الكلاسيكية. وبذلك تغير التوجه نحو العلاقة، بدل الماهية، وبدأ الاهتمام بالأبعاد والمقادير (إحداثيات، إنغلاق، انفتاح، ما بين، تبادلية، تقاطع...) بدل الحدس والطبيعة. ففتحت الرياضيات والفيزياء بذلك البعد النسبي للمجال.[9] وهي الخلفية المعرفية التي تحكمت في التصورات المعاصرة حول المجال، سواء كمجال الإدراك في علم النفس أو المجال الجغرافي أو حتى الأنثر–سوسيو–ثقافي...

إن القبْلية التي كانت حدسية، والتي سيراد القطع معها بالبناء والصياغة، ستنتقل إلى كون المجال ليس سوى ذلك المعطى الموجود مسبقا والمحدد المعيق للحريتين الذهنية والفعلية، لكن مع فعل إنساني سيتلاءم مع مفهوم المعمور الجغرافي ليتجاوزه إلى ربط واع بين المجال كموطن والمجال كسلطة والمجال كرمز ومعرفة... تلك هي الأنثروبولوجيا وذلك قدرها المجبر للإنسان الذي لا يمكن أن يكون سوى ما هو، عبر شروط محددة، منها المجال والتراب والإقليم والأرض والمسافة والامتداد.. فإذا بنا أمام الاختيار الجبري، أو الجبر الاختياري، وأمام جدلية الفعل والانفعال، ذلك القانون الفيزيائي النيوتوني الذي سيتمدد ليسع النسبة والفهم بدل السببية والحتمية الساذجتين، والتكاملية والديناميكية بدل قانون العطالة. وإذا كان من درس نستفيده من مفهوم المكان في الفيزياء المعاصرة فهو اعتماد حيز الموضوع بدل حيز الذات[10].

---

[9]-الجابري محمد عابد، المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي، دار النشر المغربية، ص230–232.

[10]الجابري محمد عابد، نفس المرجع، نفس الصفحات.

كان ذلك سيكون له أثره في تفجير وتشظية المعرفة حول المجال، من الوثوقية إلى المرونة الاستطرادية .

تلك بعض الأفكار الممهدة والكاشفة والمرجعية حول مفهوم المكان–المجال، كمفهوم قبل/مجالي تؤطره الفلسفة والرياضيات والفيزياء. فما هو المجال الآن في حقل العلوم الاجتماعية والإنسانية؟

1–2– المجال في العلوم الاجتماعية و الانسانية:

يرى لالاند في معجمه أن المجال "ليس شيئا وليس إحساسا، ولكنه إنتاج وبناء ذهني: مثال التجريد"[11] ثم يضيف:إنه "بالنسبة لعلماء النفس لا يوجد سوى مجال واحد هو الذي ندركه واقعيا وهو المجال البصري".[12]

نستنتج من التعريف، الطابع الحسي للمجال، ذلك الطابع الذي يؤكد عليه علماء النفس، من جهة، والطابع التجريدي البنائي من جهة ثانية. وهي ثنائية تعزز الطابع الإشكالي المفارق الذي انطلقنا منه منذ البداية. ولا نرى في الإشكالية تلك سلبية، بل هي مرونة الدلالة ومن ثمة مردودية الاستعمال.

أما معجم علم النفس، فيتحدث عن مجالات وليس عن مجال واحد، فهناك المجال السمعي ومجال الجسم ووضعه، ومجال الإشارات والمواقف والمجال البيئي والإسقاطي (لدى بياجي) ثم المجال الحيوي. ويعطينا كارل لوين تعريفا يقول فيه: إن المجال هو "مجموع محددات حالية، داخلية وخارجية لسلوك شخص أو جماعة".[13]

وإذا كانت هناك فائدة من استعراض التناول النفسي لمفهوم المجال، ففي إحالته لعلاقة المجال بالجسد والحس والمواقف ومن ثمة التعلم وفق المحددات المعطاة انطلاقا من مجال الذاكرة والماضي، بل والمستقبل وفق مجال المتخيل والاستشراف سلوكا مع الآخر,

[11] Lalande André, Vocabulaire technique et critique de la philosophie Quadrige. PUF, 6ème éd. 1988, p298.

[12] Ibid, même page.

[13] Vocabulaire de la psychologie, PUF, Paris, 1968, p156

وفي قياس حجمه ومدى أهميته، ومدى أهمية المسافة التي تفصل به ومدى قوته, ما يمكن الاصطلاح عليه بالمجال الاستراتيجي...

يعرض معجم الرموز[14] للمكان بشكل شمولي تكثيفي جد موح عندما يحدد: "يعتبر المكان، وهو غير مستقل عن الزمن، حيز الإمكانات –ويرمز في هذا المعنى إلى فوضى الجذور– كما أنه حيز الإنجازات–وهو بذلك يرمز إلى الكون والعالم المنظم... ليشمل مجموع الكون، بتحييناته وقدراته". ويمكن أن نستخرج من التعريف عدة نتائج أهمها:

1. محايثة الزمن للمكان، ومن ثمة ضرورة الطبيعة الدينامية لأي استعمال لمفهوم المكان والمجال، وإلا سقطنا في تمثل طوبوغرافي ترابي فج يسقط حتميات الإيكولوجيا على الفعل الإنساني ويسقط في الجغرافوية الساذجة .
2. . المكان حيز الإمكانات، وهي إشارات ذكية لتلك الازدواجية المعقدة، من أثر المجال المعطى والمحيط على الإنسان بشكل بديهي، مع ما يوفره هذا المعطى من الإمكانات والاحتمال وقدرة الإنسان على تغيير الأثر والمعطى نفسيهما.[15]
3. . لا يتحمل الإنسان فوضى الجذور، حتى منذ الوثنيات الأولى، ومن ثمة الدور الجينيالوجي للأساطير الباحثة عن البدايات و"الساعية إلى المآلات"، والطابع اللاواعي لفوضى الجذور هذا إيجابي من حيث القدرة على الاختلاف وامتصاص الغريب. ومن ثمة البعد الديمقراطي العميق للمجال...
4. . المكان حيز الإنجازات، ومن ثمة الوجدانية المحايثة للوطن–الوثن، للعلاقات المورفولوجية، للذاكرة والفعل اليومي والترشيد والحكمة والعرف والآفاق والعهود والمواثيق...
5. . يشمل المكان مجموع الكون بتحييناته التي تعطيه الطاقة والحيوية الكافية للاستمرار.

---

[14] Chevalier, Jean. Alain Gheerbrant, Dictionnaire des symboles, éd.Robert Laffont/Jupiter, Paris 1982, p415.

[15] DOLLFUS Olivier, L'Espace géographique, PUF, 1970, pp42-57

6. . أخيرا، يجمع المكان–المجال بين جدل الحتم والغير المنتظر ومن ثمة المردود الحيوي للمفهوم والذي يحيل إلى التقليد الألماني الذي يعادي الوضعوية، وهو انفتاح على ثقافات الفهم والاحتمال(ماكس فيبر بدل دوركايم)[16].

إن لمفهوم المجال، بكل ما سبق، مردودية إبستمولوجية كبرى نظرا لمرونته وعلاقته المحايثة بمفهوم الحركة والعلاقة، هذا على مستوى الدلالات الذهنية. أما المردود السوسيولوجي فيتضح انطلاقا من علائقه بالسلطة والمعرفة والإخفاء.

إن المقاربة المجالية مزدوجة الفعل، فهي وصفية وتفسيرية. وصفية للمجال كما يفعل وينشر ويستعمل ويستغل، وتفسير وتبرير للأفعال تلك عبر الكشف عن المسكوت عنه واللاواعي به والمتحكم في الفعل، رغم الادعاءات المضادة للفاعلين المجاليين.

ولا يمكن أن نوقف التعريفات التي تقترحها المعاجم حول مفهوم المجال دون الإلمام برأي الجغرافيين وهم أهل حق محوري.

يرى معجم الجغرافيا أن المجال هو "التراث ومكاسب التهييئات السابقة، الاقتصادية منها والاجتماعية والسياسية، ومسرح رهانات قوة دائمة..." كما يسعفنا بمقارنة المجال الجغرافي كما حدد في التعريف، مع المجال الاقتصادي الذي حدده F.Perroux والذي يرى: "أنه مجال مجرد شبه رياضي (مجموع العلائق المجردة) وضد الابتذال". ومن المقارنة ندرك أن المجال الجغرافي حقل واقعي للرهانات وصراع القوى. وقد يكون حسب J.R.Boudeville إما متجانسا أو غير متجانس –مستقطب– أو تصميما، وهو تطبيق على مفهوم الجهة وليس على مفهوم الوطن كما فعل Perroux. إن المجال أيضا وسيلة للتوصل إلى هدف وغاية[17].

هكذا، ومع الجغرافيا، تتضح المعالم الواقعية للمجال، فنحن هنا، وإن كنا لا نستبعد الخصائص الذهنية للمفهوم، نستحضر بعده الترابي التهييئي, متجانسا كان أو غير

---

[16] العروي عبد الله. مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992، ص255

[17] Dictionnaire de la géographie, PUF, 1970, pp68–169.

متجانس، وفق جدل الباحث والمبحوث بذاتيته التي لا يمكن إلا أن تؤخذ بعين الاعتبار، كما أن المجال يمكن أن يقارب كخطاب ومتن يستنطق مضمونه ويفك شكله.

1-3-المجال، السلطة، الرمز:

إن المجال شيء يتغير، يختلف، يتقطع، ينقسم، يتمدد، لكن رغم كل ذلك يملك "هوية" وشخصية، وقابل للمحلية والتعريف[18] تبعا لخصائصه كتراب كإقليم وتاريخ وإيقاع. ومن ثمة أهمية بعد التقليد في جينيالوجيا طرس المجال-السلطة، بعد يختلف تماما عن دلالته السلبية نحو دلالته الإيجابية التي بها تملأ الجماعات طقوسها حتى لا تصبح حركات غير ذات معنى. إن التقليد لا يعني البلى والرثية ، بل يعني ذلك الجذر-الذاكرة المنتج للسلطة[19]. وهو بؤرة تقاطع جميع الأشكال الثقافية من عادات وأعراف ومصالح دنيوية ورضى النفس والشراكة والتوافق والخداع المتبادل والتواطؤ الواعي والغير الواعي عبر الاحتفال والبعد الفينومينولوجي للجمعوية.

إن التقليد استضمار للكينونة والفعل الاجتماعي، وإذا كان فيبر يعتبره، إلى جانب العقل والكاريزم، جذرا أساسيا للسلطة[20], فهو، وفي البنيات التقليدية خصوصا، جذر حتى للعقل نفسه وللكاريزم أيضا حيث تغذي خبرة السن التدبير والحكمة والجاه، ومن ثمة الاحتماء من الاستبداد, لكن دون الصعود نحو الديمقراطية أيضا، فالسلطة هنا ليست سوى رمز وريع للتوافق اليومي فحسب.

ليست السلطة في المقاربة المجالية هدفا في حد ذاته، فهي أداة ووسيلة للتفسير فحسب[21]: بحث في آليات المسافة والامتداد والقوة والكارزمية والتشارك والوضع الاقتصادي والجغرافي وخيال إبداع الحلول. ومن ثمة علاقة السلطة بالتواصل والإخبار انطلاقا أولا من الاستيلاء والبطش ثم الحراسة والمراقبة والقمع، تم كإبداع ومأسسة وأخيرا كتبادل وجمعوية

---

[18] Dollfus Olivier, L'Espace géographique, Ibidem, pp7-29.

[19] Claval Paul, Espace et pouvoir, PUF, 1978.p22.

[20] Ibid, pp28-34

[21] Ibidem, pp11-15.

وولاء وخلق الأحلاف. ولا يتم كل ذلك إلا بتملك شبكة العلاقات أو إنتاجها حتى، أو تصريفها وتغيير مجراها، كما أن تنظيم مصادر الخبر ليعتبر أساسيا في تنظيم المجال برمته، إذ ليس في المجال حرية بدون حد أدنى من التنظيم[22]، وهذا ما يؤسس ما اصطلح عليه بول كلافال بالمعمار المجالي.

تعني القوة في البنيات التقليدية الاستيلاء، كبعد مجالي، ترابي، قبل كل شيء، وقبل أي تنظيم أو أي شكل من أشكال الاستغلال ومن ثمة سيطرة مفاهيم تمثيلية مثل الفتح والغزو ووضع اليد ثم الفيء والخراج[23]، ومن ثمة عدم غرابة التسلسل الشبه المتواتر للسلط: السلطة المطلقة ثم الشرعية ثم سلطة الرهانات ثم سلطة الاستيلاب واللاوعي[24].

إن السلطة حاجة نفسية إلى التحكم أو الحماية أو التماهي أو التقمص، ولا يفصح عن تلك الرغبة كأي حاجة مبتذلة، لارتباطها بالرهانات من جهة ولخطورة نتائجها الحيوية من جهة ثانية، ومن ثمة حاجة تلك الحاجة إلى الإخفاء بالشرعنة والتبرير ولو بالوهم، حتى يخلق ريعا ومردودا ثريا يتراوح بين النفعية المادية الدنيوية والرمزية. ويعتبر العرف بقاعه الأنثروبولوجي اللحظة الأولى في تقنين المردود المتبادل.

هكذا يتضح أن المجال عماد الحياة، عماد يتدخل بالمسافة أو بإعاقة العلاقات كما أنه أساس النشاط الرمزي تكوينيا وعلائقيا.

وتفيد المقاربة المجالية في كشف الممارسين الفعليين للسلطة وما تبقى منها لدى الممارس عليهم تجاوزا لمن ينتجها ويملكها، إذ الذي يملك السلطة غالبا ما لا يمارسها ومن هنا ضرورة الانتباه لتفاصيل تصريف القوة عبر مستويات ما قبل السلطة وما تحتها، الرمزية منها بالأخص والمعرفية بخصوصية أكثر. حيث يلعب الرمز دور صهر عناصر السلطة حتى تكون الهيمنة مستساغة ومستوعبة. وحتى يتم ذلك يجب أن تسبح السلطة في مجال

---

[22] Ibidem, pp23-27.

[23] كاهن كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، دار الحقيقة، بيروت 1983، ص122-128.

[24] Claval Paul, Ibidem, pp82-96.

ثقافي موحد يمكن من التواصل أولا وإضفاء الطابع الاحتفالي–الطقسي على الممارسات السلطوية حتى لا تبدو قاسية. من ثمة تتخذ مظاهر السلطة الغير السلطوية أهمية من السلطة نفسها كما أن المجتمعات التي تبدو بدون سلطة هي أهم المجتمعات المستغرقة فيها.[25]

ليست التمثلات، بالنسبة للمقاربة المجالية, شيئا يلفظ به ويجب تجاوزه، بل هي المستوى الأول والمؤشر الأساسي الذي يفصح عن ما تبقى من الاستيعاب. بذلك تحدد العلاقة داخل/خارج كل ما يتصل بالمجال أولا كمكان معطى طبوغرافي، وثانيا كإسقاط، وثالثا كبناء وصياغة. والتعامل السلبي المحض مع المكان افتراض ليس إلا: فمهما كانت بدائية التعامل مع البيئة تبقى الأنسنة أمرا أوليا، مع أن مستويات التعامل متفاوتة تبعا للتجربة التاريخية الخاصة بكل تجمع بشري. وتبعا، أيضا، لمدى الإدراك والوعي به وتدبيره وتنظيمه واستغلاله.

2– التحديد المرفولوجي للمجال الحضري :

عندما نتأمل جيدا في البنية العمرانية للمجتمع الحضري، فإن أول ما سنلاحظه هو ارتفاع واتساع المباني السكنية، و توفرها على مراكز وخدمات مثل الصحة والتعليم وغيرها من النظم الإدارية، وأيضا توفرها على وسائل النقل والمواصلات والاتصال. وانتشار ما يطلق عليه بالأحياء المتخلفة أو الهامشية.

ويختلف الوسط الحضري عن الوسط الريفي من حيث البنية العمرانية بالدرجة الأولى، حيث توجد به بنيات ضخمة وشاهقة ومتقاربة مع بعضها البعض، وتوجد به أيضا مراكز صحية مثل المستشفيات والصيدليات، ومراكز الاتصال كالبريد ومقاهي الأنترنيت ، ومحلات تجارية كبرى، ومراكز التعليم المتمثلة في مؤسسات التربية والتكوين المهني،

[25] Claval Paul, Ibidem, p86

والمؤسسات البنكية، والمؤسسات الحقوقية والمحاكم، إلى جانب مراكز الشرطة ومراكز إعادة التأهيل، والمؤسسات الاجتماعية مثل دار العجزة.

كما أن الوسط الحضري يتوفر على طرق المواصلات وعلى محطات لكل من الحافلات وسيارات الأجرة، والقطار، والميناء، إلى جانب شبكة طرقية واسعة، كما تتميز بانتشار الحدائق والمحميات، وملاعب رياضية، وتتوفر أيضا على دروب وأحياء وشوارع وإشارات تنظيم حركة المرور وأرصفة المشاة، وسلاة القمامة26، إلى جانب أنها تعرف انتشار أحياء الصفيح. كما تعرف انتشار الكتابة على الجدران أو ما يسمى ب"الغرافيتيا".

3- **التحديد الإحصائي للمجال الحضري:**

أما فيما يخص التحديد الإحصائي للوسط الحضري، فلا شك أن المجتمع الحضري يعرف تجمع سكاني مهم ومرتفع بكبر حجمه وتعقيده، نتيجة للهجرة المتوافدة إليه بنوعيها الداخلية والخارجية تبعا لعوامل الطرد والجذب، وانخفاض في معدل الوفيات لصالح ارتفاع معدل الولادات، يمكن إرجاعها لسبب واحد وهو التغطية الصحية المتطورة التي توجد بالمدن، وعلى هذا الأساس ترتفع معدلات الكثافة السكانية في مجتمع المدينة لتصبح سمة مميزة على عكس المجتمع القروي الذي يتحدد بوجه عام بعلاقة عكسية مع الكثافة.

ويتم تحديد الوسط الحضري من خلال الاعتماد على مؤشر الكثافة السكانية، وهو مقياس يستخدم لقياس معدل تواجد السكان في منطقة ما، وذلك بتقسيم مجموع السكان على المساحة، ولكن من الصعب وضع تحديد للوسط الحضري من خلال مؤشر الكثافة السكانية، لأنه يختلف من بلد إلى بلد آخر من حيث عدد سكان المدينة، إذ تعتبر الولايات المتحدة أن العدد هو (2500) وفرنسا (3000) بينما نجد في بعض الدول الأخرى كاليابان فإنها تعتبر أن (30) ألف نسمة هو معيار العدد السكاني للمدينة، وفي كوريا (40) ألف، بينما نجد في إحدى القرى المصرية (سرس الليان) يبلغ عددها حوالي (30) ألفا وهي لا تزال

[26] ستيفن سايدمن، شوارع بيروت: الذات والمواجهة مع الآخر، ترجمة مهما بحبوح، إضافات، المجلة العربية لعلم الإجتماع، تصدر عن الجمعية العربية لعلم الإجتماع بتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، العدد الخامس شتاء، 2009، ص 44.

تتميز بكل المظاهر الحياتية التي تتصف بها القرية. [27]في حين أن المراكز الحضرية تتميز بتنظيم معقد. مما يبدو أن مقياس الكثافة السكانية في تحديد الوسط الحضري هو أمر مبالغ فيه، لأنه لا يستند إلى أي أساس واقعي بسبب الاختلاف في تحديده وضبطه، الشيء الذي يطرح لدينا تساؤل حول ماهية التحديد الذي يتخذه الوسط الحضري في السوسيولوجيا؟

4- التحديد السوسيولوجي لمفهوم المجال الحضري

يرى "إيميل دوركايم" أن الوسط الحضري ينبغي أن يتميز إلى جانب الكثافة الفيزيقية بالكثافة الأخلاقية، لأن التجمع السكاني ليس مثل التجمع الحيواني الذي يغيب عنها القيم الأخلاقية، فأهم ما يجب أن يتوفره داخل التنظيم الاجتماعي للوسط الحضري هي الكثافة الأخلاقية لأنها تسمح بحسب دوركايم بوجود الكثافة الفيزيقية، بينما العكس غير صحيح، فالعديد من التجمعات الحضرية التي تتميز بكثافة فيزيقية مرتفعة يغيب عنها نوع من التجانس والتضامن بين أفرادها ما يسبب أحيانا بالانتحار، وتعرف انتشارا للجريمة بمختلف أنواعها بسبب التفكك الاجتماعي، وهو عكس ما نجده بالوسط الريفي الذي يتميز بعلاقات اجتماعية متماسكة ميكانيكية يتعامل أفراد المجتمع تلقائيا ويستجيبون لبعضهم البعض.

وما يميز الوسط الحضري عند دوركايم أنه يتميز بالتضامن العضوي، فالأفراد متمايزين ومختلفين، وتابعين لبعضهم البعض، وتسود بينهم علاقات اجتماعية تعتمد على تبادل المنفعة، بخلاف الوسط الريفي الذي يتميز بالتضامن الآلي، حيث يكون أفراد الجماعة متشابهون ويتعاملون تلقائيا ويستجيبون لبعضهم ميكانيكيا.

أما "ماكس فيبر" فقد أوضح بأن أوربا قد بدت تشهد مجتمعات محلية حضرية تعتمد أساسا على التجارة وتتمتع بقدر ملحوظ من الاستقلال الذاتي28، وهذا يعني أن المحدد الرئيسي

[27]عرب دعكور، تاريخ المجتمع الريفي والمدني، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2004، ص 48.

[28]عبد الرؤوف الضبع، علم الاجتماع الحضري: قضايا وإشكاليات، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية . مصر، الطبعة الأولى 2003، ص 36.

للوسط الحضري يعود إلى وجود مركز تجاري وهو السوق باعتباره شكل للتجمع البشري. فالوسط الحضري حسب ماكس فيبر هو شكل اقتصادي ينبغي أن يتوفر فيه على سوق محلي، يتجاوز الإنتاج فيه والتبادل سكان المدينة (الوسط الحضري) إذ أنه نتيجة التخصص الإنتاجي للسوق، فإن سكان القرى المحيطة يترددون عليه، ويتعاطون البيع والشراء في منتجات الحرفيين وسلع الإتجار معا، ومن الطبيعي أن يتعاطى سكان المدينة (الوسط الحضري) أنفسهم في هذا السوق البيع والشراء.[29]

و يعتبر بعض السوسيولوجيين من أمثال "جورج زيمل" أن المجهولية هي الميزة الأساسية للوسط الحضري، فهي تقوم على علاقات اجتماعية منفصلة ومتباعدة، فأفراد المجتمع يجهلون بعضهم البعض حتى وإن كانوا في علاقة الجيرة، فالحياة بالوسط الحضري تتسم باستقلال أفرادها، فهم غالبا ما يتميزون بصفة الفردانية والنفعية، وهذا يرجع أساسا في نظره إلى حجم المدينة التي أثرت بشكل كبير في العلاقات الاجتماعية وجعلت الفرد أكثر وعيا بذاته وأكثر حرية لكنه في الوقت نفسه هو أضعف من ناحية العلاقة مع الآخر.

ومن خلال هذا التحليل الذي قام به جورج زيمل، عمل "لويس ويرث" وهو أحد السوسيولوجيين الأمريكيين وعضو ب (مدرسة شيكاغو) على تحليل حجم المدينة وتأثيرها على الحياة الاجتماعية، فوجد أن الحجم والكثافة وعدم التجانس هو ما يحدد التنظيم الاجتماعي داخل الوسط الحضري. فزيادة حجم المدينة يساهم في خلق طرق اتصال غير مباشرة لأن هناك استحالة على جمع السكان في حيز جغرافي واحد. كما أن ارتفاع عدد السكان يؤدي إلى تنوع المجتمع وإلى تقسيم العمل الاجتماعي، الشيء الذي يجعل أفراد المجتمع يتعاملون فقط وفق مجموعة من التبادلات الاجتماعية. إلى جانب ذلك فإن التنوع

[29] رجاء مكي طبارة، مقاربة نفس . اجتماعية للمجال السكني، دراسة ميدانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ،871995 ص 60.

الاجتماعي يعمل بالضرورة إلى تحرير الأفراد من الضبط الاجتماعي الذي يمارسه أفراد الجماعة مثل ما يوجد في المجتمعات الريفية أو القروية.

وبالنسبة ل"مانويل كاستلز" وهو أحد السوسيولوجيين المعاصرين، يرى أن الوسط الحضري لم يعد يقوم فقط على الحجم والكثافة السكانية وإنما أصبح يقوم على الإنتاج الاقتصادي بالدرجة الأولى، فتراكم رؤوس الأموال وتمركز النشاط الصناعي والخدماتي بالوسط الحضري جعله يلعب دورا مهما في الحياة الاجتماعية وفي استقطاب المناطق المجاورة، وفي تحويل نفسه إلى مجال ينتج ويستهلك ويتغير.

5- التحديـد الوظيفـــي للمجال الحضري:

إذا تأملنا تعريف الجغرافي "ماكس سور" بأن المدينة هي المكان الذي يعيش فيه المجتمع مستقر، يكون أحيانا كبير العدد، وذا كثافة سكانية مرتفعة وأغلبهم لا يعتمدون على الزراعة، بل على الصناعة والتجارة

والخدمات والمجتمع المدني يتميز بدرجة مرتفعة من التنظيم[30]. يتبين لنا أن للمدينة عدة وظائف وذلك تبعا للتجمعات البشرية التي تستقر فيها وتمارس نشاطا معينا، فالمدن تؤدي بصفة عامة مجموعة من الوظائف تختلف فيما بينها، وهي وظائف متداخلة لدرجة كبيرة وليس من السهل تحديد أي وظائف هي الأولى والسائدة في المدينة، مما يزيد الأمر تعقيدا للمدينة الحديثة محاولة تنويع وظائفها.

وعموما فإن دراستنا لوظيفة المدن لا تعني بالضرورة الوظيفة الداخلية مثل إنشاء المساكن وشق الطرقات وغيرها، بل نقصد الوظائف الكبرى مثل الوظيفة الحربية، والوظيفة السياسية، والوظيفة الاقتصادية..الخ،

[30]عرب دعكور، تاريخ المجتمع الريفي والمدني، مرجع سابق، ص 47.

6- التحضر وخصائص المجتمع الحضري الجزائري:

6-1-مراحل التحضر في الجزائر :

إن قيام الحضارات المتعاقبة بالجزائر يفسر أن عملية التحضر كانت قديمة أكدتها الكثير من الحفريات والشواهد التاريخية والأثرية، حيث كانت الجزائر محطة لقيام العديد من الدول والحضارات. وقد شهد المجتمع الجزائري بروز نمطين اجتماعيين هما مجتمع ريفي وآخر حضري.

لقد شهدت الجزائر حضارة البربر وهم السكان الأصليون للجزائريين وقد مرت حياة الحضر في الجزائر بمراحل تاريخية استمت بنوايا ظهور المدن، تطور البعض منها وزال البعض الآخر انطلاقا من التواجد الفنيقي فالغزو الروماني والوندالي فالبزنطي، وبعد الفتوحات الإسلامية، تطورت الكثير من المدن في الجزائر، إن هذا التراكم والتنوع الثقافي والحضاري صب في دائرة احداث تغيرمهم في نمط الحياة في مختلف الحقبات والفترات التاريخية.

قبل الاستعمار الفرنسي كان الطابع العائلي والقبلي هو السائد في الجزائر، وكان الاقتصاد مبني على إنتاج الحاجات الأساسية وخاصة بالوسط الريفي، والعلاقة الريفية والحضرية اتسمت بالكثير من التوازن.

وبعد دخول الاستعمار الفرنسي حدث الكثير من التغيرات في بناء المجتمع الجزائري وقد حدد "بوودون"المراحل التي مرت عليها عملية التحضر في الجزائر فيما يلي[31] :

- **مرحلة الغزو الفرنسي الشامل:**وسيطرة المستوطنين الأوربيين على الأراضي والسهول الخصبة بإقامة مستوطنات خاصة بهم حول المدن الهامة في الجزائر وربطها بشبكة طرقات برية وسكك حديدية، ثم إيصالها بمصادر الموارد الأولية لتنتهي بالموانئ قصد تصديرها نحو فرنسا. وقد كان لعملية الاستقطاب والاستغلال هذه الأثر البالغ في تدهور الأوضاع

[31]عبد العزيز، بوودن، "التحضر في الجزائر"، مجلة الباحث الاجتماعي، قسم علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، العدد 5، جانفي 2004.، ص ص165-166.

المعيشية للسكان الجزائريين في الأرياف، الأمر الذي دفع بالأغلبية إلى الهجرة نحو المراكز الحضرية والاستقرار في أكواخ من القصدير على أطراف المدن.

إن هذه السياسة الاستعمارية أنتجت وضعا اجتماعيا يمثل حالة نموذجية لمخطط كولونيالي متكامل لنقل شعب ذي تقاليد حضارية عريقة إلى وضع شبه بدائي تمهيدا لإخضاعه وإبادته.

- **مرحلة الاستقرار العالمي**:نتيجة الحروب والاضطرابات التي أثرت على أوضاع الجزائر اقتصاديا واجتماعيا، فكانت سببا في انتشار ظاهرة الفقر بين السكان بفعل تحول الإنتاج الزراعي من القمح خاصة باتجاه فرنسا، وقد استمرت الأوضاع على هذه الحال حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية مما أرغم أعداد كبيرة من سكان الأرياف إلى الهجرة باتجاه فرنسا بحثا عن العمل.

- **مرحلة اندلاع الثورة التحريرية** :حيث شهدت هذه المرحلة نزوح ريفي واسع باتجاه المدن بسبب سياسة التشريد والأرض المحروقة، وإقامة محتشدات لتجميع سكان الأرياف وعزلهم عن الثورة.

كما قام الاستعمار الفرنسي بتفكيك البنى العائلية والقبلية حيث غير الكثير من عادات السكان خاصة بالريف الجزائري، فحطم نمط الإنتاج الرعوي والذي كان يجمع أفراد العائلة وتحقيق لهم الاستقرار، فبدأت ظاهرة النزوح الريفي محدثة ما يسمى بهامشية السكان النازحين. كان للاستعمار آثار سيئة على سكان الريف في البنية وتغيير الكثير من الوظائف الأصلية ببيئتهم.

- **مرحلة الاستقلال** :حيث تواصلت الهجرة بشكل مكثف نحو المدن خاصة مع عودة آلاف اللاجئين من تونس والمغرب واستقرارهم في المدن وازدياد تدفق المهاجرين، خاصة بعد مغادرة المعمرين للجزائر وتوفر السكن الشاغر لذلك.

- **مرحلة التخطيط الاقتصادي والإصلاح الزراعي** : بدأ بتأميم الأراضي إلى إقامة التعاونيات الفلاحية فبناء القرى الاشتراكية في فترة الرئيس الراحل "هواري بومدين"، ورغم

ذلك فالهجرة استمرت باتجاه المدن بحثا عن العمل وحياة أفضل من ذي قبل مقارنة بالظروف التي مر بها الريف قبل ظهور نتائج هذا التخطيط مما زاد في اتساع الهجرة بين الريف والحضر بسبب تركز عملية التصنيع بالمدن. كما شهد العمل المأجور تطورا وخاصة بدخول المرأة الجزائرية لميادين العمل المختلفة، وتحسن الحياة الحضرية بإدخال عناصرعصرية إلى الوسط العائلي (ماء، ضوء، غاز) إلى غير ذلك، ساهم فيإحداث تغيير نمط المعيشة والأدوار والعلاقات في الفضاء ين الريفي والحضري في الجزائر.

- **مرحلة ارتفاع معدلات النمو الحضري بالمدن** : صاحب ذلك انتشار بعض مظاهر التخلف والبؤس كالأحياء القصديرية التي شملت الكثير من المدن الجزائرية والتي كانت عاملا هاما ساهم في تفاقم أزمة السكن وانتشار البطالة.

ومع الوفرة المالية التي يعيشها الاقتصاد الوطني بفعل تزايد مداخيل النفط، تسعى الدولة إلى محاولة تحسين الظروف المعيشية والمهنية للفرد الجزائري بغرض مواكبة وتحقيق فرص التنمية المنشودة.

6-2-عوامل التحضر في الجزائر :

إن التحضر الذي شهدته الجزائر خصوصا بعد الاستقلال يرجع إلى عوامل عدة قد تكون أهمها الهجرة الريفية نحو المدن والتي خلقت كثافة سكانية كبيرة داخل التجمعات الحضرية، فقد ظهرت الهجرة الريفية بعد الاستقلال ومثلت نسبة سكان الحضر بـ 42% وظهور أسر بسيطة زواجية بنسبة 14% مقابل 6% الموجودة في الوسط الحضري من قبل[32]

بالإضافة إلى النمو الديموغرافي والزيادة الطبيعية بين سكان المدن، أضاف الباحث "عبد العزيز بودن"[33]. عدة عوامل فأشار إلى أن إعادة هيكلة القطاع الزراعي وخوصصته كان بمثابة الدافع القوي بالنسبة لشباب الأرياف لمغادرة بيئتهم نتيجة حرمانهم من الاستفادة من عملية توزيع الأراضي التابعة للدولة، فاضطروا إلى الهجرة نحو المدن بحثا عن مصادر

[32] Boutefnouchent , Mostafa, La famille Algérienne ; son Evolution et ses caractéristiques récentes, ed SNED, Alger 1980.P 155.

[33]عبد العزيز بودن، مرجع سبق ذكره، ص 163

الرزق فيها خاصة في قطاع البناء والأشغال العمومية الذي كان آنذاك في توسع وانتشار، واستمرت وتيرته بشكل أسرع خلال السنوات الأخيرة.

وقد لعبت السياسات المطبقة في الجزائر دورا كبيرا في تنامي درجة التحضر، فازدادت المستشفيات في ظل الإصلاحات الخاصة بالمجال الصحي وقد لعب التعليم وسياسات محاربة ظاهرة الأمية التي شملت شرائح مهمة في المجتمع الجزائري أيضا دورا كبيرا في ذلك.

ويضيف عبد العزيز بوودن أنه إضافة إلى التحول في النهج الاقتصادي بإتباع سياسة اقتصاد السوق وحرية الاتجار في السنوات الأخيرة، بحيث طبعتها الفوضى مع تيار المعايير والمقاييس المعمول بها في هذا المجال، وتناقص أو انعدام الرقابة أحيانا على النشاط التجاري خاصة داخل المدن، مما سمح وشجع أعداد معتبرة من شباب الأرياف والقرى المجاورة للتجمعات والمراكز الحضرية لامتحان التجارة الموازية كباعة متجولين لمختلف المنتوجات المحلية أو المستوردة بطرق غير شرعية، أو بيع الخضر والفواكه في الأسواق الفوضوية المنتشرة عبر أحياء المدينة.كما أن ترقية العديد من التجمعات الحضرية في التصنيف الإداري من خلال أحداث ولايات أو دوائر بلديات جديدة وما تبع ذلك من مرافق حضرية جديدة وخدمات اجتماعية إضافية، مكن من نشوء وتطور العلاقات الاجتماعية وأثر ذلك على مسار عملية التحضر بشكل كبير[34].

ومع إفرازات وسائل الاتصال الحديثة في فضاءات الإعلام المختلفة طور الكثير من العادات من العادات الاجتماعية التي تمس الإطار القيمي للمجتمع وللعائلة الجزائرية مم خلق أنماط حياتية جديدة وبالتالي أشكال ونماذج استقلالية أخرى، تعتبر إضافات وتغيرات للحياة الحضرية للمجتمع الجزائري.

6-3-الهجرة الريفية والتغير القيمي للمجتمع الحضري في الجزائر : إن النمو الحضري المتسارع في العديد من الدول أدى إلى مشكلات اقتصادية واجتماعية وصحية وأمنية

[34] عبد العزيز، بوودن، نفس المرجع السابق، ص 163.

وغيرها، فظهرت المناطق العشوائية التي تفتقر للخدمات الضرورية مثل الكهرباء ومياه الشرب النقية وشبكات الصرف الصحي كما ارتفعت معدلات الجريمة، وتدهورت صحة البيئة في المساكن العشوائية [35]. كان من أبرز نتائج التوسع الحضري أنانخفض عدد سكان الريف بصورة مستمرة في مختلف المجتمعات خاصة النامية والحضرية منها، وتفاقم النزوح إلى المدن بنسب متزايدة، بحيث أصبحت ظاهرة التحضر حصيلة الهجرة الكبرى للقرن العشرين أكثر مما هي حصيلة للنمو السكاني الطبيعي[36]. وهي أيضا أسرع نموا من ظاهرة التصنيع والبناء كما يفوق نزوح سكان الريف إلى الحضر معدلات إنشاء المواطن الجديدة للعمل، وبناء المساكن، واستحداث الخدمات الضرورية من نقل وعلاج وتأطير إداري بكثير [37].

أشار "علي بوعناقة" [38]إلى أن نماذج التنمية المتبعة في الوطن العربي والجزائر منه، أدت إلى اختلالات بين الريف والمدينة، حيث أن الهجرة الريفية العشوائية بفضل العوامل المختلفة أدت إلى إفراغ الريف من الطاقات البشرية، وبالمقابل ساعد ذلك على نمو المدن نموا فاق التصور، وقد صاحب الظاهرة مطالب جديدة فاقت الاحتياجات المتوفرة المادية والثقافية.

[35] النعيم، عبد الله العلي، "ندوة "حول الانعكاسات الأمنية وقضايا السكان والتنمية، القاهرة، 22-12-2004 ص1.

[36] سناء،الخولي، أزمة السكن ومشاكل الشباب، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002. ص 44.

[37] نفس المرجع، ص 44.

[38]علي،بوعناقة، "المدينة الجزائرية والألفية الثالثة"، مجلة التواصل للعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عنابة، جوان، 2000، ص 16.

ثانيا: الفضاء:

1-. الفضاء الرياضي:

تمثّل مقولة الفضاء محور اهتمام الرياضيات وعلمائها الذين يعتبرونها ميدانهم الخاصّ. ويعني الفضاء في مدلوله الرياضي ذلك " الوسط الفارغ " أو هو" ما لا تستطيع تحديده أي ما هو مرادف للاّنهائي[39].

تميّز وتصيغ الرياضيات تصنيفات دقيقة لفضاءاتها غير القابلة للحصر من الناحية العدديّة : مجرّدة ، لا إقليديّة ، ذات تقوّسات ، ذات أبعاد محدّدة ، غير محدودة الأبعاد . لكن من وجهة نظر لوفافر توجد مسافة فاصلة تتّجه نحو الاتساع بين لغة الرياضيات والواقع الماديّ والاجتماعيّ تتعمّق معها إشكاليّة غير جديدة على المعرفة تتمثّل في كيفية التحوّل من الفضاء بالمعنى الرياضي أي من القدرات الذهنيّة (المنطق) إلى الطبيعة ، في مرحلة أولى ثم الانتقال إلى الممارسة وإلى الحياة الاجتماعية التي هي ذاتها تكون داخل فضاء يستدعي فهمه معرفة بالفضاء تصنع القطيعة مع ما يسميّه لوفافر[40]بالخطاب حول الفضاء ويقصد به الدراسات الوصفية للفضاء التي لا ترتقي إلى المستوى التحليليّ وبدرجة أقلّ النظري أو تلك البحوث التجزيئيّة والتقسيميّة للفضاء.

[39] Merlin (P.), Choay (F.), op cit, p. 268

[40] Lefebvre (Henri.), op cit, p. 14

2- سيميائيّة الفضاء :

ينكشف الفضاء في مدلوله السيميائي كمنظومة علامات يقتضي فهمها لدى أوستكوفتسكي استدعاء مقولة الاستعمال أو الاستخدام الذي يقيمه الفاعل للفضاء الذي يحتلّه ويشغله . فمعنى الفضاء وهذا هو المهمّ يستدلّ عليه لدى فايري أيضا عبر ومن زاوية الممارسة الاجتماعية للفضاء لذلك فهو يدعو إلى مقاربة وتعقّل الفضاء المديني ضمن سيميائيّة متمفصلة في منظومة دلالة .

فالفضاء لا يعني البحث إذا لم يكن دالاّ من زاوية ممارسة اجتماعية وإن لم يكن دالاّ لشخص ما[41]. ولعلّ وجهة النظر المعيّنة التي يحب أن يتّجه التحليل السيميائي للفضاء إليها تلك التي يتحدّث عنها تابوراي كأمكنة مجرّدة أين يمكن لسيميائي أن يصف الأشياء الحقيقيّة لكن في علاقاتها ببعضها. هذه العلاقات وبالمثل دلالة الفضاء السيميائي هما معطيين للتحليل من زاوية الممارسات داخل الفضاءات أو الأمكنة . فلفضاء ما هنالك ممارسة اجتماعية.[42]

يقارب تابوراي الفضاء كمجال لسيناريوهات عديدة ولربط الصلة بينها أو بين عديد الأشياء . فهو يتناول مثلا موضوع المعمار لا على مستوى الفضاء الخاصّ أي المنزل نفسه بل على صعيد الحيّ أي أنّه يموضع هذا الشكل ضمن حقل مقارنة مع مثيلاتها أو الأشكال المغايرة أو المختلفة عنه من ناحية ويتناوله من ناحية أخرى خارج النموذج اللّغوي الوفيّ لألسنيّة دي سوسير ضمن العلاقة

[41] Ferrier (J. P.), Sémiotique De L'espace, paris Denoël gouthier, 1979, p. 200

[42] Ibid, p.213

الضرورية بالتواصل الحاصل بين محتلّي الفضاء المديني أو خلق فضاءات للتواصل[43].

يدفع ديلا هاوس التحليل أبعد ليقارب دلالة الفضاء التي تحتكم عليها وتحتكم إليها الذات المجتمعية بعبارتنا أو مستعمل الفضاء بعبارته عبر تأكيده على مفهوم" الصلة الاجتماعية " . الاّ انّ تعقّل هذه الصلة يتمّ في منظوره وجوبا في إطار خاصّ آلي وهو إطار التفاعل والتواصل أو التبادل الاجتماعي[44] للدلالات بين شاغلي الفضاء موضوع التحليل. فكل شيء يتكيّف مع تصرّفنا فيه: مع توظيفنا أي استعمالنا له الذي يضفي عليه دلالته. فالفضاء أيّ فضاء لا يحتمل اعتباره مشهدا وبالمثل لغة ولا يشتغل كنظام أو مدوّنة رمزية يستدعي تأويله استيعاب هذه الشفرة . وهو ما يخرج في نظرنا ، سيميائية الفضاء من سجنها السيسوري الألسني الذي تنخرط فيه معظم المقاربات السيميائية لموضوع الفضاء ويضفي عليها بعدا سوسيولوجيّا فهذه المقاربة لا تقصي الفاعل عن موضوع فعله ولا تموقع موضوع الفعل خارج فاعله أي خارج الاستعمال الذي يمثّل، في منظورنا ، وحدة التحليل الأساسية والضرورية لفهم الفضاءات المدينية ومشكلة التغيّر والمقاومة والرفض وكلّ المشكلات المدينية المطروحة على مدن اليوم [45] التي تشهد تداخل أو حضور التقليدي ضمن الحديث والحديث ضمن التقليديّ. ينخرط ضمن هذا التوجّه ودفعا له وفي استدعاء ضروريّ لمقولة الاستعمال التي تعطي لحضور البعد الرمزي للفضاء وبالتالي المخيال والذاكرة

[43] Ibid, p. 193

[44]Ibid, p. 193

[45] Ledrut (R.), Sociologie Urbaine, paris puf, 1968, p. 55

الجماعية شرعيّة لا تتأكّد إلاّ مع استدعاء أو موضعة ضروريّة للتحليل ضمن سوسيولوجيا المعيش اليومي.

لا تتمظهر هذه الممارسة الاجتماعية التي هي مرجع التحليل السيميائي للفضاء لدى ديلاهاوس و تابوراي وغيرهما إلاّ عبر إيديولوجيا معطاة لدى فايري. فالممارسة الاجتماعية بهذا المعنى لا تتمظهر إلاّ عبر منظومة تمثّل أي منظومة معنى. من هذا المنطلق تصبح وجهة التحليل السيميائي لدراسة الفضاء لا عبر هذه الممارسات التي تتمّ داخل الفضاء بل أساسا عبر التمثّلات والمعاش الفضائي. معنى ذلك أنّ دلالة علامات الفضاء لا تتأتّى في منظوره من استعمال الفاعلين الاجتماعيين للفضاءات التي يشغلونها ويتحرّكون ويتصرّفون ضمنها ومعها وعبرها داخل المدينة وبالتالي مع ذواتهم والآخرين في منظورنا ولا تتأتّى أيضا من المعنى اللّفظي بل هي بالأساس تعبيريّة .

فالفضاء في المفهوم السيميائي الطوبولوجي لا يدلّ على نفسه بل على غيره ، على شيء آخر عداه أي الإنسان الذي يشغله. معنى ذلك أنّ الفضاء كشكل هو لغة تحيل الباحث إلى ما هو غير فضائي مثل اللّغات الطبيعيّة. من هنا يصبح التحليل هو عمليّة وصف وإنتاج وتأويل لهذه اللّغات الفضائيّة . وتقتضي كلّ دراسة طوبولوجيّة انتقاء قبل أيّ شيء نقطة الملاحظة . وتعتمد هذه الخطوة على عمليّة تمييز أو تفريق ضروريّة بين بعدين : مجال التعبير ومجال المعبّر عنه أي بعبارة أوضح بين دالّ ومدلول. وتتمثّل المرحلة الموالية في التحديد الدقيق لنماذج أو كيفيات توافق هذين البعدين . على أنّ اللّغة الفضائيّة تعني لدى قرايما

أو التحليل السيميائي الطوبولوجي ، أي الفضاء ، لغة يدلّ بها المجتمع عن نفسه لنفسه .

تقارب ، إذا السيميائية ، الفضاء كمنظومة علامات في استناد واضح إلى مقولة الإستعمال أي الاستخدام الذي يقيمه الفاعلين لفضاءاتهم كما لدى أوستكوفتسكي، أو في علاقة بمقولة التواصل بين شاغلي الفضاء المديني لدى تابوراي. وتتناول السيميائية أيضا دلالة الفضاء من زاوية الممارسة الاجتماعية كما في علاقة بالصلة الاجتماعية ضمن إطار التفاعل والتواصل أو التبادل الاجتماعي كما في إتّجاه ديلا هاوس. يتناول التحليل أيضا الفضاء عبر منظومة تمثّلات حسب فايري الذي يعتبر دلالة الفضاء لا تتأتّى من الإستعمال بل من قوتّه التعبيريّة معنى ذلك أنّ التحليل السيميائي يدفع نحو الاتّجاه أساسا إلى التمثّلات والمعاني . ويحدّد فايري ثلاثة كيفيات لتعريف معنى الفضائي : عبر وظيفة الاستعمال أو عبر المعنى اللّفظي أي الدلالة التي تعطيها لعلامات معيّنة لها وجه دالّ معيّن أو عبر القوّة التعبيريّة للفضاء .إلاّ أنّ ما لم نفهمه في النظرية الفايرية حول الفضاء هو كيفية ربطه دلالة الفضاء، من ناحية بالممارسة الاجتماعية للفضاء . واعتبار أنّ هذه الأخيرة تتمظهر عبر منظومة تمثّل أي منظومة معنى ورفضه فهم الفضاء عبر الإستعمال من ناحية أخرى. يبدو هذا غريبا إلاّ إذا كان فايري يقصد بالاستعمال لا استعمال الفاعلين للفضاء الذي يحتلّونه والذي عبره يقرأ الفضاء. فعبر هذا الإستعمال يتحدّد وينكشف معنى الفضاء وتمثّل الفاعل له . فالتمثّل والاستعمال لا يتموقعان في اتّجاهين لا يمكن لهما الالتقاء بل يتلازمان ويحيلان إلى بعضهما اعتبارا لأنّ الممارسة الفضائية

هي جانب من الجوانب التي تشكّل تمثّل الفاعل لفضائه الذي يتعاطاه بعقله ووجدانه وواقعيته وأحلامه وخياله وبذاكرته الجماعية التي تشدّه عبر الفضاء للجماعة وتدلّه عليها عبر الفضاء الجماعي . ونقصد بالفضاء الجماعي لا المشترك بالتحيّز بل بالتصوّر والممارسة والاستعمال .

2- **تمثّلات الفضاء** :

استطاع جون بايلهوس في دراسته لسلوك سائق سيارة الأجرة داخل الفضاء المديني وتمثّله للفضاء الذي يتحرّك ضمنه أي فضاء عمله ، استخلاص وجود وسيط بين الإنسان والأشياء التي يتصرّف تجاهها وهو الرمز. معنى ذلك أنّ تعقّل سلوك الفرد يقتضي حضور مقولة التمثّل في التحليل السوسيولوجي . فتمثّل سائق سيارة الأجرة للفضاء المديني متأتي في ذات الوقت من التجربة الفضائية الشخصية التي هي نتاج الممارسة المهنية ومن خريطة المدينة أي معرفة معطاة أو مملاة. إلاّ أنّ سائق سيارة الأجرة يتراوح فعله بين المملى والشخصي. ويؤثّر ذلك على تمثّله للفضاء وبالتالي تعاطيه له . فاستعمال الفضاء إذا هو الذي يعطي مدلولا له[46]. وتتشكّل صورة الفضاء التي منها يتقرّر السلوك الفضائي للمدينيين ،عبر التجربة أي عبر الممارسات الاجتماعية والاستعمال اليومي للفضاء المديني لدى كابال أيضا. تمتلك هذه الصورة حال تشكّلها ، لدى كابال نوعا من الاستقلالية عن التغيّر الذي يحصل في الفضاء الحضري . فتغيّر صورة الفضاء لا يخضع، إذا لآليّة تحديديّة تجعل التغيّر الحاصل ضمنها نتيجة تباعيّة وآليّة لتغيّر الفضاء المديني فهو في الواقع يخضع لعوامل أخرى وبالتالي استدعاء

[46]Bouchrara Zanned(T.), La Ville Mémoire , paris méridiens klinck sieck,1994, p. 120

أبعاد عديدة لتعقّل طبيعة العلاقة بين الفضاء وتمثّله.

يرتبط تشكّل صورة الفضاء لدى الفرد بما يسميّه هورنون و رينولد بفضاء النشاط أي بالمعرفة المباشرة والشخصية في ارتباط بأنشطته اليومية من هنا تتغاير صورة أو تمثّل الأفراد والجماعات للفضاء المديني الواحد ،من هنا أيضا تتّضح أهميّة توجيهنا ضمن الاستجواب لسؤال حول الأماكن والفضاءات التي يقصدها الفاعل يوميّا. فحصر مجال تحرّكه هو حصر لحدود خارطته الذهنيّة أو جغرافيته الذاتية للمدينة بعبارة كابال أي رؤيته الشخصية للفضاء الذي يحيط به، هذه الجغرافية التي لا تتوافق مع الوسط الجغرافي الفعلي دائما،فبروكوب مثلا يعتبر في هذا السياق أنّ الفضاء" يتّجه إلى وضع حدّ له أين تنتهي التفاعلات الاجتماعية لفرد أو جماعة" [47] .

إذا واستنادا لبالهوس و زنّاد و كابال و بروكوب،فإنّ فضاء الفرد هو فضاء الإستعمال وفضاء التفاعل وهو فضاء داخل الفضاء ولا يمكن تناوله إلاّ عبر قراءة في جغرافية تفاعلات فرد أو جماعة واستعمال فرد أو جماعة للفضاء المحتلّ أي بعبارة أدقّ تمثّل الفضاء الذي يستند إلى لعبة استعمال الفضاء" لعبة حيازة واستعمال الفضاء" يعتبر لوفافر من ناحيته أنّ الممارسة الفضائية لمجتمع ما تفرز فضائه. فهي تطرحه وتقترحه في تفاعل جدليّ: تنتجه ببطيء وثبات في الوقت الذي تسيطر عليه وتتملّكه[48]. ويتطلّب فهم الممارسة الفضائيّة لمجتمع ما فكّ رموز فضائه / فضاء التمثّل أي المعاش عبر الصور والرموز. هذا الفضاء

[47] Horacio (Capel.) , L'image De La Ville Et Le Comportement Spatial Des Citadins , Dans Per , L'espace géographique N° 1 / 1975 , Jan – Mars , p. 77

[48]Lefebvre (Henri.), La production De L'espace, éd anthropos, 1974, p. 48.

لديه "يقنّع الفضاء الماديّ بإستعمال أشيائه رمزيّا " يتماثل ضمن الفضاء المتصوّر أي تمثّل الفضاءالمعاش الفضائي والمدرك بالمتصوّر[49].ويتناول لوفافر الفضاء الاجتماعي ضمن مثلّث المعاش أي فضاءات التمثّل والفضاء المدرك أي ممارسة الفضاء والمتصوّر أي تمثّل الفضاء مثلما نجد أنّ تناوله للممارسة الفضائية يقاربها في علاقة مباشرة بإنتاج الفضاء. فالناسّ ينتجون حياتهم وتاريخهم ووعيهم بعالمهم عبر وداخل فضائهم الذي هو في فكره مادّة ولكنّه أيضا أداة للتفكير مثلما للفعل ووسيلة للإنتاج والمراقبة وبالتالي الهيمنة والنفوذ. هذا الفضاء هو مندمج وملك لجماعة معيّنة تبعا لمتطلباتها وأيضا " أخلاقيتها وجاليتها أي إيديولوجيتها [50] .

اذا الفضاء واحد لكنّ المتعدّد هو التمثّل وهو التصوّر الفردي أو الجماعي لنفس الفضاء الذي يتحرّك ضمنه لا فحسب ماديّا ولكن بالأساس رمزيّاّ هذا ما يمثّل نقطة التقاء بين عديد الاتجاهات النظرية والمنهجية المتضاربة والمختلفة. إلاّ أنّ بؤرة الاختلاف هي وحدة البحث في موضوع الفضاء والتناول المنهجي الأمثل له.

3 . **مفهوم الفاعل المديني** :

إنّ الفعل في الفضاء المديني وفي السيرورة الحضرية يتّسع ليشمل من يسميهم لادروت بالأعوان المدينيين الخواصّ وهم مجموعة متشكّلة من الباعثين المحلّيين الذين يحتكمون هم أيضا على سلطة. وتمارس مؤسّساتهم تأثيرات متعدّدة على

[49] Ibid, p 4

[50] Ibid, p 4

المدينة تتجاوز المستوى أو الفعل الاقتصادي. فللأعوان الحضريين الخواص تأثير على ترتيب الفضاء الحضري وحتّى النمو الديموغرافي بفعل المبادرات التي يتّخذونها وتنعكس آثارها على المحيط المديني . يلعب " التجّار والحرفيين ورؤساء المؤسّسات والباعثين العقاريين دورا هامّا في نمذجة المدينة على الأقلّ في جزء منها " .إلاّ أنّه لم يوضّح : هل في جزء من المدينة أو في جزء من فعل التشكيل أو النمذجة . يصبح الأعوان الحضريين الخواص إذا أخذنا بالمعنى أو التأويل الثاني طرفا من بين الأطراف. يتعيّن على لادروت تبيان جانب الإسهام وأهمّيته في عملية تشكيل أو نمذجة الفضاء المديني. وهو ما استدركه الباحث وإن ليس بالدقّة المطلوبة حين دفع بتحليله إلى مستوى تأطير فعلهم في المدينة ضمن إطار المراقبة الاجتماعية للتحضّر. فقراراتهم وسلوكاتهم تتّخذ لديه اتّجاها أو نزعة جمعيّة . ويختلف مستوى اندماج سلوكهم حسب"حدّة وطبيعة المراقبة الاجتماعية الحضرية"[51].ومّما يضعف، في نظرنا،الأهميّة التي يسندها لادروت اعتباطيّا للأعوان الحضريين في نمذجة المدينة هو إخضاعه فعلهم لتبعيّة مزدوجة. فمن ناحية يتحدّد حجم تأثيرهم على الفضاء المديني وتكييفه للمراقبة الاجتماعية الحضرية ومن ناحية أخرى بالإجماع المديني أي الأهداف الأساسيّة محلّ اتّفاق وإجماع متساكني المدينة التي تحدّد "انسجاما ما في استعمال الفضاء أي نظام فضائي معيّن".

فتواصل الذات مع الفضاء الذي تحيى ضمنه وتتفاعل معه وفي إطاره مع وعبر كلّ ذاكرتها الفردية والجماعية هو تواصل مع الماضي واستدعاء له في

[51] Ledrut (Raymond.), Sociologie Urbaine, paris puf, 1968, p. 21

الحاضر المعاش ، ينعكس في اليومي أي الإستعمال المطّرد للفضاء. فعبر الإستعمال أي عبر الممارسة الفضائية الرمزية بالأساس يتحدّد معنى ووظيفيّة الفضاء الفعليّة لدى شاغله. إنّ من يسمّيهم لادروت بالمتساكنين يلعبون دورا في سيرورة التغيّر الذي هو فضائيّ عبر إخضاعهم للفضاء الخاصّ مثلما المديني لتمثّلاتهم الفضائيّة باعتبار أن الحياة اليومية تمثّل[52] بالأساس، ولأهدافهم الفردية أو الجماعية. يكيّف الفرد الفضاء الخاصّ وظيفيّا ومعماريّا وجماليّا وسلوكيّا لذاكرته ولتقديم صورة عن نفسه للآخر المديني لا تكون مطابقة له دائما وإنما تستجيب لتصوّره للآخر وما ينتظره منه وللفضاء المحيط به.

4 . الذاكرة الجماعية والسلوك الفضائي:

إنّ النّاس"لا يحيون كأموات" ضمن الفضاء الذي يشغلونه جسدا وذهنا ولكن أيضا عبر ذاكرة جماعية. توصل الذاكرة الفاعل بالذي كان في الفضاء ذاته أو في الفضاءات المرجع. فالنّاس لا ينقطعون عن ماضيهم أي ذاكرتهم عند التحوّل من فضاء إلى آخر مغاير ضمن المدينة أو من فضاء ريفيّ أو تخوميّ إلى مدينيّ أي من تمثّل وتصوّر للفضاء ونمط عيش إلى آخر ومن يومي إلى آخر. فالفرد مثلما الجماعة يتحوّل ويتحوّل معه كل موروثه الثقافي وكلّ ثقافته المعيشيّة وكلّ تصوّراته وأوهامه وأساطيره ومخياله وتمثّلاته وتطلعاته التي تلتصق بالفضاء المشغول وتشكّله. المخزون الذي يشكّل ويكوّن الذاكرة ويتجسّد رمزيّا، يصبغ الفضاء الذي يشغله الفاعلين. ثمّ إنّ الاجتماعي مثلما الفضائي يرتبطان بقانون مورفولوجي حراكي. فإعادة بناء أنماط التبادل الرمزي الاجتماعي يحوّل

[52] Herpin (N.), Les Sociologues Américains Et Le Siècle, paris puf, 1973, p. 70.

مجال الذاكرة "إلى مسرح معرفة موضوعيّة"[53]. تشكّل هذه الذاكرة، لدى جودي، كليّة يستنفذ ضمنها الاجتماعي في منظومات علامات ثقافيّة. يمكن للذاكرة،إذا،مثلما الرمزية الاجتماعية أن تكتسح كلّ الحياة القائمة التي تلعب ضمنها الأشياء والصور والحكايات ، لديه ، دور شواهد على الذاكرة أو الاستفزاز أي استحضار الذكريات لدى هالبوشز. ألاّ أنّ الذاكرة، في تصوّرنا لا تتعقّل كنوع " من تكتيل للذكريات" [54] كما لدى جودي بل أنّ الذكريات المتعلّقة بالماضي الفضائي تحمل معها شحنة ثقافيّة رمزيّة بمعنى أنّها تصطحب وتخزن معها في ذاكرة الفرد مثلما الجماعة تصوّرات ومفاهيم وصور وقيم الذي كان ومازال يحيا مع الفرد قناعيّا وبالتالي رمزيّا ، في توحّد مع ما تحتفظ به ذاكرته من أشياء وعلامات وذكريات الذي كان في الفضاء ذاته أو الفضاء الأصل. وهو ما يفسّر اعتبار كابال أنّ "التحوّلات الهامّة للفضاء الحضري . ظهور أحياء جديدة أو اكتساب وظائف جديدة . تتأخّر كثيرا لتندمج في تصوّرات المواطنين" [55] حول هذا الفضاء. ينفي هذا الفاصل الزمني بين التغيّر في الفضاء المديني والتغيّر في صورة الفضاء لدى شاغله، العلاقة الماديّة والمباشرة بين الفضاء وشاغله. فالفضاء هو علاقة أو نتاج علاقة تواصليّة وعلاقة استعمال يتخلّلها كلّ المخزون الثقافي والرمزي أي الذاكرة. وتحدّد هذه العلاقة وظيفيّة هذا الفضاء في التصوّر والممارسة اليومية للفاعلين. فالفضاء المعاش هو نتاج العلاقة بين الفضاء المدرك والفضاء المتصوّر. [56]

---

[53] Jeudy (H. P.) , Mémoires Du Social , paris puf , 1986 , p. 9

[54] Ibid , P. 35

[55] comportement spatial des citadins, Par, Horacio Capel. nº 1975, Jan – mars, p. 76.

[56] Lefebvre (Henri.), La Production De L'espace, éd Anthropos, 1974, P. 44.

لا تختزن ذاكرة جماعة ، الظواهر فحسب بل كيفيات عيش وتفكير الذي كان.والذاكرة الجماعية،في نظرية هالبوشز ، تنشط عبر الإثارة التي يصنعها حضور شخصيات نصبيّة أو متخفّية حيّة شاهدة على الماضي.وتترسّخ عبر هذه الشخصيات الشاهدة والواصلة بين الماضي والحاضر أي بين ماضي هذه الشخصيات النصبيّة: كالجدّ والأب والأشياء الدّالة عليه،وحاضرنا.لكنّ الشاهد الأوّل المعطى والممكن لنا استدعائه في كلّ آن ومكان من الفضاء الذي نتحرّك ضمنه هو" نحن " أنفسنا. فنحن ، حسب هالبوشز، "نحمل معنا وفينا كمّية من الأشخاص الذين لا يتداخلون فيما بينهم" [57]

يتموقع هذا "النحن" وينتشر فضائيّا وبالتالي يستمدّ وجوده مثل جوهره من الفضاء الذي يشغله، إلاّ أنّ ذلك لا ينطبق كليّا بهذا المعنى إلاّ على من يمثّل الفضاء الذي يشغله فضاء المرجع في الآن نفسه. ذلك أنّ "النحن" يتشكّل انطلاقا من الطفولة وطوال التواجد والتفاعل ضمن الفضاء وحين ينتقل إلى فضاء مهما كان مدى تماثله أو تباينه مع الأصل، لا يتكيّف مع الفضاء الجديد بل العكس ما يحدث . فنحن نسقط ذواتنا على الفضاء أو نجسّدها فضائيّا وانطلاقا منه، أي أن الفاعل يخلق بشكل واعي أو لاواعي تناغم وانسجاميّة بين "الهابيتوس" الفردي والجماعي وفضاء التكيّف أو فضاء التفاعل والتواصل مع الذات ومع الذاكرة (المنزل بالذّات) وع الآخرين (المدينة أو الفضاء العام أو المشترك). تقدّم الذاكرة الجماعية للجماعة الإجتماعية التي تقترن بها ، لدى هالبوشز، رسما عنها يتمظهر في الزمن،على اعتبار أنّه يحيل هذه الجماعة إلى ماضيها أو يوصلها به بشكل

[57] Halbwachs (M.), La Mémoire Collective, paris puf, 1950, p.

يسمح لها بالتعرّف على ذاتها ضمن تعاقب الصور التي تشكّل ، لدى جودي ، وسيلة جوهرية " لتوظيف الذاكرة وشواهد على الذاكرة الجماعية " .[58]

يعتبر، هالبوشز ، أن عملية إعادة تركيب صورة حدث ماض تظلّ مبتورة وتسمح بإستحضار ذكرى ما ، بل من الضروري أن تقترن هذه العملية بمعطيات أو مفاهيم معيّنة ، موضوع اشتراك ، يتضمنها ذهننا مثلما أذهان الآخرين عناصر الجماعة الإجتماعية الواحدة . فالفرد يلتجأ للذاكرة أي لماض جماعي ينخرط في حاضره الفردي والجمعي ليجيب على أسئلة، إمّا أن الآخرين يطرحونها عليه فعلا أو انه يفترض أو يتوقع صدورها عنهم أو احتكامهم عليها.

لا تختزن الذاكرة الجماعية ، فحسب ، ماضي الجماعة بل تعيد تركيبه ، بل ابعد من ذلك فهي تعيد عيشه أي تحوّل التاريخ الشخصي مثلما الجمعي إلى تاريخ حي معاش في الحاضر عبر أشيائه وفضاءاته وعبر استعمال الفضاء الخاص والتفاعل معه مثلما عبر الحومة والحي والجيرة والمدينة والأصدقاء والفضاءات المشتركة أو المعطاة للمعية الإجتماعية. إلا أنّ هذا الماضي مثلما الذكريات التي تحتفظ الذاكرة منه، ‘‘لا يكف عن تقديم وسائل ضرورية لإعادة إنتاجها" .[59] فالمجتمع، يقول هالبوشز ، يتضمّن بصفة مستمرة في تفكيره الأطر الإجتماعية لذاكرته التي تستحيل كل ظاهرة أو شخصية تنفذ إليها ، مقولة ومعلومة ورمز وبالتالي تتخذ معنى ضمنها. وهو يميز بين الذاكرة الجماعية والتاريخ الذي لا يمكن أن يمثّل كل الماضي بل، في الواقع، بعض منه. غير انه يوجد ، إلى جانب هذا التاريخ المدوّن للجماعة ، تاريخ يتجدّد بإستمرار بشكل يسمح له بالدوام

[58] Jeudy (H. P.), op cit, p. 64

[59] Halbwachs (M.) , les cadres sociaux de La Mémoire , paris puf , 1952 , p. VI

خارج هذه الجماعة الإجتماعية . تتقيّد ديمومة الذاكرة بشرط ديمومة الجماعة نفسها آو تواصل شواهد نصبية تحيل إليها وتستفزّ فعل التذكّر وحضور الماضي ضمن المعاش اليومي وبالأخص، في نظرنا،في حركة الجسد الرمزية ضمن الفضاء أفقيا وعموديا

6 – الرمزية الإجتماعية :

تتجسّد إحدى خصائص الظاهرة الإجتماعية في تمظهرها الرمزية. ويعتبر دوركايم ذاته أنّ " المجتمع هو ذو جوهر رمزي". فالفعل الإجتماعي "يسبح كليا وبصفة دائمة ضمن الرمزية ". يستدعى الرمز أو البعد الرمزي لظاهرة الإجتماعية لتعيين المظاهر الأكثر تعدّدا للحياة الإجتماعية نفسها. ثم إن اغلب التمظهرات الإجتماعية، لدى غورفيتش، كالطقوس والعادات والممارسات وحتى التمثّلات الجماعية والحالات الذهنية الأخرى تتعلق هي أيضا بالرمزية أو تفرض على الفهم استدعاء المعطى الرمزي. إلاّ أنّ الحقل الرمزي هو بالأساس غامض ولهذا السبب ذاته هو بالأساس اجتماعي وإنساني [60]. وتشكّل الرموز والعلامات المشتركة ، لدى مارسال موس، الواسطة الضرورية لتقارب وتواصل الناس داخل مجتمع ما والوسيلة اليتيمة، لدى دوركايم، لإنتشار الوعي والتواصل فيما بين متعدد وعي الأفراد.

يبدو المجال الرمزي كمعطى يسجل حضوره في كل تناول للحياة الإجتماعية،إلا أن الأكيد والمعلوم هو تباين المقاربات السوسيولوجية في الخاصيات التي تسندها للرمزية الإجتماعية مثلما من زاوية تصورها لإشتغالها ووظائفها ونماذج تأثيرها

[60] Gurvitch (Georges.), La vocation actuelle de la sociologie, paris PUF, 1957, T1, p. 93

على الحياة الإجتماعية، حيث يكشف علم الاجتماع الفرنسي الكلاسيكي عن ثلاثة أطروحات حول الرمزية الإجتماعية, تشكل الرمزية الإجتماعية ضمن الأطروحة الأولى نظام ظواهر يحصل تناولها موضوعيا في معنى كونها تؤسس وحدة أو رابطة فعلية بين أعضاء المجتمع أو الجماعات .وليس بالإمكان ، ضمن الأطروحة الثانية أن يتشكّل ويستمر أي مجتمع إلاّ عبر تشكّله هو ذاته كرابطة رمزية .

تقرن، الأطروحة الثالثة في السوسيولوجيا الفرنسية الكلاسيكية ، بين الرمزية الإجتماعية وعملية التواصل أي أنّها تسند للرمزية وظيفة تواصلية وبالتالي فهي تختلف حسب شكل ومضمون عملية التواصل نفسها . ويستدعى، ضمن هذه الأطروحة، ضرورة : هربارت ميد الذي يعتبر أنّ الرموز" تشكل الأسس الوحيدة الممكنة للمجتمع " [61].

تتغاير الرموز الإجتماعية حسب تباين الأطر الإجتماعية أي حسب نمط المجتمع أو التجمّعات الخصوصية مثلما أنماط البنى الإجتماعية : جزئية كانت أم كلية . ولا تتباين الرموز بإعتبارها وسائط بالنظر للأطر والبنى الإجتماعية فحسب بل أيضا حسب الحالات الإجتماعية الخصوصية . فهي تختلف عن الأزمنة الهادئة عنها في الأزمنة المضطربة والحالات أو الظروف الدافعة أو على العكس الرافضة للتغيير. وتعترض الرموز وضعيات وحواجز تتجّه إلى تجاوزها والتحكّم فيها . من هنا أيضا يبدو مستوى إضافيا لتغيّر الرموز حسب هذه الحواجز

[61] Gurvitch (Georges.), Op cit, p .26

وهذه الوضعيات . إلا أنّ الرموز الإجتماعية تتغاير تباعا لتبدّل العلاقات القائمة بين الرموز والمرمّز إليه تبعا لمعطيات عديدة أخرى.

6-1-أصناف الرمزية:

يصنّف جورج غورفيتش الرمزية إلى صنفين:

يتعلّق الصنف الأوّل من الرموز بالحقل الوجداني: لا تقترن هذه الرموز، بالضرورة، بالخيال الذي يلحق عادة بالعاطفة مثلما ينعكس ذلك في التمييز بين الفعل المنطقي وغير المنطقي.

أمّا الصنف الثاني من الرموز فتغلب ضمنها خاصية النشاط والإرادة وهو ما يشكّل تميّزها ويسند لها وظيفة علامات ، تحفيز ، دفع ، قيادة ، الخ . وإذا نظرنا إلى التمثّلات سواء الفردية منها أو الجماعية، فإنّ الرموز الإجتماعية المتعلّقة بها تغلب عليها الصفة الذهنية.

7-الهوية كمفهوم اجتماعي:

ربما يعود الفضل لعلماء الأنثروبولوجيا في بيان أن بعض سمات الهوية لا تصبح ذات قيمة إلا في سياق محدد أو تحت ظرف خاص تأخذ فيه معناها الكامل، حين تندرج ضمن علاقة اجتماعية أو "تفاوض اجتماعي" تتخذ فيه هذه

السمات تارة كتعبيرات رمزية أو حجج استدلالية، وتارة أخرى كعلامات لرسم الحدود والفوارق لتبرير الانتماء أو الاستبعاد[62].

وسمات الهوية هي بطبيعتها متناقضة بمعنى أنه إذا كان لدى فرد مّا سمة معينة، فسنجد دائما فردا آخر لا يملك هذه السمة، أو على الأقل ستكون موجودة عنده ولكن بدرجة متفاوتة. فالهوية لا تأخذ معناها إلا من خلال الحياة الاجتماعية، وامتلاكُ سمة من السمات المميزة يفترض وجود علاقة (يمكن مشاهدتها أو تخيلها) مع من يحملون نفس هذه السمة. كما يفترض أيضا تولد شعور بالانتماء أو التقارب (وفي نفس الوقت شعورا مضادا بالابتعاد والتنافر) على جهتي خط حدودي متحرك يتم رسمه حسب الظروف. وقد يتمثل الشعور المتولد في صورة إحساس بالتضامن أو بوجود مصلحة مشتركة، أو شعور بالرضى تجاه من يحملون نفس السمات.

بعبارة أخرى، يمكن القول: إن سمة من السمات تصبح قوية حين يتم الالتزام بها واستحضارها باستمرار، وضعيفة حين تتقلص لتصبح مجرد "فكرة"، كأن تصبح مناصرة نادي كرة القدم المحلي، لدى بعض الشباب، سمة قوية من سمات الهوية حين يتولد عنها شعور بالانتماء والتضامن يرسم حدودا وفوارق، وتتقلص في حضوره رابطة "المواطنة" لتصبح مجرد فكرة. أو كأن يشعر بعض التلاميذ

[62] F.-P. Gingras. Quelques identités qui comptent : la hiérarchie des traits identitaires chez des lycéens de Provence et ailleurs. La revue plurielle de science politique, vol.2: http://www.la-science-politique.com/revue/revue2/papier7/gingras.pdf

بالانتماء إلى مدرستهم الإعدادية (نتيجة إحساس بالرضى) بدرجة أقوى من انتمائهم إلى الأسرة أو إلى الطبقة الاجتماعية (نتيجة إحساس بعدم الرضى).

9- الهوية متعددة الأبعاد:

لكل فردٍ هويةً تتكون من سمات متعددة. ونضيف هنا القول بأن لكل فرد أيضا "مشاعر انتماء" مختلفة: تجاه أسرته، ودائرة أصدقائه، وقبيلته، وقوميته، ومكان ولادته، ومكان إقامته، ودينه، والمؤسسة التعليمية التي درس بها أو يدرس بها، والشركة التي يعمل بها، إلى غير ذلك.

ولكن ماذا نعرف تحديدا عن العلاقات والتفاعلات بين مختلف السمات المميزة للهوية ومشاعر الانتماء؟

شكلت دراسة الهوية الذاتية للفرد، من خلال قياس بعض سمات الهوية كالجنس والشريحة العمرية والعرق والوظيفة، محور البحوث الاجتماعية لعدة عقود. وقد أدت هذه البحوث المعمقة في تخصصات مختلفة لظهور عدد من القواعد التوصيفية والتحليلية. فموضوع الانتماء القومي والانتماء العرقي، مثلا، خضع للبحث من خلال دراسة المتغيرات النفسية من قبل علماء النفس، ومن خلال المتغيرات السياسية من قبل علماء السياسة، ومن خلال المتغيرات الاقتصادية من قبل علماء الاقتصاد.

من جهة أخرى، تنزع أغلب الدراسات حول الهوية نحو الاهتمام بسمة واحدة من سمات الهوية (كالجنس، أو العرق، أو اللغة، أو الدين، إلخ)، واعتبار السمات

مستقلة بعضها عن بعض، ثم محاولة دراسة تلك السمة في الجماعات أو المؤسسات الاجتماعية، ومن خلال سياقات اجتماعية مختلفة.

في مقابل ذلك، يلاحظ قلة الدراسات التي اهتمت بتحليل العلاقات والتفاعلات المحتملة بين مختلف السمات. وحتى سنوات قليلة ماضية، لم تكن التقاطعات المحتملة بين سمات الهوية محل بحث معمق في الدراسات الاجتماعية .[63] فنحن نعرف، مثلا، أن الانتماء لمجموعة أو شريحة مّا ينجر عنه بعض الفوائد والسلبيات الهامة، سواء كان ذلك على المستوى الملموس والظاهر، أو على المستوى النفسي غير المرئي. ولكن هل يوجد فرق في قيمة الانتماء إلى نفس الشريحة العمرية، والانتماء إلى نفس الطبقة الاجتماعية؟ هل يشعر الفرد بالتضامن مع أهل بلدته الأصلية أكثر، أو مع الأشخاص من نفس جنسه؟ وهل يتضامن الشاب أكثر مع قرينه في العمر أو مع أقاربه؟...

فمما لا شك فيه أن بإمكان أي سمة من سمات الهوية أن تؤثر لوحدها في حياة الفرد، في أي وقت ما، غير أننا قد نحتاج أيضا لمزيد الاهتمام بتفاعل السمات في ما بينها في سياق اجتماعي أو ثقافي محدد، بالرغم من أننا لا نملك في الوقت الراهن سوى القليل من المعلومات عن تأثير هذه التقاطعات وآثارها على الأفراد والجماعات.

10- الهوية الذاتية، والهوية الاجتماعية المسندة:

[63] Barot, R., H. Bradley and S. Fenton (eds) Ethnicity, Gender and Social Change, London, Macmillan, in Frideres, J.S. Les immigrants, l'intégration et l'intersection des identities p.27

يميز الباحثون الاجتماعيون في دراستهم لظاهرة الهوية بين "الهوية الذاتية" و"الهوية الاجتماعية" أو "المُسْنَدَة"[64]:

ويقصد بالهوية "الذاتية" ما يحمله الفرد من تصور عن ذاته، أي كيف يرى نفسه، وكيف يعرّفها. وهي هوية غير مستقرة، وإنما تتغير وتتطور عبر مراحل مختلفة من النمو المعرفي المتأثرة بعاملين: عامل النضج الذاتي، وعامل البيئة الاجتماعية. وتتولد من خلال هذه التراكمات ما يسمّى: "الشخصية"، وهي عنصر من عناصر الهوية تتيح للفرد أن يتموقع في الإطار الاجتماعي. والشخصية تمثل جوهر الهوية التي تنشأ على أساسها مختلف الأبعاد الذاتية للفرد: كالثقة بالنفس والصورة الذاتية، على سبيل المثال.

ويمثل تطوير هوية محددة لفرد ما عملية ذاتية داخلية تسمح له بنحت مكان خاص في العالم. فالهوية الذاتية هي تلك التي يتخذها الفرد لنفسه ويسعى لبنائها، منذ مرحلة الطفولة وحتى مرحلة الكهولة. وتتأثر هذه العملية بالسياق الاجتماعي.

وأما "الهوية الاجتماعية" أو "الهوية المسندة" فهي الهوية التي يبنيها الآخرون للفرد، من خلال ما يضفون على شخصيته من خصائص وسمات وملاحظات.

فبمرور الزمن، يكتسب الفرد مكانة ودورا في الفضاء الاجتماعي. ومن خلال التواصل مع محيطه تتولد لدى الآخرين انطباعاتٌ عن الفرد وشخصيته، تتحول محصلتها تدريجيا إلى تكوين "هوية اجتماعية" ناتجة عن علاقات التأثر والتأثير

64 Rummens, J. "Canadian Identities: An Interdisciplinary Overview of Canadian Research on Identity", paper presented to Canadian Heritage (Multiculturalism), Ottawa. 2000

وعن جملة التعريفات الاجتماعية التي يلصقها الآخرون بالفرد. وبما أن انطباع الآخرين عن فرد ما قد يختلف من شخص لآخر ومن جماعة لأخرى، فيمكن الحديث عن وجود "هويات اجتماعية متعددة لنفس الفرد". وبعض هذه الهويات لا تعبّر بالضرورة عن عنصر قار ومميز لدى الفرد، بل يحصل في بعض الأحيان أن تسند للفرد هويات وأوصاف قد لا تنطبق عليه جزئيا أو كليا، وذلك بهدف تشويه صورته لدى الآخرين.

إذن، يمثل المحيط الاجتماعي والأحداث الاجتماعية التي يعيشها الفرد عاملا هاما في بناء هويته الذاتية وهويته الاجتماعية. ويبين "الرسم 1" العلاقة بين هذين الجانبين من هوية الفرد، وأن طبيعة التغييرات التي تحصل على هوية الفرد ودرجة أهميتها تختلف من شخص لآخر، ومن سياق اجتماعي لآخر [65]

[65] Frideres, J.S. "Immigrants, Integration and the Intersection of Identities". Seminar on "Intersections of Diversity", Metropolis Canada, Niagara Falls, Ontario, 2003

11- هوية الفرد تتكيف مع تأثيرات محيطه الاجتماعي:

تتكيف هوية الفرد مع تأثيرات محيطه الاجتماعي إما بشكل واع أو بشكل تراكمي غير واع، من خلال التجارب.

ولنأخذ مثلا على ذلك.. فالهوية العرقية واللغوية لفرد تونسي هاجر إلى كندا، يمكن أن تحدد طبيعة علاقاته وقوة تواصله مع أفراد جاليته التونسية أو العربية أو الإسلامية في المدينة التي يستقر بها لفترة. غير أن هذا الفرد تتكون لديه هوية أخرى موازية قد لا يختارها بذاته، وإنما تكون ردة فعل على السياق الذي يفرضه عليه، مثلا، أن يعمل في مؤسسة كندية مع آخرين من أعراق وثقافات وأديان أخرى، أو أن يجاورهم في السكنى، إلى غير ذلك.

وكذلك الشأن، مثلا، بالنسبة لفتاة من الريف، تنتقل للحياة بإحدى المدن للدراسة الجامعية، فتتغير نظرتها لذاتها تأثرا بنظرة الآخرين لها.

ويشير هالمز إلى أن هوية الفرد تتشكل من خلال عوامل مختلفة، مثل: الجماعة التي ينتمي إليها، والمكانة الاجتماعية–السياسية لهذه الجماعة في المجتمع، ودرجة اندماج الفرد في الجماعة[66].

فالهوية محصلة لمسيرة الفرد المعرفية والوجدانية والسلوكية. وعبر تفاعله الاجتماعي المستمر، يتراوح تكيّف الفرد بين قبول الحالة الاجتماعية المحيطة أو رفضها. فإذا قبلها انطبع بعضها على هويته الذاتية، وإذا رفضها كان ذلك علامة على التزامه بهويته أو الدفاع عنها، وبالتالي انطبع رفض الحالة الاجتماعية في هويته، مما يعني في كلتا الحالتين تأثره بالمحيط الاجتماعي (انظر "الرسم 2" و"الرسم 3").

[66] Source: Frideres, J.S. "Immigrants, Integration and the Intersection of Identities". Seminar on "Intersections of Diversity", Metropolis Canada, Niagara Falls, Ontario, 2003

تشكل الهوية داخل المحيط الاجتماعي

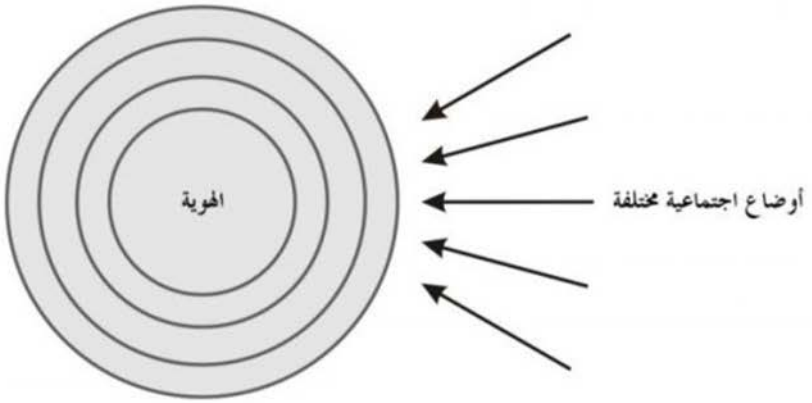

تتشكل هوية الفرد وتتطور بشكل دائم عبر تكيفه مع الأوضاع الاجتماعية التي يمر بها

Adapted from: Frideres, J.S. "Immigrants, Integration and the Intersection of Identities". Seminar on "Intersections of Diversity", Metropolis Canada, Niagara Falls, Ontario, 2003

© M. Ben Jemaa محمد بن جماعة

أشكال تأثر الهوية الذاتية بالهويات الاجتماعية المسندة

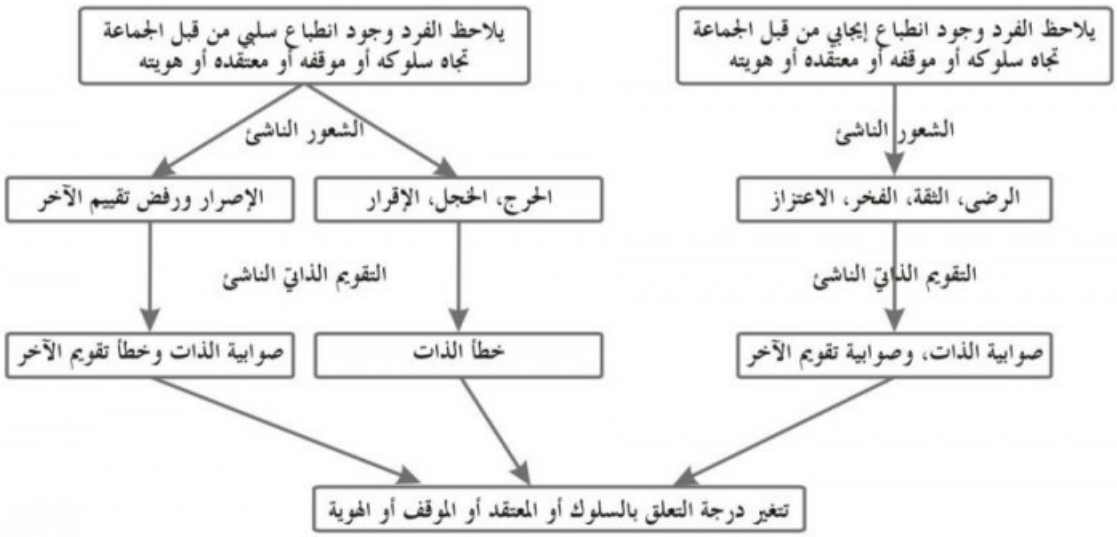

© M. Ben Jemaa محمد بن جماعة

ويبين "الرسم 4" أثر العوامل الاجتماعية والثقافية في تشكل هوية الفرد، من خلال النموذج الذي اقترحه أدلر (Adler) لبيان تأثير الثقافة على السلوك، انطلاقا من الثقافة التي ينتج عنها مجموعة قيم، تؤدي إلى اتخاذ مواقف، تصبح في ما بعد سلوكيات[67].

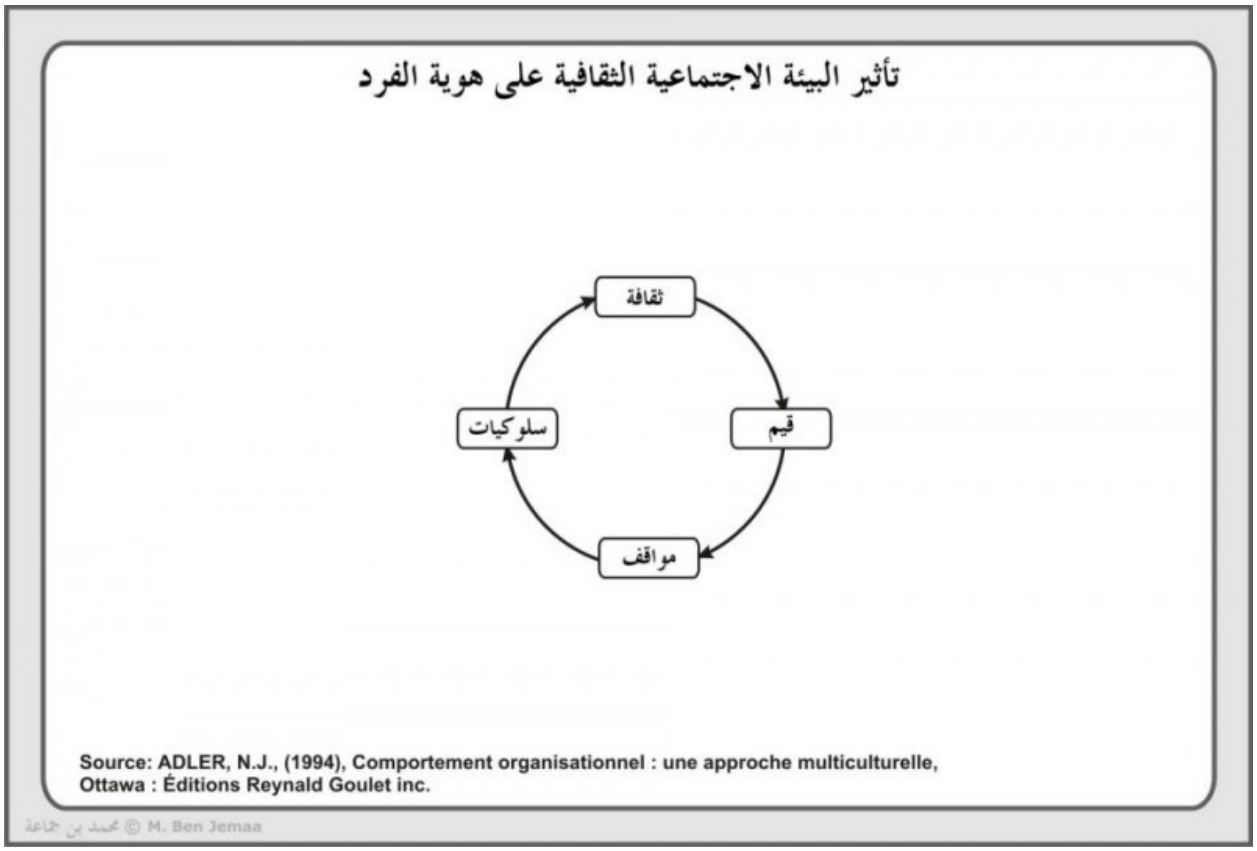

ونشير هنا إلى أن تعريف "تصور الذات"، باعتباره فكرة أو صورة مركبة يصوغ من خلالها الفرد هويتَه النفسية والاجتماعية فتؤثر بدورها على سلوكه، يشير

[67] Adler.N.J comportement organisationnel :une approche multiculturelle ,edition reynald goulet inc,1994,pp123.

لفكرتين هامتين: الأولى أن هذا التصور عمل شخصي يعبر به الفرد عن هويته الذاتية، فهو (هوية متخيلة) يختارها الفرد لنفسه، والثانية: أنها تصبح من بعد ذلك، ذات طابع اجتماعي بما أنها تؤثر بدورها في سلوكه الاجتماعي.

وقد أشار جي باجوا (Guy Bajoit) إلى ذلك حين اعتبر أن الفرد يحاول بناء أو صياغة هويته الذاتية من خلال علاقته بالآخرين، ولذلك فالهوية الذاتية تعتبر مفهوما متحركا وقتيا، وهي عبارة عن ورشة بناء لا تتوقف تتجاذبها ثلاثة أقطاب (انظر "الرسم 5")[68]:

- الهوية الراهنة: التي تمثل واقع الفرد الراهن أو السابق،
- الهوية المسندة: والتي يعتقد أن الآخرين يرغبون في رؤيته من خلالها
- الهوية المنشودة: التي يرغب في أن تصبح هويته.

[68] Bajoit G. (1999), « Notes sur la construction de l'identité personnelle », Recherches sociologiques, 30, 2, pp. 69-84

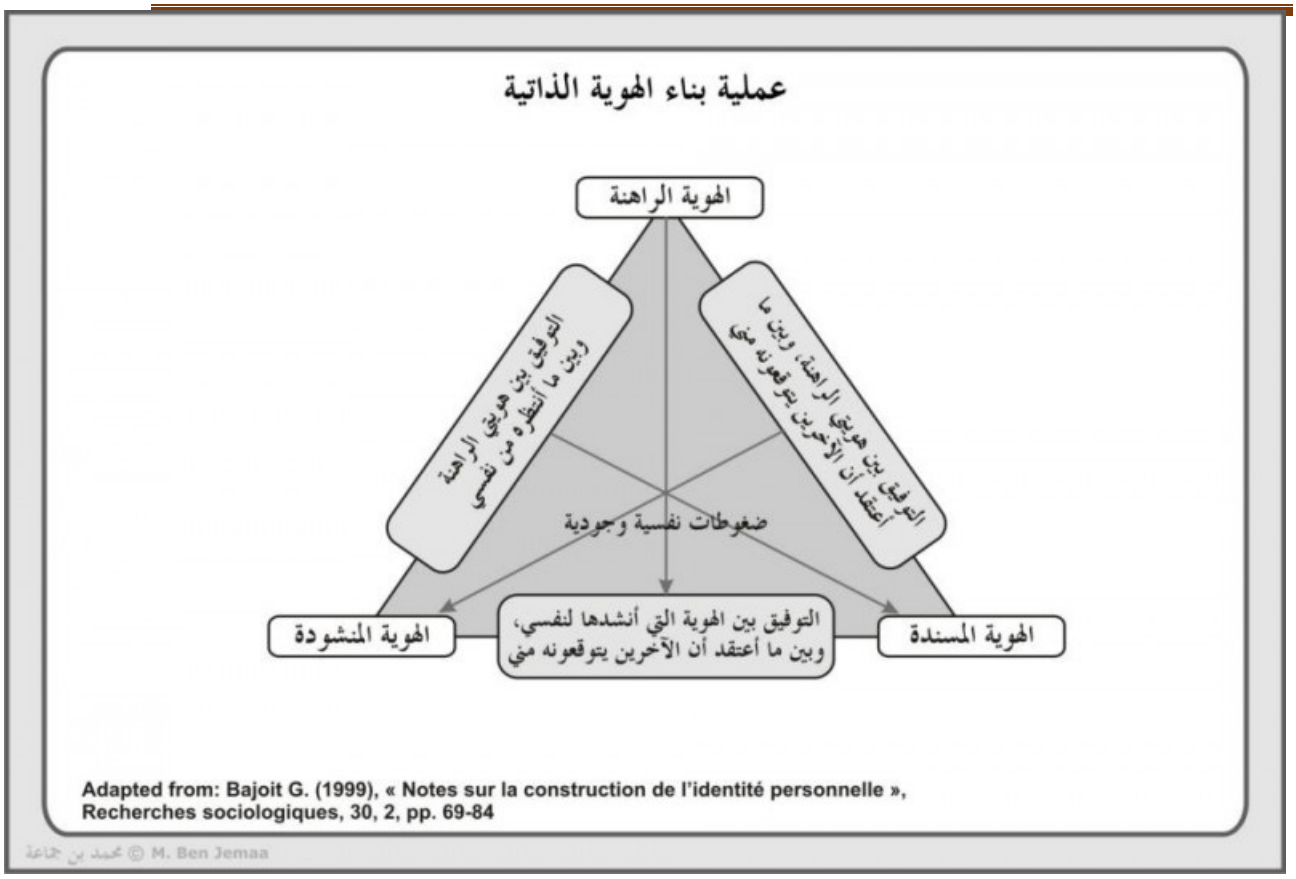
عملية بناء الهوية الذاتية
الهوية الراهنة
التوفيق بين هويتي الراهنة وبين ما أنظره من نفسي
التوفيق بين هويتي الراهنة، وبين ما أعتقد أن الآخرين يتوقعونه مني
ضغوطات نفسية وجودية
الهوية المنشودة
التوفيق بين الهوية التي أنشدها لنفسي، وبين ما أعتقد أن الآخرين يتوقعونه مني
الهوية المسندة
Adapted from: Bajoit G. (1999), « Notes sur la construction de l'identité personnelle », Recherches sociologiques, 30, 2, pp. 69-84
© M. Ben Jemaa محمد بن جماعة

تمهيد

تعد مدينة باتنة ذات تاريخ طويل و عميق ، غني بالحوادث التاريخية، تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، والدليل على ذلك المعالم العديدة المتواجدة عبر الإقليم من مباني، حصون عسكرية ،قرى زراعية بقايا تجهيزات الري الأرضية و المعلقة، الحلي و القطع النقدية ، وكذا بقايا مدن " ايشوقان" و "بالول" بدائرة آريس و ضريح النوميدي "إمدغسن" بدائرة المعذر.

1-مدخل عام لإقليم مدينة باتنة

1-1- أصل التسمية:

وردت العديد من الروايات، لكننا سنأخذ القريبة من الحقيقة و معظمها تتحدث عن تسمية المدينة باتنة تأخذ الجانب اللغوي منطلقها الغالب، مأخوذ من المعنى العربي الفصيح بإرجاعه إلى النطق بات هنا،أو نروح نبات هنا أو نبيت هنا.[1]

فسألوا أصحابها من أين جئتم؟ فقالوا :" بتنا هنا "، ليتخذ الفرنسيون نطق كلمة باتنة.

أما سكان المنطقة فهم يرجعون ذلك إلى أن هذا الاسم قدم جدا،أطلق على المنطقة بسبب نزول ولي صالح أقام في منطقة المعسكر حاليا، حيث بنا فيه حماما للمسافرين، وكان هؤلاء كلما حل الليل يقولون"انروحوا انباتوا "فسميت باتنة.

و روايات أخرى ترجعها فقط إلى البدو كانوا يقضون الصيف و الربيع بمروج المنطقة فأطلقوا عليها هذا الاسم بقولهم كل ماحل الفصل "نروحوا وين بتنا"، فالروايات تنصب في كلمة "المبيت" وإلى غاية الأن يجتهدون لمعرفة أصل التسمية "باتنة" و هي تسمية قديمة، و السكان الأصليون لمنطقة الأوراس يطلقون عليها لفظ "بثنة" .

1-2- نبذة تاريخية حول نشأة المدينة:

تعبر مدينة باتنة من المراكز الحضرية الحديثة، ذات النشأة الاستعمارية، لكن هذا لا ينفي أن لها جذورا عميقة في التاريخ، فالمدينة مرتبطة بصفة كبيرة بتاريخ الأوراس بصفة عامة، فإذا كانت فترة تشييد أو

[1] دليل باتنة، دار الشهاب للطباعة و النشر، باتنة 1984،ص18.

انشاء مدينة باتنة حديث نسبيا 1844، فإن مدينة تازولت أو لامبيز غير البعيدة عن الأولى إلا ب 10 كلم ، ترجع إلى التاريخ القديم ، و غيرها من المناطق التابعة للولاية.

فالمنطقة كانت محورا حضاريا لكل من الحضارة الرومانية، و الوندانية و البيزنطية، ثم الفتوحات الإسلامية .

إن إقليم باتنة كان يقطنه في الماضي البعيد سكانه الأصليون " الأمازيغ" الساميون الذين يلقبونهم حاليا " الشاوية".

ولقد تعرض هذا الإقليم إلى الغزو والاحتلال من طرف الفينيقيين ،و الإغريق، حيث لم يعمروا طويلا ليطردوا، ليحل محلهم الاحتلال الروماني الذي شكلت حضارته الكثير من المعالم التي رسمت بصفة هامة تاريخ المنطقة. و ابتداء من النصف الثاني من القرن الأول للميلاد، حيث فرضوا لغتهم و ثقافتهم، فالفترة الرومانية كانت مرسومة بالديانة المسيحية و اليهودية، لتتم سيطرة الرومان لشبه كاملة على الإقليم خاصة بالنسبة لسهوله الشمالية، ثم ليزحفوا إلى الداخل وأقاموا أكثر من مركز حضري منها (تيمقاد، لامبيز، خنشلة).إلا أن سكان هذا الإقليم رفضوا الاحتلال الروماني،فقامت ثورات عديدة أشهرها ثورة الأوراس أو ثورة سكان الجبال .

ليأتي بعد ذلك الاحتلال البيزنطي في القرن السادس الميلادي، وبدوره لم يستطيع البقاء و التصدي لملك الأوراس "بايداس" إلى أن جاء الفتح الإسلامي 706م، حيث قاومه السكان في البداية ثم اعتنقوه بعد ذلك.[2]

[2] أحمد محمد بوذراع، المناطق المتخلفة بمدن العالم الثالث،دراسة ميدانية بمدينة باتنة،الجزائر ،دكتوراه في علم الاجتماع جامعة القاهرة عام 1989،ص154.

تليها فترة ازدهار غلى غاية ضعف الحكام الأتراك و دخول فرنسا المنطقة سنة 1844م. أثناء حملة من طرف الحاكم .Duc D’aumale. بقسنطينة، وذلك في سنة 1843م، لتنظيم الأمور في الزيبان حيث انطلقت جيوشه في نهاية جانفي 1844م، وعسكرت في 12 فيفري بالقرب من منتصف المسافة في طريق بسكرة في المكان المسمى حاليا "باتنة" ، ولقد تصدى سكان الأوراس للمحتل بعدة ثورات ، غلى غاية قيام الثورة التحريرية ، حيث كانت المنطقة أول شعلة لها.[3]

2-الخصائص الجغرافية لمدينة باتنة:

تقع مدينة باتنة شرق الجزائر العاصمة بين الأطلسين التلي والصحراوي، وتتميز تضاريسها بالتنوع، حيث تتقسم إلى ثلاث مناطق متميزة، الهضاب العليا التلية في المنطقة الشمالية و تمتد على مساحة قدرها :3279.84كلم2، والمنطقة الجبلية الجنوبية والشرقية الجنوبية المتكونة من مجموع الأطلسين (جبال الحضنة ،بوطالب، بلزمة، جبل متليلي، الشليا،..)، والمتربعة على مساحة قفدرها 4967.01كلم2، والهضاب العليا السهبية في المنطقة الغربية للولاية والتي تبلغ مساحتها 3764.36كلم2.

-يحد الولاية من الشمال ولاية ميلة، ومن الشمال الشرقي ولاية أم البواقي، من الشمال الغربي ولاية سطيف، ومن الشرق ولاية خنشلة، ومن الغرب ولاية مسيلة، ومن الجنوب ولاية بسكرة.

يبلغ طول شبكة الطرق لولاية باتنة 3883 كلم منها:

-723.7 كلم طرق وطنية.

-620.8 كلم طرق ولائية.

[3] ANAT.PDAU.commune de batna phase 1.op. cit .p92.

-779.3 كلم طرق بلدية.[4]

3-الخصائص المناخية لمدينة باتنة:

للعامل المناخي أهمية كبيرة و ذلك لما له من تأثيرات مباشرة على نشاط الإنسان، وعلى العمران، فالطابع المعماري و هندسة المباني واتجاه المحاور نحو المدن تؤثر في حركيتها العوامل المناخية.

- **درجة الحرارة:** يسجل أدنى درجة حرارة في شهر جانفي بـ 4 دراجات مئوية، وأقصاها مسجلة في شهر جويلية بـ36 درجة مئوية .
- **المغياثية:** تتراوح نسبة التساقط في المدينة بين 300إلى 400 ملم /سنة، إلا أن أقصاها مسجلة شهر مارس بـ43 ملم، أما أدناها فهي مسجلة في شهر جويلية بـ7 ملم، أما بخصوص الرياح فهي شمالية شرقية شتاءا ،أو جنوبية غربية صيفا، وكذا السيريكو التي تقدر عدد أيامها بـ19 يوم في السنة.[5]

4-موضع المدينة:

يتميز موضع المدينة بالتسطح كونها تتواجد في منخفض تحيط به الجبال، من كل ناحية هذه الميزة الطبيعية منحت نموها في جميع النواحي و الاتجاهات خاصة في الفترة الحالية بعد تشبع نسيجها، ومنحتها شكلا هندسيا محددا في مثلث تتجه قاعدته نحو الشمال الغربي ورأسه نحو الجنوب الشرقي، أين يصل إلى 1040متر فوق سطح لبحر، أين يتوضح نسيج النواة الاستعمارية ،وأعلى ارتفاع يصل إلى 1100متر، وبذلك يكون الفارق هو 60متر، أما الجبال المحيطة بها بعد" جبل بوعريف" في الشمال الشرقي يصل ارتفاعه إلى 1641متر بجبل "

---

[4] كتيب ، جغرافيا محلية لمدينة باتنة.

[5] مكتب الدراسات الاقتصادية و التقنية –باتنة- / مخطط شغل الأرض طريق تازولت رقم 4 لمرحلة1، تحليل الوضع الحالي،ص9.

لإيش علي" في الجنوب ارتفاعه 1800متر، كما يتخلل النسيج الحضري لمدينة باتنة بالإضافة إلى وجود وادين رئيسيين هما: واد باتنة، وواد القرزي.

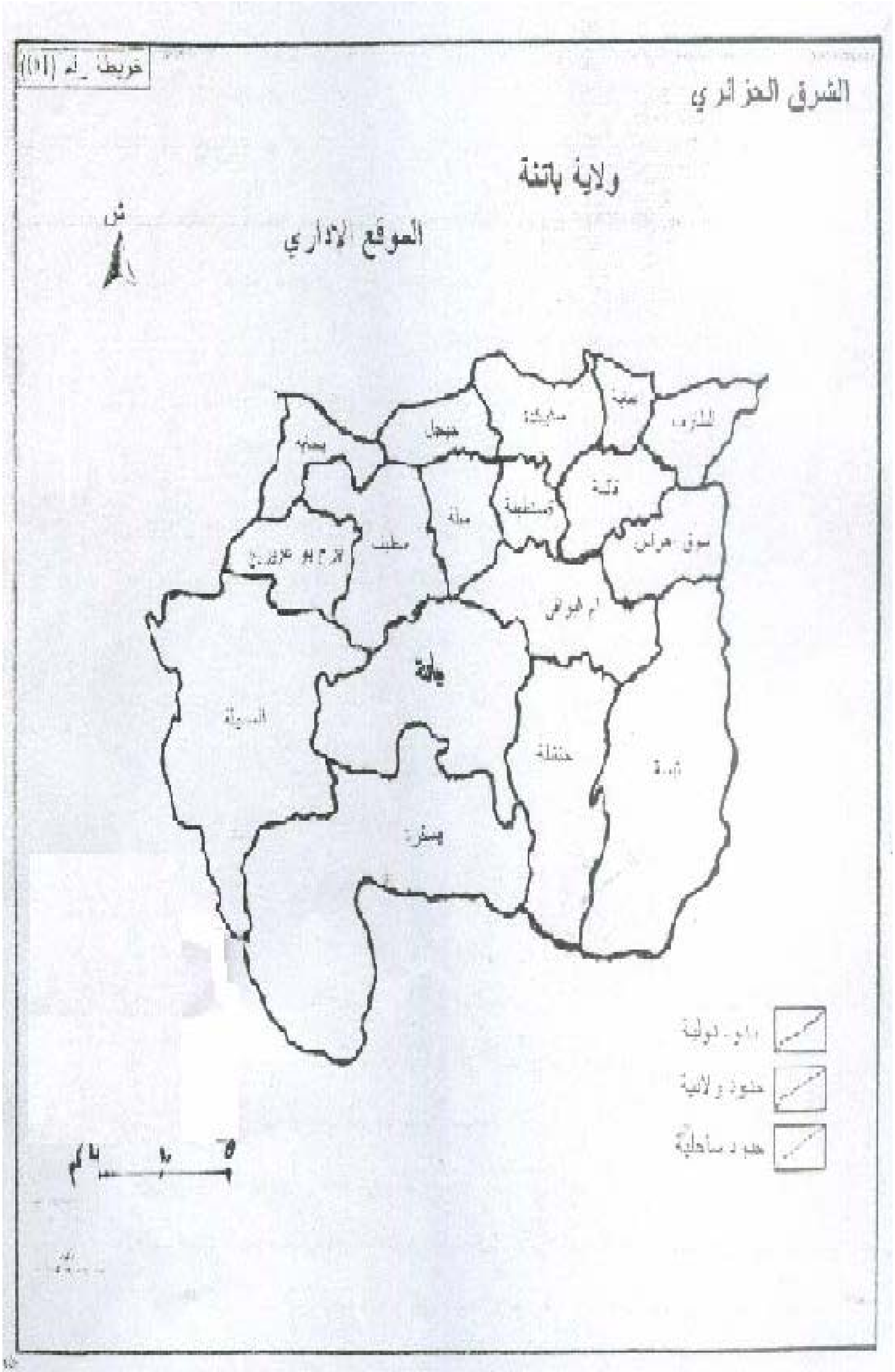

خريطة رقم 01:توضح الموقع الإداري لمدينة باتنة

كذلك تحتل المدينة مكانة استراتيجيه بحكم استفادتها من نقاط مهمة لمحاور وطرق وطنية سواء في الاتجاه شمال جنوب، أو الاتجاه شرق غرب، وتتمثل هذه المحاور المهيكلة للموضع في:

- الطريق الوطني رقم 03: االذي يربط بين قسنطينة ، باتنة، سكيكدة.
- الطريق الوني رقم 31: الذي يربط بين باتنة، تازولت، آريس.
- الطريق الوطني رقم 77: الذي يربط بين باتنة، مروانة،سطيف.[6]

5- مراحل التوسع الحضري و التطور العمراني في مدينة باتنة:

يعتبر العمران خير مترجم لما يحدث في أي مدينة من المدن، فهو مؤشر هام للحضارات المختلفة، لكونه لا يزول بزوال الأشخاص، وإنما كإرث حضاري معبرا عما كان سائدا في زمن من الأزمان من عادات وتقاليد.

ومدينة باتنة إحدى المدن التي عرفت تطورا محسوسا داخل الحوض الترسبي الذي توضعت فيه داخله أو ل نواة للتجمع و ذلك سنة 1844م، حيث أقيم أو لمخيم عسكري في الجنوب الشرقي من حي الزمالة محاطا بواسطة جدار على شكل حزام به أربعة أبواب ، تصوره مميز بالتقاء محورين عموديين يربطان الأبواب الأربعة، وجاء مرسوم سنة 1844م ليعطيها اسم"لامبيز الجديدة" ، ولكن مرسوم آخر في جوان من نفس السنة ألغى الأول ويعيد للمدينة اسم "باتنة".

وقد شهدت مدينة باتنة تطورا عمرانيا محسوسا ليصل معدل التعمير إلى 56.19 %،[7] وهو أقل من المعدل الوطني المقدرب58.30%،[8] و قد اتخذ هذا النمو اتجاهات عديدة ، يمكن تمييز فترتين أساسيتين

---

[6] آسيا عاشور،فريد بزالة،رمزي حمزاوي، مشروع مقدم لنيل شهادة مهندس في اللتهيئة العمرانية "التعمير التجاري وأثره على التهيئة الحضرية للقطاعين 2-7، دورة جوان،2005،ص1.
[7].الديوان الوطني للاحصاء معطيات إحصاء سنة 1998.

التوسع المدينة ، تتوافق كل واحدة منها مع نمو مميز و ظهور أشكال حضرية و عمرانية تشمل أنماط ووحدات مورفولوجية محددة بواسطة عوامل سياسية، اقتصادية، اجتماعية و مجالية.

5-1- الفترة الأولى(الفترة الاستعمارية) قبل 1962م: يمكن تقسيمها إلى أربعة مراحل وهي:

5-1-1- المرحلة الأولى (1844م-1870م):

وهي المرحلة التي بدا فيها تشكل أول نواة استعمارية لمدينة ، أنظر الشكل رقم(1) تهيكلت حول محورين شمال واد باتنة. وتم إصدار مرسوم تنفيذي نشر في 12-09-1844م، تضمن محتواه بأن تصبح باتنة مركزا حضريا مساحته 12 هكتارا .[9]

رغم قلة عدد سكانها فقد استفادة في 17-10-1885م بمحافظة الحالة المدنية في مركزها وأصبحت لها بلدية تشرف على شؤونها الاجتماعية، وخدماتها التجارية. ومن ثمة بدأت المدينة تتوسع و لكنه كان بطيئا للغاية. و في سنة 1870م بدأ ظهور حي الزمالة في الجنوب الشرقي للمركز و هو أقدم أحياء المدينة، شيد من طرف السكان الأصلين للمنطقة، وأطلق عليه آنذاك اسم "البرج" و خصص للقاضي كما تقطنه بعض العائلات من الأهالي.[10]

5-2-2- المرحلة الثانية:1871م-1923م:

ابتداء من سنة 1871م، بدأت المدينة تعرف نوع من التوسع الذي اشتدت حركته، حيث وصلت مساحتها إلى 26 هكتار، و لقد ترجم هذا التوسع بواسطة بنا التجهيزات المدنية و المتمثلة في مدرستين ، كنيسة، السوق، المسرح، والمسجد المسمى حاليا المسجد العتيق،الذي كان في السابق مسجد المعسكر camp، بالإضافة إلى البلدية، المقبرة المسيحية، و المحكمة، وتهيكلت هذه التجهيزات والمساكن حول

[9]أحمد محمد بوذراع:، مصدر سابق ،ص 156.
[10]أحمد محمد بوذراع:، مصدر سابق ،ص 157.

محورين عموديين شارع الجمهورية الذي يربط الباب الجنوبي الشرقي بالباب الشمالي الشرقي، وشارع فرنسا (شارع الاستقلال حاليا)، الذي يربط الباب الشمالي للمركز بجنوبها،وإلى غاية 1923م كانت المدينة مهيكلة في قسمين منفصلين بواد باتنة و هما النواة العسكرية و الزمالة كحي تقليدي في الجنوب.

5-2-3- المرحلة الثالثة(1924م-1945م):

عرفت هذه المرحلة نمو النواة من حيث عدد السكان حيث انتقل من 1000نسمة سنة 1925م ليصل إلى15000 نسمة سنة1940م،حيث وصلت مساحة المدينة إلى 150هكتار، ومعدل استهلاك مجالي قدر بـ 5.64 هكتار/سنة. الشيء الذي يفسر انفجار النواة في الاتجاهات الثلاثة التالية:[11]

1-ظهور حي جديد مجاور لحي الزمالة وهو حي بوعقال.

2-حي جديد وضعت له البنات الأولى وهو حي شيخي.

3-أما حي المعمرين "stand" فقد شهد بنايات راقية و ارتفاع عدد ساكنيه.

5-2-4- المرحلة الرابعة(1946م-1962م):

تصادف هذه المرحلة أحداثا عديدة منها انطلاق الثورة التحريرية ، وظهور مخطط قسنطينة عام 1958م. بالإضافة إلى كون المدينة أصبحت دائرة بالنسبة لإقليمها حيث استفادت من خلالها بجهاز إداري مستقل عن مدينة قسنطينة، بعد أن كانت تابعة لها في شؤونها الإدارية، ترجمت هذه الوضعية بحركة عمرانية مكملة للمراحل السابقة،رغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الثورة و خاصة في بإقليمها ، ولقد كانت مقسمة حول محورين هما:

[11]أحمد محمد بوذراع:، مصدر سابق ،ص 158.

1- في الشمال الأحياء الأوربية.

2- في الجنوب الأحياء التقليدية و التي كانت في الأصل محتشدات للسكان كحي شيخي، والحي التطوري وكشيدة.

5-2- المرحلة الثانية : ما بعد الاستقلال إلى غاية الآن:

و يمكن تقسيم هذه المرحلة بدورها إلى أربعة مراحل هي:

1- المرحلة الأولى (1963م-1973م): و هي المرحلة التي عرفت فيها الجزائر الاستقلال، لتنطلق في أعادة بناء جزائر الغد، لذا فالبداية صعبة،ففي السنوات الأولى من الاستقلال تعرفت المدينة نمو الأحياء التقليدية و القديمة بشكل عشوائي، خاصة و أن هذه الفترة عرفت رحيل المعمرين و المساكن شاغرة و التي احتلها العديد من سكان المدينة.

كما عرفت هذه المرحلة انطلاق برنامج الأوراس سنة 1967م، الذي أدى إلى ديناميكية حضرية جديدة حيث وصلت مساحتها إلى1227هكتار، أي بزيادة قدرها 1018 هكتار، وبمعدل 92.54هـ/سنة، لذا يمكن أن نقول أنه خلال هذه الفترة مدينة باتنة اكتمل اطارها، و هيكلها الحضري العام، وأصبحت شبكة نسيجها الحضري بارزة، و تمثلت في الأحياء السكنية التالية:

1- مركز المدينة

2- حي شخي

3- حي النصر.

4- حي المجزرة.

5- حي بوعقال بأجزائه الثلاثة.

6- حي كشيدة.

7- حي بوزران.

8- حي بارك أفوراج.

5-2- المرحلة الثانية(1974م-1984م): و هي مرحلة انفجار التجمع.

أتت هذه المرحلة للحد من التوسع والبناء الفوضوي، وكذا للحد من تواجد مناطق السكن التلقائي، فالمدينة في هذه المرحلة تميزت بنمط رديء شوه مظهرها العام، تسكنه مختلف الفئات الاجتماعية، الجزء الأكبر منها هم الوافدون من المناطق الريفية الباحثين عن العمل، التعلم، وتحسين مستوى المعيشة...، بالإضافة إلى هذا صدور قانون الاحتياطات العقارية سنة974م،الذي أدى بالعديد من السكان المالكين لقطع أرضية ذات مساحات كبيرة لتجزيئتها، و بيعها في الخفاء بعيدا عن المراقبة من طرف السلطات، سواء للسكان اللاجئين إلى المدينة أو الفئات البسيطة.

5-2-3- المرحلة الثالثة(1985م-1995م مرحلة التشبع العمراني):

إن استمرار التوسع العمراني لمدينة في جميع جهاتها سواء بالعمليات الطوعية التي جاءت كبرنامج في المخطط العمراني الأول، أو بالعمليات اللاطوعية، بمبادرة من الفئات السكانية عن طريق عمليات البناء غير الشرعي، هذا الأخير الذي غزا المدينة بشكل كبير، ليستولي على مساحات هامة من المدينة، و يشكل أحياء فوضوية كبرى عرفت بها المدينة (بوعقال، بارك أفوراج، بوزوران، كشيدة)، في الاتجاهات الأربع لها لتصل مساحتها إلى33836 هكتار[12].ومعدل استهلاك المجال مقدربـ86.54هكتار/نسمة. وهي جد معتبرة تبين الاستهلاك المبكر والكبير للمجال خلال هده الفترة لذلك فالبرنامج المسطر في إطار المخطط العمراني لسنة 1978م، الخاص بالسكن و التجهيزات لم يصل إلى أهدافه خاصة وأن التعمير الفوضوي مس أراضي مسطحة في الجهة الجنوبية لتامشط

[12] ع.صحراوي ،ع. ضيف.ع،دراج: النمو الحضري و اشكالية التوسع العمراني بمدينة باتنة، مذكرة تخرج ، معهد علوم الأرض،/جامعة قسنطينة،سنة 1996،ص130.

وبوعقال. هاته الأراضي التي تعتبر الأصل لجميع المشاكل التي عرفها التجمع ، بالإضافة إلى ظهور حيين فوضويين جديدين هما طريق تازولت وأولاد بشينة. إن هذا التوسع الفوضوي خلق عدة مشاكل

5-3-4- المرحلة الرابعة(1996م-2000م):

(مرحلة التشبع وتعمير الجيوب الشاغرة واتجاهات أخرى للتعمير).

لقد توسعت مدينة باتنة في المراحل السابقة بطريقة جعلتها تصل إلى استهلاك المجالات الشاغرة داخل النسيج الحضري، التي احتفظت بها للمدى الطويل، حيث مساحة المدينة إلى 3394 هكتار وبمعدل استهلاك للمجال مقدربـ 202هـ/سنة، فوجد التعمير نفسه محاصرا في الشمال الشرقي بواسطة المنطقة العسكرية، و في الجنوب الغربي بواسطة المنطقة الصناعية ، وفي الشمال والجنوب بواسطة التضاريس الجبلية لبوزوران و تامشيط ،و كونها مواضع يصعب التعمير عليها بالإضافة إلى كونها تشكل المجال الأخضر الذي يمد المدينة بالهواء النقي.

فالتوسع الحالي للمدينة يتجه نحو ثلاث اتجاهات رئيسية هي:

1- طريق تازولت بواسطة مساكن فردية، هذا التوسع الذي إذا استمر سيشكل مع بلدية تازولت تلاحم نسيجي.
2- طريق بسكرة تم التعمير ببناءات فردية ذات النوعية الجيدة.
3- طريق مروانة و حملة .

6-خطة نمو مدينة باتنة:

بعد ذكر توسع المدينة، نستطيع أن نتعرف على الكيفية التي نمت بها باتنة وصورتها، وقبل التطرق إلى طبيعة خطة مدينة باتنة، لبأس أن نذكر أن هناك ثلاث نظريات مفسرة لنمو المدينة وهي كما يلي:

1- نظرية النمو المركزي لـ"بيرجس" عن مدينة شيكاغو.

2- نظرية القطاعات لـ"هومر هويت" لعدد من المدن الأمريكية.

3- نظرية النويات المتعددة لـ"هاريس و أمان".

حيث تعتمد كل نظرية من النظريات على معايير ومقاييس كأسعار الأرض، و إشعاعات الطرق و الموصلات إلى غير ذلك.

و بصفة عامة يمكن القول أن خطة مدينة باتنة ،و التي كانت نتاجا لتعاقب مراحل عديدة من التوسع الحضري للمدينة ، تخضع إلى نظرية الدوائر المتمركزة التي عرفها الباحث بيرجس، ولكن ترتيب الحلقة متناوب أو متعاقب، لأن المدن الجزائرية لا تشكل نفس التنظيم تقريبا، حيث نجد أن المركز الاستعماري محاط بأحياء استعمارية، ثم تليها حلقة من الأحياء التلقائية، و في الأخير نجد الملكية العمومية "التوسع الحديث"أنظر الشكل رقم . لكن في مدينة باتنة يمكننا أن نميز بين شكلين و هما:

6-1-النمو الحلقي :

لقد أخذت مدينة باتنة هذا الشكل من النمو الحضري ، خلال المرحلة الأولى من تطورها ، وكان ظهوره نتيجة عوامل عديدة منها:

- الهجرة الوافدة نحو المدينة خاصة بعد الاستقلال مباشرة .
- عملية التصنيع و ما تتطلبه من يد عاملة و جلب الإطارات.
- الملكية العقارية و دورها في التوسع الحضري للمدينة.

كلها عوامل وظروف ساعدت على إيجاد هذا النوع من النمو الحضري، ولقد بدأ هذه النمو انطلاقا من النواة المركزية (وسط المدينة)، نمو انتشر في جميع الاتجاهات و ما ساعد على ذلك هو توفر

الأراضي السهلة و انخفاض أسعارها في ضواحي المدينة مقارنة بمركزها و الأحياء المباشرة له لتلك الفترة و كذلك استفادة هذه الأحياء من خدمات المركز وكان لها دور كبير في استهلاك المجال و الأراضي الصالحة للزراعة التي تحولت معظمها إلى مناطق سكنية و يمكن تمييز ثلاث حلقات رئيسية وهي : [13]

*الحلقة الأولى: وتتكون من أحياء سكنية استعمارية نذكر منها حي الأمير عبد القادر(stand)، حي المعسكر(camp).

*الحلقة الثانية: تتكون من الأحياء التلقائية نذكر منها: حي شيخي، حي الزمالة، حي بارك أفوراج، بوعقال، بوزوران.

*الحلقة الثالثة: مشكلة من المجموعات الكبرى لكل من حي بوزوران، بارك أفوراج، و المناطق الحضرية (1)و(2)، و المنطقة الصناعية و المنطقة العسكرية.

6-2-النمو الخطي:[14] يعتمد هذا النوع من النمو في انتشاره على حركة و اتساع وامتداد كل من المدن الرئيسية الكبرى، والمراكز الحضرية الأخرى، وهذا من خلال امتداد الطرق التي تربط فيما بينها،مكونة بذلك مراكز حضرية صغيرة ، تظهر على امتداد الخطوط الطويلة القديمة من شبكة المواصلات الرئيسية، التي تتقاطع فيها مراكز سكانية ريفية على طول ذلك المحور. و في هذا الصدد نجد أن مدينة باتنة أخذت هذا الشكل من النمو الحضري.

[13] ع.صحراوي ،ع. ضيف.ع،دراج: النمو الحضري و اشكالية التوسع العمراني بمدينة باتنة، مذكرة تخرج ، معهد علوم الأرض،/جامعة قسنطينة،سنة 1996،ص130.

[14] ع.صحراوي ،ع. ضيف.ع،دراج: النمو الحضري و اشكالية التوسع العمراني بمدينة باتنة.مرجع سبق ذكره،ص140

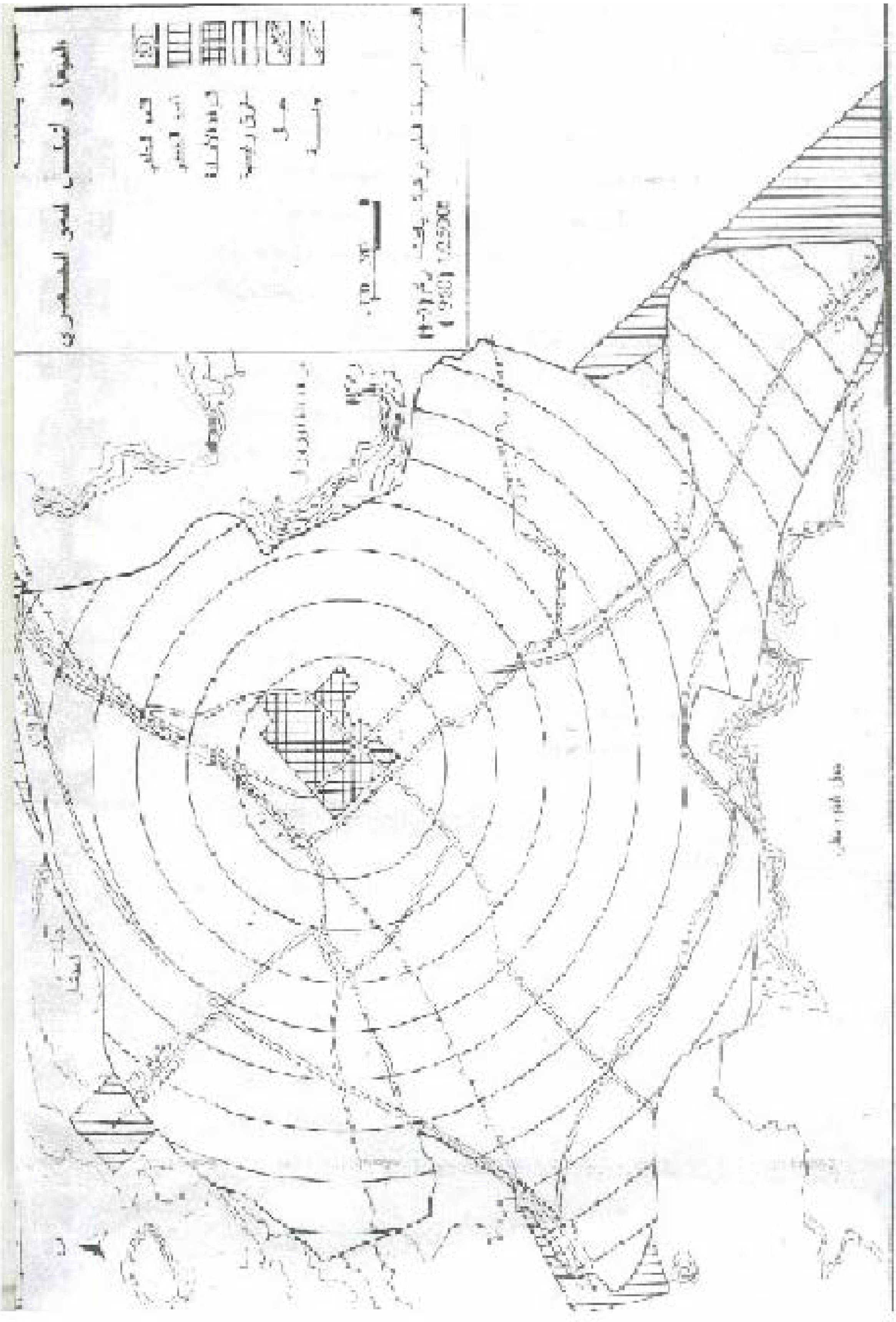

خريطة رقم 02:توضح طبيعة وأشكال النمو الحضري بمدينة باتنة

7–النمو السكاني:

إن أعقد المشاكل التي تواجه مخططي المدن تأتي من النمو السريع و غير المتوازن لسكان المدينة أو الإقليم، و المقصود بالنمو السكاني " اختلاف حجم السكان في مجتمع ما عبر فترات زمنية متباينة"[15]، لذلك نجد أن معظم الباحثين يولون اهتمام كبير لهذا الجانب، فزيادة عدد السكان تعني الأهمية الاقتصادية للمدينة و بالتالي الزيادة في عد المساكن والخدمات الحضرية ، وهكذا تتوسع المدينة بشكل موازي للنمو السكاني.

و يمكننا تتبع مراحل النمو السكاني لمدينة باتنة و الذي مر بالمراحل التالية:

7–1–مرحلة ماقبل الثورة التحريرية 1954م:

و هي الفترة التي تسبق الثورة التحريرية و تعداد سنة 1945م، لذا لم تعتمده الجزائر كتعداد رسمي نظرا للإحصاءات التي تمتاز ببعض الارتياب، خاصة وأن المجتمع كان يتكون من فئتين (السكان المعمرون،و السكان الأصليون)، ولقد استعملنا هذا التعداد لكون المرحلة التي تسق حرب التحرير كان لها أثر في رسم المعالم الأولى لصورة المدينة الاستعمارية المكتملة المتمثلة خاصة في النواة الاستعمارية لتظهر أنويه على شكل بقع زيت في ضواحيها تمثل فئة الأهالي المهمشة، و التي كانت أحجامها صغيرة في فترات الاحتلال الأولى بالمقارنة مع فئة المعمرين التي تتزايد أعدادهم نتيجة توافد على المدينة والجدول التالي يبين تتطور سكان المدينة في الفترات السالفة الذكر.

---

[15]علي عبد الرزاق حلبي علم الاجتماع السكان، دار المعرفة الجامعية، القاهرة،1985،ص 37.

السنوات	عدد السكان الأصليين	عدد المعمرين	المجموع	الزيادة السنوية	معدل النمو للفترة
1872	1316	585	2901	945	3.182
1881	1911	1935	3846	452-	1.24-
1891	1132	2262	3394	1335	3.37
1901	1947	2782	4729	1172	2.24
1911	2739	3162	5901	242	0.40
1921	3424	2719	6143	9361	6.37
1931	8568	-	-	16196	4.05
1936	12334	3170	15504	8170	4.69
1959	12400	3900	31700	-	-
1954	36370	3500	39870	-	-

المصدر" la ville de Batna en 1959. Enquête d' urbanisme op. cit

7-2-مرحلة النمو السريع (1954م-1966م):[16]

تعد المرحلة التي عرف فيها النمو السكاني القسط الأكبر، حيث ارتفع عدد السكان ليصل في أول تعداد رسمي للجزائر سنة 1966 إلى 55751 نسمة، وهي المرحلة التي عرفت حرب التحرير الوطنية و السنوات الأولى لاستقلال الجزائر ،فاجتمعت الظروف ليصل معدل النمو في هذه الفترة إلى 7.89% و هو أكبر بكثير من المعدل الوطني المقدر ب؟ 4.7 % ، ويعود ذلك إلى ما شهدته

[16]أحمد محمد بوذراع، المناطق المتخلفة بمدن العالم الثالث،دراسة ميدانية بمدينة باتنة،الجزائر ،دكتوراه في علم الاجتماع جامعة القاهرة عام 1989،ص156.

المنطقة خلال الحرب التحريرية و سياسة الاستعمار التي تسب في عدم الاستقرار و الأمن مما جعل السكان الأرياف يتوافدون نحو المدن بشكل كتلي خاصة بعد أن أرغمهم الاستعمار على ذلك بتطبيق سياسة المحتشدات و إتباع سياسة الأرض المحروقة وتحويل العديد من المناطق الريفية إلى مناطق محرمة أدى إلى هجرة أعداد كبيرة من السكان المقيمين بها نحو المدينة طلبا للأمن و الأمان.

7-3-مرحلة النمو السريع المتواصل(1966م-1977م):[17]

تميزت هذه المرحلة بانخفاض في معدل النمو الذي قدر بـ 5.72% و هو قريب من المعدل الوطني و المقدر بـ 5.4%، و هذا يعود لكون المدينة تنتمي إلى إقليم ولاية باتنة الداخلية ، فهي من بين المناطق التي لم تحض باهتمام من طرف السلطة في تلك الفترة ، إلا أنه انطلاقا من سنة 1967م، و إيمانا بأهمية المدينة التي شكلت عاصمة الأوراس ، وقطبا هاما أثناء فترة الاحتلال ظهر البرنامج الخاص بالأوراس الذي جاء بعدة مشاريع تنموية على المستوى الحضري و الريفي من أجل تحقيق التوازن الإقليمي ، بالإضافة إلى المخططات التنموية ن حيث انتقل عدد السكان ليصل سنة 1977م إلى 1027565 نسمة إلى حوالي ضعف ما سبق بمعدل نمو سنوي قدربـ5.7 %، و يعود هذا الاستقرار إلى الوضع الأمني وتحسين الظروف الصحية بالإضافة إلى ظهور المنطقة الصناعية لمدينة باتنة سنة 1971م، و بالتالي توفير العديد من مناصب الشغل التي استقطبت مختلف المناطق، وبالأخص البلديات المجاورة، مما أدى أيضا إلى استمرار النزوح الريفي للحصول على الخدمات المدنية.

7-4-مرحلة النمو المستمر (1977م-1987م): [18]

[17]أحمد محمد بوذراع، المناطق المتخلفة بمدن العالم الثالث،دراسة ميدانية بمدينة باتنة،الجزائر ،دكتوراه في علم الاجتماع جامعة القاهرة عام 1989،ص154.

[18]أحمد محمد بوذراع، المناطق المتخلفة بمدن العالم الثالث،دراسة ميدانية بمدينة باتنة، مرجع سبق ذكره،ص 156.

يمكن أن نطلق على هذه المرحلة "مرحلة النمو المستمر" حيث انتقل عدد السكان من 102756نسمة سنة1977م، إلى181601نسمة سنة1987م، بمعدل نمو سنوي قدر بـ5.86% وهو أكبر من المعدل الوطني، و يعود هذا إلى كون المدينة شهدت مشاريع اقتصادية ، سكنية و اجتماعية هامة أدت إلى تحسين مستوى معيشة سكانها أدى ذلك إلى جلب التدفقات السكانية نحوها من يد عاملة وإطارات سامية.

7-5-مرحلة النمو المتوازن و البطيء (1978م -1998م):[19]

وصل عدد سكان مدينة باتنة في التعداد الأخير لسنة 1998م إلى 242940 نسمة بمعدل نمو سنوي قدره 2.68%، و مقارنة بالمعدل الوطني (3064%) نجده أقل منه ، هذا الانخفاض المحسوس نعتقد أنه يرجع غلى الأزمة الاقتصادية و السكنية التي أصبحت تعاني منها البلاد و المراكز الحضرية خاصة ، حيث تخلت الدولة عن قسم كبير من مشاريع الإسكان و التعمير و مجالات الصناعة و التشغيل، مما أحدث نظام اتسمت ملامحه في البنية الوظيفية للسان على هيئة تسريح العمال في إطار المؤسسات المطهرة مما زاد في حدة البطالة التي انعكست على انخفاض معدل الزواج بالإضافة إلى الاعتماد على سياسة تنظيم النسل.

و فيما يلي يمكننا أن نتعرف على العوامل المتحكمة في النمو السكاني.

8- العوامل المتحكمة في نمو سكان مدينة باتنة:

[19]أحمد محمد بوذراع، المناطق المتخلفة بمدن العالم الثالث،دراسة ميدانية بمدينة باتنة،الجزائر ،دكتوراه في علم الاجتماع جامعة القاهرة عام 1989،ص156
؛.

عادة ما نجد هناك عاملين أساسيين في النمو السكاني ، الأول طبيعي يتمثل في ارتفاع الزيادة الطبيعية ، و الثاني غير طبيعي يتمثل في عنصر الهجرة .

من خلال الملاحظة و المتابعة وجدنا أن الزيادة الطبيعة لم يكن لها الدور الفعال في النمو السكاني كما هو الحال بالنسبة للهجرة لذا فإننا سنتتبع العوامل الكامنة وراء هذه العملية و الأسباب الكامنة و دوافعها.

8-1-الهجرة:

تعرف الهجرة بكونها " عملية انتقال، أو تحول، أو تغير لفرد، أو جماعة من منطقة اعتادوا على الإقامة فيها إلى منطقة أخرى، خارج حدود تلك المنطقة".[20] وترتبط التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية ارتباطا وثيقا بالهجرة، حيث تعتبر نموذجا من تحركات السكان من مكان إلى آخر بحثا عن فرص العمل ، وبحثا عن أنماط معيشة أفضل، و هذا ما حدث في أغلب المدن الجزائرية.

8-2-مراحل الهجرة نحو مدينة باتنة:

عرفت الهجرة إلى مدينة باتنة المراحل التالية:

1- المرحلةالأولى:م1954-1966م:

أدت سياسة الاستعمار إلى حالة عدم الأمن و الاستقرار في المناطق الجبلية غلى اللجوء إلى المدينة و لفرض السيطرة عليهم قام المستعمر بتجميعهم في محتشدات سكنية في المدينة . و هذه الهجرة تعرف بالهجرة القصرية.

2- المرحلة الثانية 1966م-1977م:

20علي عبد الرزاق جلبي، مرجع سابق،ص218.

في هذه المرحلة بلغ عدد المهاجرين 232835 مهاجر، بمعدل 42.75%، وهو أقل بكثير من المرحلة الأولى، ونعتقد أن ذاك بسبب عودة نسبة من السكان إلى الأرياف و مواطنهم أين توجد ممتلاكتهم، والحياة التي اعتادوا عليها،[21]وكما أن المدينة عرفت أزمة سكنية بحيث لم تشهد برامج في هذا الميدان إلا بعد تطبيق برنامج الأوراس.

3-المرحلة الثالثة 1977م-1987م:[22]

يعود ويرتفع عدد المهاجرين خلال هذه الفترة إلى 42429 مهاجر بمعدل 41.29%، فكما نعلم أن المدينة عرفت سنة 971 م، مشروعا كبيرا تمثل في أنجاز المنطقة الصناعية التي بظهورها و انطلاق نشاطاتها جلبت العديد من المهاجرين الذين و فدوا من أنحاء عددية من الوطن ليستقروا في المدينة بصفة نهائية و ذلك بجلب عائلاتهم.

4المرحلة الرابعة1987م-1998م: [23]

في هذه المرحلة انخفض عدد المهاجرين ليصل 13363 مهاجر بمعدل صافي للهجرة مقدر بـ 7.4 % ففي هذه الفترة شهدت المدينة تحولات على جميع الأصعدة السياسية، والاقتصادية، وهذه الأخيرة أثرت على حركة السكان بسبب الأوضاع الأمنية، كما أن تشبع المجال الحضري للمدينة و عدم توفر فرص العمل،و استفحال أزمة السكن، وارتفاع أسعار الأرض كلها عوامل ساهمت في انخفاض عدد المهاجرين نحو المدينة.

9-الأصل الجغرافي لسكان المدينة:

---

21 محمدأحمد بوذراع، مصدر سبق ذكره.

22أحمد محمد بوذراع، المناطق المتخلفة بمدن العالم الثالث،دراسة ميدانية بمدينة باتنة،الجزائر ،دكتوراه في علم الاجتماع جامعة القاهرة عام 1989،ص156.

23أحمد محمد بوذراع، المناطق المتخلفة بمدن العالم الثالث،دراسة ميدانية بمدينة باتنة، مصدر سبق ذكره،ص156.

استقبلت المدينة موجات متتالية من الهجرات، كانت من مناطق متفرقة من الوطن، ومن إقليم الولاية، و يمكننا توضيح ذالك فيما يلي :

1- الوافدون من إقليم الولاية:

بلغ عدد الوافدين من إقليم الولاية 47171 شخص، [24] يتوزع هذا العدد ليختلف على مستوى بلديات الولاية الخريطة رقم؟ حيث أن من بين البلديات الأكثر انجذابا نحو المدينة، بلدية المعذر، ثم بلدية مروانة، وبلدية أريس، وبلدية عين التوتة. وهذا يعود إلى أن إقليم الولاية يشكل عامل طرد لسكانه باعتباره يمثل أعلى نسبة من إجمالي الوافدين إلى المدينة، ومن ثمة يمكن القول بأن أغلبية السكان ذو أصول ريفية خاصة وأن إقليم باتنة تعرض بصفة كبيرة لاضطهاد واستغلال وطرد أثناء الثورة للاستيلاء على خيراته من طرف المعمرين، و لقد انعكس ذلك على الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية للمدينة والجدول التالي يبين عدد الوافدين إلى المدينة من إقليم الولاية:

المدينة	عدد الوافدين(نسمة)	النسبة%	المدينة	عدد الوافدين(نسمة)	النسبة%
المعذر	6005	12.730	جرمة	304	0.644
مروانة	5244	11.116	فم الطوب	253	0.536
آريس	4667	9.893	أولاد سليمان	232	0.491
عين التوتة	4609	9.770	تاكسلنت	181	0.383

[24] ع.صحراوي ،ع. ضيف.ع،دراج: النمو الحضري و اشكالية التوسع العمراني بمدينة باتنة، مذكرة تخرج ، معهد علوم الأرض،/جامعة قسنطينة،سنة 1996،ص130

اشمرة	2513	5.327	تلاطو	143	0.303
تيمقاد	2462	5.219	سفيان	116	0.245
بوزينة	2032	4.307	تلخمت	80	0.169
سريانة	1557	3.300	معافة	79	0.167
اشمول	1491	3.160	بولهيلات	60	0.127
سقانة	1375	2.914	زانة البيضاء	56	0.118
أولادفاضل	1187	2.516	فسديس	52	0.110
عين جاسر	1156	2.450	اينوغيسن	43	0.091
واد الماء	1080	2.289	أمدوكال	30	0.063
تازولت	1018	2.158	تغانيمين	28	0.059
عين ياقوت	1011	2.143	رحبات	25	0.052
بريكة	934	1.6980	أزيلعبد القادر	14	0.029
حيدوسة	802	1.700	قصر بلزمة	11	0.021
واد الطاقة	745	1.579	قصبات	10	0.021
بيطام	655	1.388	جزار	10	0.019
ثنية العابد	617	1.308	لمسان	9	0.019
تكوت	558	1.182	لارباع	9	0.016
نقاوس	521	1.104	قيقبة	8	0.012
أودعوف	494	1.047	بومية	6	0.010
أولادسلام	486	1.030	شير	5	0.006

رأس العيون	402	0.852	أولاد عمار	3	0.004
غسيرة	491	0.828	تغرغار	2	0.004
واد الشعبة	374	0.792	بومقر	2	0.004
كيمل	360	0.163	الحاسي	2	0.004
منعة	330	0.699	لازرو	1	0.002
عيون العصافير	319	0.676	بني فوضالة	1	0.002

المصدر : مصلحة الانتخابات بلدية باتنة،

تشكل نسبة الوافدين من البلديات القريبة من مقر الولاية الكبر بحكم ارتباطهم الكبير بالكثير من التعاملتت اليومية بالمؤسسات الخدمية بالدرجة الأولى و الغائبة فى مقر سكناهم، وتاتي بعد ذلك نسبة الوافدين من البلديات ذات الحجم الكبير و عدد السكان الكبير .

2- الوافدون من الولايات الأخرى:

من بين الولايات التي ساهمت بالقسط الكبير من المهاجرين إلى مدينة باتنة، هي ولايات الشرق و الجدول التالي يبين عدد الوافدين إلى مدينة من كافة ولايات الوطن

الولاية	عددالوافدين(نسمة)	النسبة%	الولاية	عددالوافدين(نسمة)	النسبة%
خنشلة	4110	19.274	بومرداس	57	0.286
بسكرة	3950	18.524	الشلف	55	0.257
أم البواقي	3516	16.489	البويرة	47	0.220

قسنطسنة	19085	8.948	المدية	41	0.192
ميلة	1034	4.849	تلمسان	39	0.182
العاصمة	8053	4.000	تيارت	38	0.178
سطيف	724	3.395	تيبازة	38	0.178
جيجل	654	3.067	الجلفة	36	0.168
تبسة	636	2.982	مستغانم	36	0.168
تيزي وزو	467	2.190	س.بلعباس	28	0.131
سكيكدة	392	1.829	عين الدفلة	28	0.131
المسيلة	392	1.829	بشار	22	0.103
عنابة	390	1.829	ع.تموشنت	21	0.098
قالمة	370	1.735	الأغواط	20	0.093
سوق أهراس	266	1.247	أدرار	18	0.084
غرداية	198	0.928	معسكر	17	0.079
ورقلة	197	0.923	سعيدة	16	0.075
بجاية	158	0.740	غليزان	11	0.051
الواد	143	0.670	تسمسيلت	04	0.018

وهران	130	0.609	النعامة	04	0.018
ب .بوعريريج	115	0.539	البيض	03	0.014
البليدة	77	0.361	تمنراست	02	0.009
الطارف	61	0.286	تندوف	01	0.004

المصدر: مصلحة الانتخابات ببلدية باتنة،

على غرار البلديات فإن نسبة الوافدين من الولايات، تشكل الولايات التي استقلت عن الولاية النسبة الكبر وهذا ما دلت عليه نسبة كل من ولايتي خنشلة وبسكرة.

أولا- <u>مجتمع البحث و طريقة سحب العينة و المنهج المستخدم:</u>

واعتمدنا على العينة العشوائية البسيطة في اختيار المجال المكاني و المتمثل في حي بارك أفوراج و حي حملة *أولاد بشينة*.

<u>1-حي بارك أفوراج:</u>

إن قطع بارك أفوراج الواقع في الجهة الشمالية الشرقية لمدينة باتنة، عرف نزوحا غير عاديا للسكان، سواء من المناطق الريفية للبلديات المجاورة أو من قطاعات المدينة الأخرى، هذا ما تبينته إحصاءات 2001.حيث تقدر مساحته بـ 437.4 هكتار ، فهو يمثل ما نسبه 12.89% من أجمالي المدينة فهو بذلك يحتل المرتبة الثالثة من حيث المساحة.

1- **<u>البيئة الحضرية لمجال الدراسة:</u>**

1- <u>الخصائص العمرانية و المعمارية:</u>

أرضية الدراسة هي مجال للتوسع العمراني للمدينة، تمتاز بمكونات عمرانية غير واضحة مما خلق مجال فوضوي بمختلف مستوياته سواء الإطار المبني أو غير المبني(المجالات الحرة و الفراغات).

يشكل مجال الدراسة من شقين: الشق الأول مجال مكتظ (كثافة سكنية معتبرة) مباني متلاحمة من الطراز العادي تفتقر إلى الجانب الجمالي، معظمها مكونة من طابقين . أما الشق الثاني فهو في حالة توسع متواصلة للحي أي نمو عمراني ملحوظ، مجمل البنايات في حالة جيدة بالرغم من غياب الطلاء ، جل البنايات غير منتهية الأشغال و هي تتكون من طابق أرضي فقط و السقف مسطح مما يسمح بالتوسع العمودي.

2- <u>الملكية العقارية:</u>

تعود ملكية أراضي مجال الدراسة إلى الخواص 100%، انتقلت ملكيتها من عائلة إلى أخرى، ومن وريث إلى أخر لتتوزع وتتشتت، وتتحول وظيفتها الزراعية إلى الوظيفة السكنية

العمرانية، حيث قام كل وارث بتجزئة أرضه لبيعها لمن يرغب في ذلك ، ولا يهمه استعمالها المستقبلي ، و دون الحصول على رخصة التجزئة . و يتسم البيع بالمضاربة العقارية و لايربط البائع و المشتري أي عقد ملكية أو بيع سوى تسجيل في مكتب التوثيق، مما يجعل المستفيد يشيد مسكنا على الأرض دون حصوله على رخصة البناء مما أضفى على التحصيص صفة اللاشرعية أو التحصيص المخالف للتعمير.

3- الدراسة السكانية:

من العناصر الهامة التي يمكن أن تِثر أو تتأثر بالمجال العمراني ، فإما أن تعمل على تحينه أو أن تتصادم معه، و في الجدول التالي(رقم 04) نبين تطور عدد السكان والمساكن من سنة 2001م إلى 2007م.

السنة	2001	2007
المساحة العقارية(هكتار)	283.5	437.4
عدد المساكن(مسكن)	2632	4460
عدد السكان(نسمة)	11489	28056
الكثافة السكانية(ن_هكتار)	40.52	60
الكثافة السكنية(سكن-هكتار)	14	23

المصدر :مكتب الدراسات الاقتصادية و التقنية.

4-استخدامات الأرض :

إن استغلال القطاع تم من طرف السكان هدفهم الأساسي تقليص مشاكل السكن بطريقة فوضوية ، وذلك في غياب التخطيط و الرقابة من قبل السلطات العمومية.

2-1- التجهيزات:

يتميز قطاع بارك أفوراج بقلة في التجهيزات و الخدمات بالنسبة للمدينة(الخريطة رقم01) حيث يحتوي على :

-ملحق مدرسة أساسية للطورين 1و2.

-ملحق مدرسة أساسية للطور 3.

- أربعة مساجد.

-ثانوية بارك أفوراج.

-قاعة متعددة الرياضات.

2-2- السكن:

إن الر فع الطوبوغرافي ،و الأبحاث المختلفة على الأرضية، واستغلال نتائج البحث والاستقصاء و تحليلPDAUأكدت إمكانية حدوث تطور من خلال الزيادة الديمغرافية خلال السنوات الأخيرة، مميزة بالنزوح الريفي من البلديات المجاورة بهدف الحصول على ظروف معيشية جيدة ، وظروف أمنية أحسن.

فقد فاقت المساحات السكنية 24.54هكتار سنة 1995، وتطورت إلى 8.69هكتار سنة 2001.

و قد بين التقطيع المجالي ، أن هناك تعمير غير منتظم و غير مجالي مع طول مدة التعمير .1404 بناء تم إحصائها على مستوى القطاع كلها ذات طابع سكني ، باستثناء 3 بناءات للتجهيزات العمومية.

كما تم ملاحظة وجود تراصف للبنايات بالرغم من عدم وجود الطرق و عدم احترام قوانين البناء.

2-3-الطرق و الشبكات المختلفة:

1- الطرق:

-تحدد بالطريق الوطني رقم 31 الذي يربط مدينة باتنة بتازولت، ويحدد القطاع من الجهة الجنوبية الشرقية.

-الوصول إلبى البناءات يتم من خلال طرق صغيرة غير مهيئة ، في بعض الأحيان غير صالحة للاستعمال ، وجد صعبة خاصة للمتمدرسين.

2- الشبكات المختلفة:

- المياه الصالحة لشرب:

- فيما يخص المياه الصالحة للشرب يتم ضخها عن طريق محطة للضخ عبر أنابيب ذات قطر يساوي 250مم، باتجاه محطة استقبال بالقرب من المستشفى الجامعي باتنة، و السكان يتحصلون على المياه الصالحة للشرب عن طريق الربط المباشر بقناة التموين.

- شبكة الصرف الصحي ومياه الأمطار:

صرف المياه المستعملة و السطحية يتم عن طريق قناة واحدة ذات نظام أحادي بقطر يقدر ب 300مم في أعلى القناة و 1500مم في أسفلها و القناة في حالة جيدة، ويتم الصرف في واد تازولت.

ويقدر معدل ربط البناءات في القطاع بشبكة الصرف بنسبة 56.19 %.

حاليا أراضي القطاع ليست جيدة بالنسبة لعمليات الربط بالقنوات ،وذلك يعود غالبا إلى كون البناءات فوضوية.

-شبكة الكهرباء:

تم إمداد جل المنازل بالكهرباء في ظل السياسة المنتهجة من قبل المؤسسة المسؤولة . ومعدل اكتفاء يقدرب 70 % ، و30% لا تتمتع بهذه الوظيفة الضرورية خاصة في ساعات الاستغلال القصوى.

و قد تم تزويد القطاع عن طريق خط متوسط الضغط.

2-حي طريق حملة :

يشكل طريق حملة منطقة متجانسة من حيث تاريخ وشكل و نمط البناء و كذلك الامتداد المجالي بصفتها وحدة جغرافية مستقلة.1 عن كشيدة ظهرت بعد تشبع جيوب الأخيرة.و فيما يلي عرض لجملة الخصائص العمرانية ووضعية المباني لهذا الحي.

1- النسيج العمراني : يقع "حي طريق حملة " في الجهة الغربية وعلى امتداد الطريق الولائي 55 المؤدي إلى تجمع حملة، تبلغ مساحته ما يقارب 52.5 هكتار،و يتمحور النسيج العمراني لهذا الحي على طول الطريق السابق الذكر وهو يطهر على شكل وحدات صغرى متوضعة في شكل طولي يخذ الاتجاه جنوب /شمال أي شكل تعامد مع الطريق الرئيسي بالاضافة إلى تسجيل مساحات و جيوب شاغرة لم تلمسها بعد عملية التعمير.

و يبقى هذا الحي في حاجة إلى هيكلة منسجمة تكون مرتكزة أساسا على الطريق الرئيسي وذلك لإنقاذ المساحات الحرة المتبقية . و الخريطة (الخريطة رقم 02) الموالية تبين ذلك.

الخصائص و المميزات:

تتميز عملية البناء لهذا الحي بكونها فوضوية و تفتقر إلى الكثير من المعايير و المقاييس المعمول بها في التعمير كما يتميز النسيج العمراني بالتقطع نظرا لوجود مساحات شاغرة داخل هذا النسيج بالإضافة إلى جملة الخصائص و المميزات نذكرها فيما يلي:

1-المساحة: 52.5 هكتار.

2-عدد السكان 6470 نسمة.

3-الكثافة السكانية:123ن/هـ.

[1] مخطط شغل الأراضي – المرحلة الثانية و الثالثة- مكتب الدراسات الاقتصادية و التقنية،ص 19.

4- عدد القطع و المباني السكنية 1533.

5- الكثافة السكانية 29م/هـ.22

وضعية المباني :

-المباني السكنية: يبلغ عدد القطع السكنية في طريق حملة 1533 قطعة منها 398 في طور الانجاز أما القطع المتبقية 1135 فهي عبارة عن مباني سكنية مشغولة و يقدر معدل مساحة هذه القطع بـ125م2.

	مجموع القطع السكنية	القطع السكنية المبنية	القطع السكنية في طور الانجاز
العدد	1533	1135	398
%	100	74	26

حالة المباني :

سجل على مستوى هذا الحي نسبة 60% من المباني في حالة حسنة ، في حين أن 24% من هذه المباني في حالة متوسطة اما المباني التي هي في حالة سيئة فهي تقدر بـ16% و نجدها على العموم في أقصى الجهة الغربية لهذا الحي3.

اختيار العينة:

ومن المعطيات التي تم ذكرها في السابق تم تحديد إطار للمعاينة و الذي يضم عدد المساكن المستعملة في كل حي (مجموعة أو في كل قطاع).و الجدول التالي يبين ذلك:

[2] مخطط شغل الأراضي-مرحلة1- ص 22.
[3] مخطط شغل الراضي –مكتب الدراسات الاقتصادية و التقنية،باتنة،ص23.

حي بارك أفوراج					ي طريق حملة				
رقم القطاع	رقم المجموعة السكنية	عدد المباني	عدد المباني المستعملة	عددالمباني المعاينة	رقم القطاع	رقم المجموعة السكنية	عدد المباني	عدد المباني المستعملة	عدد المباني المعاينة
175	1110	04	04		310	1875	37	35	03
	1112	10	10	01		1876	38	36	03
	1108	20	20	02		2017	11	11	01
	2921	06	06	01		2844	31	30	03
	1282	10	10	02		2845	14	14	02
	1285	08	08	02	307	1877	16	10	01
	1286	19	19	02		1878	15	10	01
	1288	31	31	04		2021	29	26	03
	1291	15	11	01		2706	14	1	--
	1292	16	14	01		2846	09	05	01
	1299	13	13	02		2848	07	05	01
49	747	38	38	04		2850	38	28	03
	748	24	24	03		2851	09	09	01
	749	13	13	01		2853	14	12	02
	750	15	15	02		2854	20	20	02
	751	14	14	01		2855	20	19	02
	752	32	32	03		2856	15	08	01
95	129	16	16	02		2015	16	14	01
	130	16	16	01		2019	09	09	01
	131	18	18	03		2020	10	10	01

	133	21	21	02		2822	03	03	01
	731	14	14	01		2826	01	01	--
	732	23	23	03		2856	21	19	01
	1227	16	16	01	286	2857	14	11	01
	1277	13	13	01		2858	1	08	01
	1280	09	09	01		2859	14	14	01
	1281	12	12	01		2860	06	05	01
	1287	05	05	02		2861	04	04	01
المجموع		517		50		2862	10	10	01
						2863	14	13	01
						2864	12	10	01
						2865	22	12	01
						2866	19	12	01
						2867	12	10	01
						2868	23	17	01
					المجموع			470	47

من الجدول أعلاه أمكن تكوين إطار للعينة و الذي يضم عدد المساكن المستعملة في كل مجموعة حسب كل قطاع.

بحيث كان من الضروري إحصاء المباني الغير سكنية ومن ذلك و حسب العدد الإجمالي البالغ 517 مسكنا في حي بارك افوراج فقد تم وضع قائمة تسلسلية مرقمة من 1 إلى 517 سكن. و في المرحلة الثانية تم تحديد حجم العينة بنسبة 30% حيث يكون حجم المتحصل موزع بطريقة عشوائية منتظمة على كل المجموعات السكنية و هذا بعد تحديد مسافة الاختيار أو المدى =517/51=10.

و بعد اختيار الرقم العشوائي الذي كان من حظ 3 و بطريقة منتظمة تم تحديد باقي الحالات على النحو التالي:3-6-9-12.....517. و بمطابقة الحالات المحددة بالطريقة السابقة و اطار العينة أمكن تحديد أرقام المساكن و توزيعها على المجموعات السكنية حسب كل قطاع حيث كان أصحابها و المقيمين فيها و المسؤولين اجتماعيا هم أفراد العينة الذين تمت مقابلتهم للإجابة على الأسئلة المدونة في استمارة البحث .(الخرائط رقم 5,4,3).

أما فيما يخص حي طريق حملة فإن العدد الإجمالي للمساكن و البالغ 470 مسكنا فقد تم وضع قائمة تسلسلية مرقمة من 1 إلى 470 سكن. و في المرحلة الثانية تم تحديد حجم العينة بنسبة 30% حيث يكون حجم المتحصل عليه 47 حالة موزعة بطريقة عشوائية منتظمة على كل المجموعات السكنية و هذا بعد تحديد مسافة الاختيار أو المدى =51/517=10.

و بعد اختيار الرقم العشوائي الذي كان من حظ 3 و بطريقة منتظمة تم تحديد باقي الحالات على النحو التالي:3-6-9-12.....470. و بمطابقة الحالات المحددة بالطريقة السابقة و إطار العينة أمكن تحديد أرقام المساكن و توزيعها على المجموعات السكنية حسب كل قطاع حيث كان أصحابها و المقيمين فيها و المسؤولين اجتماعيا هم أفراد العينة الذين تمت مقابلتهم للإجابة على الأسئلة المدونة في استمارة البحث .و الروسومات البيانية التالية تبين القطاعات المختارة للمعاينة بمجموعاتها السكنية .كما تم الغاء المفردات التي لم تتجاوب معنا فكان العدد النهائي لمجتمع البحث 300 مفردة.

2. **المنهج المستخدم في الدراسة** :

بتعدد أبعاد الظاهرة المدروسة و باتساعها في الزمان و المكان ، حتمت علينا ضرورة اللجوء إلى مجموعة من المناهج و المقاربات المتعددة بغية محاصرة الظاهرة من جوانبها المختلفة ، و هذا لن يأتي إلى بإتباع جملة من المناهج التي قد تساعد في فهم الظاهرة ، نظرا لما لها من خصوصيات تاريخية تمتد في عمق التاريخ ، و لن يكون هذا العمل بالسهولة المتوقعة ، فالجمع بين المناهج و مقاربات متعددة يزيد من صعوبة دراسة الظاهرة فالاستطراد و الاغراء الذي يمارسه المنهج على الباحث قد يؤدي به إلى أسره ضمن الحدود المدرسية و النظرية المتعارف عليها ، فتوظيفه و الانفلات منه يعد أمرا بالغ الصعوبة إضافة إلى الجمع بين عدة مناهج ، و رغم صعوبة هذه العملية فقد حاولنا الاقتراب من الظاهرة موضوع الدراسة من خلال أربعة زوايا مختلفة تمثل مناهج متعددة .

1.2- <u>المقاربة التاريخية</u> :

يبدو أن استعمال مصطلح المقاربة التاريخية اقرب للصحة من استعمال المنهج التاريخي في بحثنا هذا ، رغم المنحنى الذي فرضه علينا الموضوع في بدايته ،و الذي جرنا إلى معالجة القضايا و الأحداث التاريخية بشيء من التفصيل ، استطعنا أن نفلت منه ،ليس من خلال القراءة التاريخية بل بمحاولة قراءتها سوسيولوجيا ، فالبني التقليدية بما فيها القبيلة تعتبر ظاهرة اجتماعية تاريخية صاحبت مراحل هذه المجتمعات و بنيتها ، مما يحتم اللجوء للمقاربة التاريخية ، وان كانت ليس بمعناها التخصصي.

2.2<u>- المنهج الانتربولوجي</u> :

لم يكن الموضوع وليد الصدفة بقدر ما كان نابع من الملاحظات الميدانية التي لاحظها الباحث

و استطاع أن يتتبع تمظهراتها في الحياة اليومية ، انطلاقا من الطقوس و الممارسات التي ما انفكت تظهر على المساحة المحلية ، و التي حضر الباحث جزءا منها بحكم الوظيفة المهنية التي أتاحت لنا التقرب من الملاحظة هذه الظواهر واقعيا ، تم توظيفها و الاستعانة

بها كلما دعت الضرورة إلى ذلك لتدعم الافتراضات و الاستنتاجات العامة ، كما تم التقرب أكثر من موضوع الدراسة من خلال الاحتكاك الواقعي بالأحياء موضوع الدراسة .

3.2- <u>المنهاج المقارن</u> :

يحتل المنهج المقارن ضمن المناهج المستعملة في علم الاجتماع أهمية خاصة نظرا للقيمة التي أعطيت له منذ المراحل الأولى لظهور السوسيولوجيا ، فقد استعمل معظم علماء الاجتماع الكلاسيكيين ، و على رأسهم دور كايم الذي بين " **إن المقاربة تشكل تجريبا غير مباشر حقيقيا ، كما يرى العديد من الكتاب ان المنهج المقارن ربما كان المنهج الملائم بدقة لعلم الاجتماع** "[4]

و إذا كان الأمر يتعلق بعلم الاجتماع بصفة عامة فهو يتعلق بعلم الاجتماع الحضري بصفة خاصة ، أين استطاع رواد هذا التخصص ان يقيموا مقارنات بين المدن بغية الوصول الى تحليلات و نتائج بل لقد بات من الضروري استعمال المنهج المقارن في دراسة اي ظاهرة تنتمي لعلم الاجتماع الحضري ، نظرا لاختلاف البيئات و الظروف المحيطة بها .

و لا تكمن أهمية هذا المنهج في القيام بمقارنات بين الظاهرة الحضرية في بيئاتها المختلفة بل يتعلق الامر كذالك في حصر الظاهرة في مجال محدد ، كان نقوم " بمقارنات بين الحيين او منطقتين حضريتين بخصوص ظاهرة معينة في وقت واحد ، من اجل قياس اثر متغيرات معينة عليها " [5] بالاضافة يمكن تصنفها ضمن البحوث الوصفية وهي البحوث التي وظفت بشكل ناجح في كشف طرق حياة وعادات المجتمع و العلاقات التي تربط أفراده لذلك يعتقد أنصار هذه البحوث، أن مناهج هذه البحوث هي أقرب إلى العلوم الاجتماعية من المناهج الأخرى.

---

4 -مادلين غراويتز ، مناهج العلوم الاجتماعية ، الكتاب الثاني ، ترجمة ،سام عمار،المركز العربي لتعريبو الترجمة و النشر، دمشق،1993، ص 98.

[5] محمد بومخلوف ،التحضر، دار الامة ، الجزائر ،2001،ص87.

ذلك أن البحوث الوصفية تتكيف مع ظروف الظواهر المتميزة بالتغير وعدم الثبات ولو ببطء وتعدد المؤشرات الفاعلة فيما وأنها كذلك تتعامل مع الواقع الاجتماعي كما هو وبكل جزئياته وتحيط بكل أبعاده.

وبذلك فإن توصل الباحث إلى تحديد العلاقات القائمة داخل المجتمع لمختلف أبعاده وتفسير معنى البيانات المتحصل عليها. مما يساعد على وضع مقترحات للحفاظ على هذه المجتمعات وعلى قيمها الاجتماعي والثقافية في وسط عمراني متلائم[6].

حيث أنها تعتمد على" معلومات دقيقة تصور الواقع الاجتماعي و تسهم في تحليل الظواهر ويعد المنهج الوصفي واحد من مناهج البحوث التي تعتمد في تحليل البيانات الاجتماعية استخدامها لأدوات بحثية كالمقابلة و الاستمارة من أجل الحصول على معلومات عن مجتمع البحث، كما أنه يعتمد على أداة المسح بطريقة العينة و التي يكتفي فيها الباحث بدراسة عدد معين من الحالات أو المفردات حسب الإمكانيات المتوفرة لدى الباحث [7]."

وعادة ما يهتم هذا النوع من المناهج بالكشف ودراسة الجوانب الاجتماعية و الثقافية و الآراء و الاتجاهات، وتوزيع الخصائص الاجتماعية في بيئة أو مجتمع محدد إلى جانب الخصائص العامة للمجتمع و المتعلقة بالجوانب السكانية و الثقافية و الاقتصادية...إلخ.

3. أدوات البحث وإجراءاته المنهجية:

[6] إبراهيم أبراش– البحث الاجتماعي قضاياه مناهجه واجراءته ،منشورات كلية العلوم القانونية والاقتصادية و الاجتماعية ، مراكش ، المغرب ، 1994 ،ص 52.

[7] محمد شفيق : البحث العلمي ، الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، مصدر 1985 ،ص 82.

عمليا لا يوجد هناك فصل بين أدوات البحث العلمي التي تعتبر وسائل متكاملة لأداء دور أساسي في البحث، و المتمثل في جمع البيانات بصفة موضوعية، فلا يمكن في هذه المواضيع الاستغناء عن أية أداة من أدوات البحث الأساسية كالملاحظة و المقابلة و الاستمارة وبل لا يمكن اكتمال دور أحدهما دون الأخرى وخاصة أثناء البحث الميداني رغم أن الملاحظة تعتبر من الأدوات الرئيسية في مختلف مراحل البحث إلا أن استعمالها هو فقط الذي يحدد نوع الملاحظة المستخدمة وقد تفرض أحيانا طبيعة مواضيع البحث أن يلجأ الباحث إلى إجراءات مقابلات عديدة مع الجهات التي لها علاقة بالبيانات الخاصة ببحثه قبل أن ينزل إلى مقابلة المبعوثين في مجال البحث الخاص.

ويبرز تكامل الأدوات المعتمدة في البحث الميداني من خلال الإجراءات المنهجية التي يتبعها الباحث بدءا من استطلاع الميدان لأجل التعرف عليه تحديد مجالاته ومن اجل ذلك كان استخدام أدوات البحث كما يلي: –

1.3. الملاحظة:

فمن خلال الزيارات المتعددة والاحتكاك المباشر بمجتمع الدراسة كان من الضروري أن نلاحظ كمهتمين اجتماعين بعض السمات التي تميز مجالات المجموعتين ومقارنتهما من حيث الطابع العمراني .

وكذا مدى تماسك عناصر كل مجموعة وفق انتمائها الاجتماعية و القبيلة.

3–2.المقابلة: تتعدد مستويات الحصول على المعلومات وتعد المقابلات من أهم هذه الوسائل.

3.3. الاستمارة:

بعد استطلاع الميدان ومعاينة جاءت مرحلة جمع البيانات الميدانية عن طريق مقابلة أفراد العينة، وهذا من خلال الاتصال بهم في مجال إقامتهم ومقابلتهم بغرض الإجابة عن الأسئلة الواردة في استمارة البحث.

لقد حرص الباحث قدر الإمكان على صياغة أسئلة تتناول الجوانب التي لا يمكن معرفتها عن طريق الملاحظة و أن تكون أسئلة هذه الاستمارة مصاغة بأسلوب بسيط، كما روعي أن يكون فهمها من طرف المبحوث مضمونا لذا كان الباحث يلجأ في طرح الأسئلة إلى العامية التي كانت من أهم وسائل الاتصال مع المبحوثين طيلة مدة البحث الميداني.

وقد شكلت الاستمارة إحدى الأدوات المهمة في البحث بحيث سمحت بالكشف عن البيانات ذات العلاقة المباشرة لأهداف البحث ، ومنها بالخصوص تلك البيانات التي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق أسئلة الدراسة عموما مؤشرات الفروض خصوصا وكانت هذه الأسئلة بسيطة سهلة الفهم.

وتم بناء الاستمارة في صورتها النهائية أثناء الدراسة الاستطلاعية لتقدير مدى ملائمة أسئلتها لميدان الدراسة وتقدير مختلف الظروف التي تواجه سير هذه العملية في مرحلتها الميدانية، وفي هذا الإطار قمنا في المرحلة الأولى بعرضها على أساتذة مختصين و مرحلة ثانية قمنا بإجراء اختبار الاستمارة في مجموعتين سكنية بمجال الدراسة وذلك حسب حجم سكانه ، وقد برز أثناء عملية الاختيار ضرورة إعادة ترتيب بعض الأسئلة كما أنه تم تبسيط أكثر للبعض الأخر والمزيد من شرح الأسئلة وتوضيحها وأيضا طبيعة المناقشات التي كانت تحيط بالمبحوثين، ولذلك قمنا باستبدال القبيلة بمفردة العرش من أجل تسهيل الفهم و الافهام و كذا الاجابة كانت المرحلة النهائية بالنزول إلى الميدان و التطبيق الفعلي للاستمارة.

3-4-صدق الأداة:

لقد تم الاعتماد على طريقة (إجماع المحكمين)، حيث عرضت الأداة على مجموعة من الأساتذة المتخصصين في علم الاجتماع، ومن ثم تم تعديل الاستبانة في ضوء ملاحظاتهم حتى صيغت بصورتها النهائية.

3-5-ثبات الأداة:

للتأكد من ثبات الأداة تم تطبيقها على (30) مبحوث من خارج عينة الدراسة ومن ثم أعيدت التجربة مرة أخرى بعد اسبوعين، كما تم حساب معامل الثبات بطريقة كرونباخ ألفا كانت قيمة معامل الثبات للأداة ككل (0.83) وتعد هذه النتيجة ملائمة لأغراض التطبيق العلمي.

3-6-المعالجة الإحصائية:

اعتمدت الدراسة على البرنامج الإحصائي الخاص حيث استخدمت لغايات الدراسة (SPSS)بالعلوم الاجتماعية عدة نماذج إحصائية، شملت النماذج الوصفية البسيطة كالتوزيعات التكرارية والنسب المئوية) لتحليل خصائص العينة(، والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية)لتحليل مؤشرات قوة الولاء العشائري ومكوناته(، وكذلك لإظهار الفروقات (ANOVA) و (T-test) تحليل التباين في البيانات الأولية .

المراجع العربية:

1. الرازي أبو بكر محمد بن زكريا، رسائل فلسفية، دار الآفاق الجديدة،بيروت 1977.
2. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة ، بيروت ،دار الكتاب ، دار إحياء التراث العربي.1998.
3. أبو زيد، أحمد، توظيف الرأس المال الاجتماعي، مجلة العربي، العدد615 فبراير الكويت،2010.
4. إبراهيم عيسى عثمان ،النظرية الاجتماعية المعاصرة ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ،2008
5. أبو رمان، حسين، دليل منظمات المجتمع المدني في الأردن، عمان :دار سندباد للنشر،2000.
6. أحمد كمال أحمد: تنظيم المجتمع، دار وهدان للطباعة والنشر، الفجالة،القاهرة، 1973
7. ادوارد السعيد، الاستشراق المعرفة ،السلطو،الانشاء،نقله إلى العربية كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية. 1981.
8. أحمد زايد،رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة2006
9. انجي عبد الحميد، دور المجتمع المدني في تكوين رأس المال الاجتماعي، المركز المصري للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، القاهرة. 2010.
10. الجابري محمد عابد، المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي، دار النشر المغربية.الطبعة1999
11. السيد عبد العاطي وآخرون ، علم الاجتماع الاتجاهات الحديثة والمعاصرة، دار المعرفة الجامعية ، مصر ،2004
12. المختار الهراس ،"التحليل الانقسامي لبنيات الاجتماعية في المغرب العربي: حصيلة نقدية، سلسلة كتب المستقبل العربي ،8نط2،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،1987
13. العروي عبد الله. مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992

14. بركات، حليم ، المجتمع العربي المعاصر :بحث استطلاعي، ط2 ، بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية.1991
15. بييرف.زيما ،التفكيكية دراسة نقدية ،ترجمة: أسامة الحاج ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط2 ،بيروت ،2006
16. بيير بورديو، العقلانية العملية حول الأسباب العملية ونظرياتها، ترجمة عادل العوا، دار كنعان، دمشق،2000
17. بيير بورديو ، الهيمنة الذكورية ، ترجمة د سلمان قعفراني ، ص 8 ، المنظمة العربية للترجمة ، الطبعة الأولى ابريل 2009.
18. توكفيل، إلكسي ،الديمقراطية في أمريكا، ترجمة أمين مرسي قنديل، عالم الكتب، القاهرة،1991.
19. جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب ، بيروت، دار صادر، ج 11.
20. حمارنة، مصطفى، الأردن :مشروع المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي القاهرة :مركز ابن خلدون.1995.
21. حيمر عبد السلام ،في سوسيولوجيا الخطاب من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل،الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت،2008 .
22. رشوان حسين محمد، علم الاجتماع الريفي، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية2005
23. سناء،الخولي، أزمة السكن ومشاكل الشباب، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002
24. سامية محمد جابر و آخرون، دراسات في علم الاجتماع الريفي،/ دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،2001.
25. شحاتة صيام ،النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى مرحلة ما بعد الحداثة ،العربية للنشر والتوزيع ، ط 1 ، مصر ، 2009 .
26. فتحي أبو عيانة محمد،جغرافيا السكان ،دار المعارف المصرية،1977.
27. فاروق مصطفى إسماعيل: التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.

28. فوكوياما، فرنسيس ،الثقة، الفضائل الاجتماعية وتحقيق الازدهار، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتجية، أبو ظبي،1998.
29. كرم يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1970
30. كارل ماركس و فريدريك انجلز ، الماركسية و الجزائر، ترجمة جورج طرابيشي ،بيروت ، دار الطليعة،1978
31. ليليا بنسالم وآخرون، الأنثروبولوجيا و التاريخ: حالة المغرب العربي ،ترجمة عبد الأحد السبتي و عبد اللطيف الفلق،الدار البيضاء،دار توبقال ،1988.
32. محمد السويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري،ديوان المطبوعات الجامعية،1984.
33. محمد نجيب بوطالب،سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1، 2002
34. محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي : محدداته و تجلياته، نقد العقل العربي، 3، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي،1990.
35. محمد حسن توفيق رمزي:. كتاب علم السياسة، دار النهضة العربية، 1956.
36. محمد حسن غامري: ثقافة الفقر ، المركز العربي للنشر والتوزيع، الإسكندرية. 1980.
37. موريس انجرس، منهجية البحث في العلوم الانسانية،ترجمة :بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر،الجزائر 2004.
38. صلاح الفوال: دراسة علم الاجتماع البدوي،. مكتب غريب للنشر،.مصر، 1974
39. طلعت السروجي،رأس المال الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،2009.
40. عبد الهادي دكلة، قاسم محمد رعدون: المجتمع البدوي ،بغداد 1979
41. علة فؤاد أحمد ، علم الاجتماع الريفي ،دار النهضة العربية، بيروت،البنان 2000
42. علي الوردي: منطق ابن خلدون ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1977.
43. علي عبد الرزاق حلبي علم الاجتماع السكان، دار المعرفة الجامعية، القاهرة،1985
44. يوحنا قمير: ابن خلدون ، دار الشروق ، بيروت ، 1982.

مراجع باللغة الأجنبية:

1. Aron (Raymond.) , Boudon (Raymond.) , Ansart , La Sociologie , éd Larousse , 1978.
2. Bouchrara Zanned(T.), La Ville Mémoire , paris méridiens klinck sieck,1994
3. Boutefnouchent , Mostafa, La famille Algérienne ; son Evolution et ses caractéristiques récentes, ed SNED, Alger 1980.
4. Claval Paul, Espace et pouvoir, PUF, 1978
5. Durant (Gilbert.) , La Sociologie , éd Gerand et c , TII , 1972
6. Ferrier (J. P.), Sémiotique De L'espace, paris Denoël gouthier, 1979.
7. Gurvitch (Georges.), La vocation actuelle de la sociologie, paris PUF, 1957, T1
8. Halbwachs (M.), La Mémoire Collective, paris puf, 1950
9. Lefebvre (Henri.), Critique de la vie quotidienne, paris crasset – l'arche, 1958.
10. Maffesoli (M.) , Logique De La Domination , paris puf , 1976
11. Pierre Bourdieu, sociologie De L'algerie, Edition DAHLAB, Algerie

-المعاجم و القواميس:

1. بودون وبريكو: معجم علم الاجتماع النقدي، ترجمة سليم حداد ،ديوان المطبوعات الجامعية، 1986.
2. محمد عاطف غيث،محرر، قاموس علم الاجتماع،مصر،دار المعارف الجامعية، 1990.
3. دينكن ميتشيل، محرر،معجم علم الاجتماع، ترجمة و مراجعة أحسان محمد الحسن،ط2،بيروت ، دار الطليعة 1987،
4. ستيفان شوفاليه، كريستيان شوفيري،معجم بورديو،ترجمة زهرة ابراهيم،دار الجزيرة، 2013.
5. فؤاد إفرام البستاني ، وأخرون ،منجد الطلاب ، دار الشروق ، بيروت ، ط2 ، 1978

6. Encyclopédie De la sociologie : Larousse . Paris . 1975

-مجلات:

1. أبو زاهر، ناديا : محاولة لفهم إشكالية رأس المال الاجتماعي، مجلة علوم إنسانية العدد 46، السنة الثامنة،2010.
2. محمد سعيد الحلبي رأس المال الاجتماعي والتنمية المستدامة، مجلة الباحثون، العدد 65 ، دمشق.2010.
3. شقلابو، نوري،ما هو رأس المال الاجتماعي، مجلة منارة البحوث الاجتماعية، العدد الأول، طرابلس.2009.
4. عبدالله عبد الرحمف يتيم,،بيير بورديو، مجلة اضافات،العدد الرابع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2011
5. حساين المامون، بيير بورديو ، نحو سوسيولوجيا الكشف عن الهيمنة (الحقل التربوي أنموذجا) ،مجلة دليل الكاتب
6. أحمد موسى بدوي، ما بين الفعل و البناء الاجتماعي،تنشئ بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو، مجلة اضافات ،العدد الثامن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2009
7. على أسعد وطفة، الهابيتوس في سوسيولوجيابورديو، مقال منشور على الانترنت في موقع شبكة النبأ المعلوماتية،2012
8. **-Fankand,Yausmoto,"Social Capital with in and Between Subgroups", American Journal of Sociology,vol,109,1998**
9. **- Fukuyama, Francis, "Social Capital, Civil Society and Development", Third World Quarterly, Vol.22,2001**
10. **-Serageldin,Ismail and Grootart,Christian,Defining Social Capital: An integrating review,1997.**
11. **-Uphpoff,Norman and Krishna,Anirudh,"Mapping and Measuring Social Capital: a Conceptual Empirical Study of Collective Action for Conversing**

and Developing Watersheds in Rajasthan in India,Washington,D.C,Sci Working Paper NO.13,June,1999.

12. **–Woolcock, Micheal," Social capital and economic Development: toward a theoretical synthesis and policy Framework", theory and society, 27,1998**

مذكرات ورسائل جامعية:

1. أحمد محمد بوذراع، المناطق المتخلفة بمدن العالم الثالث،دراسة ميدانية بمدينة باتنة،الجزائر ،دكتوراه في علم الاجتماع جامعة القاهرة عام 1989
2. ا.صحراوي ،ع. ضيف.ع،دراج: النمو الحضري و اشكالية التوسع العمراني بمدينة باتنة، مذكرة تخرج ، معهد علوم الأرض،/جامعة قسنطينة،سنة 1996.
3. آسيا عاشور،فريد بزالة،رمزي حمزاوي، مشروع مقدم لنيل شهادة مهندس في اللتهيئة العمرانية "التعمير التجاري وأثره على التهيئة الحضرية للقطاعين 2-7، دورة جوان،2005

-مقالات وملتقيات:

1. عبد العزيز، بوودن، "التحضر في الجزائر"، مجلة الباحث الاجتماعي، قسم علم الاجتماع، جامعة قسنطينة، العدد 5، جانفي 2004
2. . علي،بوعناقة، "المدينة الجزائرية والألفية الثالثة"، مجلة التواصل للعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عنابة، جوان، 2000.
3. زوهير بن جنات ،ورقة عمل ضمن أعمال الندوة العلمية للجنة الثقافية الجهوية بصفاقس يومي 14 و15 أفريل 2006.
4. غول، فرحات :(2011)إدارة رأس المال الاجتماعي في المؤسسات الاقتصادية، /14 الملتقى الدولي حول رأس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية،13 ديسمبر، 2011، الجزائر.

5. Frideres, J.S. “Immigrants, Integration and the Intersection of Identities”. Seminar on “Intersections of Diversity”, Metropolis Canada, Niagara Falls, Ontario, 2003

6. Rummens, J. “Canadian Identities: An Interdisciplinary Overview of Canadian Research on Identity”, paper presented to Canadian Heritage (Multiculturalism), Ottawa. 2000

-مواقع الكترونية:

1. dalilalkitab.net/?id=214 .
2. 2010 Kenana online .com / users / sociology / posts / 155644
3. ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=35388
4. annabaa.org/nbanews/2112/13/227.htm
5. www.la-science-politique.com/revue/revue2/papier7/gingras.pdf

-هيئات دولية ووطنية:

-لديوان الوطني للاحصاء معطيات إحصاء سنة 1998.

-المصالح التقنية لبلدية باتنة.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة باتنة-1-

كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الانسانية

قسم علم الاجتماع و الديمغرافيا

القبيلة و المجال الحضري علاقات التفاعل و الصراع

أطروحة لنيل دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الحضري

اعدادالطالب :

صلاح الدين فافي

تحت اشراف :

أ.د مولود سعادة

السنة الجامعية 2015-2016

الاستمارة

البيانات الشخصية:

السن: ..... االمهنة: .....

مكان الاقامة :..... المستوى التعليمي: .....

الدعم الوجداني :	أحيانا	نادرا	دائما
1-هل تثق في حل مشكلاتك على أبناء عرشك.			
2-هل عند اتخاذك لقرارات هامة تجد شخصا في عرشك تطلب نصيحته.			
3-هل تشعر بالاطمئنان وأنت بين عرشك.			
4-هل تثق بأبناء عرشك أكثر من غيرهم			
5- هل علاقتك مع أبناء عرشك تمثل ملاذا آمنا لك.			
6- هل يوجد في عرشك من يشعرك بالارتياح للحديث معه.			
7-هل تشعربالفخر عندما تعلن اسم عرشك			
8-هل ترغب في السكن في المكان الذي يقيم الكثير من أبناء عرشك.			
المسالك الواصلة إلى المصادر :	أحيانا	نادرا	دائما
9-هل اذا احتجت إلى المال فإنك تعرف أشخاص من عرشك يمكنهم إقراضك المال.			
10-هل تواصلك مع عرشك يعود عليك بمنافع مختلفة.			
11-هل انتمائك لعرشك يوفر لك أشخاص يرشدونك إلى اعمال مختلفة.			
12-هل يساعدك أفراد من عرشك للوصول إلى أصحاب القرار .			
13-هل تطمح بالحصول على منصب جيد من خلال دعم عرشك.			
14-هل ارتباطك بعرشك يمنحك قوة اجتماعية.			
التماثل الاجتماعي و الثقافي	أحيانا	نادرا	دائما
15-هل تتواصل مع أبناء عرشك لكونهم يشاركونك اهتماماتك.			
16-هل تتواصل مع أبناء عرشك بحكم القرابة و الصلة.			
17-هل من السهل أن تتفق مع أبنا ءعرشك.			
18-هل توجد اتفاقات مشتركة بينك و بين أبناء عرشك.			
19-هل تميل إلى إعلان اسم عرشك.			

20-هل تميل أن تنادى باسم عرشك.			
القدرة على حشد التضامن و التواصل مع العرش	أحيانا	نادرا	دائما
21-هل تستطيع ان تحشد أبناء عرشك في حال حدوث طارئ معين أو مشكلة.			
22-هل علاقتك بأبناء عرشك تمكنك من دفعهم إلى القيام بعمل مهم.			
23-هل يمكنك أن توحد أراء عرشك حول قضية ما.			
24-هل يتفق أبناء عرشك على رأي موحد في الانتخابات.			
25-هل ترى أن التفاف العرش ضروري في الانتجابات البرلمانية.			
26-هل تتضامن مع ابناء عرشك في كل المواقف و المناسبات.			
27- هل تتواصل مع أبناء عرشك.			
28-هل تميل إلى توطيد علاقاتك مع أبناء عشرك.			
29- هل تحضر اجتماعات أنباء عرشك.			
30-هل يوجد ما يجبرك على الالتزام لعرشك و التواصل معهم.			